بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي ، واشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار شهادةٌ أدخرها ليومٍ تذهل فيه العقول وتشخص فيه الأبصار شهادةٌ أرجو بها النجاةَ من دار البوار وأؤمل بها جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، هو الأولُ فليس قبله شيء والآخرُ فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء ، ليس كمثلهِ شيء وهو السميع البصير وأشهد أن محمد عبده ورسوله المصطفى المختار الماحي لظلام الشرك بثواقب الأنوار صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه البررة الأطهار صلاةً تدوم بتعاقب الليل والنهار .

(يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) . [آل عمران ــ١٠٢]

(يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء/ ١]

(يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[الأحزاب ٧٠ – ٧١]

أما بعد

فإن الباحث المُدَقِّق والدَارِسَ المُحَقِّق إذا تَفَكَّر جلياً وتأمَّل ملياً في أمر الدعاء سيجد _ لا محالة _ أن الدعاء له فضلٌ عظيم وأجرٌ جسيم ، فللدعاء فضائل لا تحصى، وثمرات لا تعد ، وللدعاء أهمية كبرى، وثمرات جليلة، وفضائل عظيمة، وأسرار بديعة ، وهو طريق النجاة، وسلم الوصول، ومطلب العارفين، ومطية الصالحين، ومفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، به تُستجلب النعم، وبمثله تُستدفع النقم ، والدعاء من أشرف العبادات و أجلّ الطاعات ، وهو صلة بين العبد وربه، وكلما كثُر رجاؤه بالله وحسن ظنه به كثر دعاؤه وأعرف الخلق بالله أكثرهم دعاءً له ، وهو دليل على كمال افتقار العبد لربه تعالى واستغنائه به ،والدعاء سبب لتفريج الهموم وزوال الغموم، وإنشراح الصدور، وتيسير الأمور، وفيه يناجي العبدُ ربّه، ويعترف بعجزه وضعفه، وحاجته إلى خالقه ومولاه ، والدعاء سلاحٌ متين وحرزٌ مكين وسهمٌ صائبٌ لا يخطئ ، والموفق من وفق للدعاء ، والدعاء شعيرة جليلة، وعبادة فاضلة، بل هو من أفضل العبادات ، فما أشد حاجة العباد إليه، وما أعظم ضرورتهم إليه، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال ، والدعاء من أعظم مقامات الألوهية، ومن أعظم ما يرفع البلاء والعقوبات بإذن الله سبحانه وتعالى، بل إن الله عز وجل أخبر إن الدعاء هو العبادة، لأنه ركنها الركين، وأساسها المتين، قال سبحانه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). [سورة غافر/ ٦٠].

وسمى الله تعالى الدعاء عبادة، و تَكَفَّل بالإجابة لمن دعا، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ). [التوبة/ ١١١]. (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً). [النساء / ١٢٢]. فقد قال سبحانه: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ). [سورة البقرة، الآية: ١٨٦].

فالدعاء نعمةٌ عظيمة ، ومِنَّةٌ عميمة ، امتن الله تعالى بها على عباده، حيث أمرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة .

وشأن الدعاء عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم بمثله؛ ذلك أنه يتضمن توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون من سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين.

فما أشد حاجة العباد إلى الدعاء، بل ما أعظم ضرورتهم إليه؛ فالمسلم في هذه الدنيا لا يستغني عن الدعاء بحال من الأحوال.

فإن كان راعيًا ولاه الله رعية فما أحوجه إلى الدعاء؛ كي يثبت الله سلطانه، ويعينه على استعمال العدل في رعيته، ويحببه إلى رعيته، ويحبب الرعية إليه.

وإن كان داعيًا إلى الله _ تعالى _ فما أشد حاجته لدعاء ربه، وسؤاله الإعانةَ، والقبول، والتوفيق، والسداد ؛ ليثبت على الحق، ويصبر على عثار الطريق ومشاقه، ولتسمع له الأسماع، وتَصْغى إليه الأفئدة .

وإن كان مجاهدًا في سبيل الله _ فما أعظم حاجته للدعاء، الذي يطلب به النصر، ويستنزل السكينة والثبات في اللقاء، ويسأل ربه خذلان الأعداء، وإنزال الرعب في قلوبهم، وهزيمتَهم، وتفرق كلمتهم .

وإن كان مريضًا فما أشد فاقته وأعظم حاجته للدعاء؛ ليستشفي به من مرضه، ويسأل به كشف كربته، وأن يمن الله عليه بالشفاء والعافية.

وبالجملة فالمسلمون _ بل ومن في الأرض كلهم جميعًا _ بأمسِّ الحاجة للدعاء، وإخلاصه لرب الأرض والسماء؛ ليصلوا بذلك إلى خيري الدنيا والآخرة ، فلن يهلك مع الدعاء أحد، فالسعيد من وفق لذلك، والمحروم من حرم لذة العبادة، أو أيس من رحمة الله وكان من القانطين ، ومن وفق للدعاء فقد وفق للقول السديد، والعمل الرشيد .

واعلم علم اليقين أنه بدعوةٍ تتقلب الأحوال، فالعقيم يولد له، والسقيم يُشفى، والفقير يُرزق، والشقي يسعد، بدعوةٍ واحدةٍ أُغرق أُهل الأرض جميعهم إلا من شاء الله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح:٢٦]، وهلك فرعون بدعوة موسى عليه السلام، وقال موسى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ [يونس:٨٨]، ووهب ما وهب لسليمان بغير حساب بسؤال ربه الوهاب، وشفى الله أيوب من مرضه بتضرعه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٣]، وأغيث نبينا محمد ﷺ يوم بدر بالملائكة، بتَبتُّلِه إلى مولاه، مع قلة العدد وذات اليد، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:٩].

فإذا كان الدعاء بهذه المنزلة العالية والمكانة الرفيعة _ وحاجة العباد إليه ماسة مُلِّحة

فأجدر بالعبد أن يتفقه فيه، وأن يُلِّمَ بشيء من أحكامه _ ولو على سبيل الإجمال _ حتى يدعو ربه على بصيرة وهدى، بعيدًا عن الخطأ والاعتداء؛ فيكون بذلك أرجى لقبول دعائه، وإجابة مسألته.

ولهذا أردت أن أقدم هذا الجهد المُقِل والمسمى (تذكيرُ الأتْقِيَاء بِفَضْلِ الدُعَاء) تذكرةً لكل مسلم راجياً منه أن يتقبلها بقبولٍ حسن وأن يُعيرها سمعه وفكره وأن تجد له في سمعه مسمعا وفي قلبه موقعا عسى الله أن ينفعه بها ويوفقه إلى تطبيقها .

➢ *عملي في هذا الكتاب :*

(١) التذكير بفضل الدعاء ثم ذكر آدابه وحِكَمَه البالغة وشروطه وأسباب إجابة الدعاء و موانع إجابة الدعاء، ثم أعرِض نموذج علمياً وعملياً للدعاء .

(٢) إن هذا الكتاب خلاصةٌ انتَـخَلْتْها وزبدةٌ استخلصتها مما يزيد على مائة كتاب عن الدعاء ، عدا كتب التفسير والحديث والفقه ونحوها ، أخذتُ منها لباب النقول من الكتب الفحول ، أهديها لكل لِسَانٍ سَؤولٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ ، سائلاً الله تعالى أن يُلْبِسَها حُلَل القبول وأن يرزقني وإياكم الثواب المأمول ، وهآنذا أضعها بين يدي القارئ الكريم من باب الذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، يجد فيه وصايا ذهبية صادرة عن إخلاصٍ وحُسْنِ طوية أقدمها لكلِ مسلمٍ راجياً منه أن يُعِرْها سمعه وَفِكْرَه وأن تجد له في سمعه مسمعاً وفي قلبه موقِعاً عسى الله أن ينفعه بها ويُوَفِقْه إلى تطبيقها .

(٣) أنني لا أورد حديثاً إلا عزوته إلى بعض الكتب الصحيحة على المنهج الآتي : ما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بذلك ، وما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما أعزوه إلى صحيح السنن الأربعة إن كان موجوداً بها كلها ، وإن كان موجوداً في بعضها فإنني أعزوه إلى كتابين فقط منهم وإن كان موجوداً في ثلاث ، وإن كان موجوداً في كتاب واحد منهم أعزوه إليه ، وهكذا تجدني أقدم الكتب الستة على غيرها لأنها عماد طالب العلم في الحديث – بعد الله تعالى – ، وما لم يكن في الكتب الستة فإنني أعزو الحديث إلى غيرها من الكتب الصحيحة مثل صحيح الجامع ، صحيح الأدب المفرد ، السلسلة الصحيحة ، كما أنك تجدني أيها القارئ الكريم أحيل في تصحيح الحديث وتضعيفه على العلامةِ الضياءِ اللامعِ والنجم الساطع الشيخ الألباني حفظه الله ، ونحن حينما نحيل على الشيخ الألباني فإننا – ولاشك – نحيلُ على مليٍّ لأنه كوكبُ نظائره وزهرةُ إخوانه في هذا الشأن في زماننا هذا العالم الجليل

الذي وسَّع دائرةَ الاستفادةِ من السنة بتقديمه مشروع (تقريب السنة بين يدي الأمة) ذلك المشروع الذي بذل فيه أكثر من أربعين سنة ، ومن أراد أن يعرف هذه الفائدة العظيمة فلينظر على سبيل المثال إلى السنن الأربعة التي ظلَّت مئات السنين محدودة الفائدة جداً حيث كانت الاستفادة منها مقتصرة على من كان له باع في تصحيح الحديث وتضعيفه ولكن بعد تقديم الشيخ الألباني لصحيح السنن الأربعة اتسعت دائرة الاستفادة حتى تعم كل طالب أراد أن يستفيد وهذا ولا شك فائدة عظيمة جداُ عند من نور الله بصيرته وأراد الإنصاف ، ومن المؤسف في زماننا هذا أن نرى بعض طلبة العلم ممن لا يقام لهم وزناً في العلم يتطاولون على الشيخ الألباني ويجترئون عليه ويترقبون له الهفوات ويتصيدون له الأخطاء ويلتمسون العثرات ليشهروا به وهذا – ولا شك – يدل على فسادِ النية وسوء الطوية وسقامةِ الضمائر ولؤم السرائر ويدل كذلك على أن قلبه أخلى من جوف البعير ، إذ لو تعلم العلم لعلم أن من أدب العلم التوادَ فيه ، ولقد كان ابن عباس – رضي الله عنهما – يأخذ بركاب زيد ابن ثابت – رضي الله عنه – ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء ، وكان الشافعي رحمه الله يقول لعبد الله ابن الإمام أحمد : أبوك من الستة الذين أدعو لهم كل يوم عند السحر ، ولا أدري كيف سوَّلت لهم أنفسهم أن يتطاولوا على عالم صاحب حديث رسول الله أكثر من نصف قرن ولا أدري كيف يتطاولون على العالم والكتاب والسنة طافحين بما يدل على احترام أهل العلم وتوقيرهم ، ألا فليحذر طالب العلم من أن يكون سيئ الخلق ناطحاً للسحاب يترقب للعالم الهفوات ويلتمس العثرات ليشهر به فإن ذلك ينقصُ من مقدار التقوى عنده مما يكون سبباً في حرمانه من العلم ، بل ينبغي لطالب العلم أن يكون كريمَ الطباع حميدَ السجايا مهذبَ الأخلاق سليمَ الصدر مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر إذا تكلم غَنِم وإذا سكت سَلِم وينبغي له أن يعرف أن العالم مع جلالته وعظم قدره قد يخطأ في اجتهاده فإن لكل جوادٍ كبوة ولكل عالم هفوة وسبحان من له الكمال ، فلا يكن خطأ العالم سبب لانتقاصك لحقه أو فرصة للنيلِ منه ، وليكن نصب أعينك أن العالم مثابٌ على اجتهاده سواء أصاب أم أخطأ وحسبُك حديث النبي ﷺ الثابت في الصحيحين عن عبد الله ابن عمرو – رضي الله عنهما –أن النبي ﷺ قال : إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر . ، ثم عليك بعد ذلك أن تترك العالم هو الذي يحكم على العالم و أخرج من بين النسور ولا تناطح السحاب .

أنا أقدم هذا الكتاب كتمرين لطالب العلم على حفظ المسألة بأدلتها من الكتاب والسنة الصحيحة حتى ينشأ طالب العلم على هذا النحو وحتى يصل إلى أن يكون ذلك طبعاً له لا تكلفاً ويكون الكتاب والسنة له كالجناحين للطائر يتمسك بهما ويعض عليهما بالنواجذ لأن ذلك سبيل النجاةِ من الضلال لقول النبي ﷺ فيما ثبت في صحيح الجامع عن أبى هريرة رضي الله عنه (تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض)

ويجب التنبيه على طالب العلم أن يتمسك بالوحيين كليهما (الكتاب والسنة) وليس الكتاب فقط لقول النبي ﷺ فيما ثبت في صحيح أبي داوود عن المقدام ابن معد يكرب رضي الله عنه (ألا وإني أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه) من المؤسف فى زماننا هذا تجرئ بعض الجهلة على النبي ﷺ فيقولون انه بشر مثلنا هات الدليل من القرآن فقط ــ وهذا يدل ولا شك ــ على أن قائل هذه العبارة جاهل جهلا مركب بل هو أضل من حمار أهله ، وقد أخبر النبي ﷺ أن هذا سيقع في أمته فقال فيما ثبت في صحيحي أبى داود و الترمذي عن المقدام ابن معد يكرب رضي الله عنه (يوشك الرجل متكئاً على أريكته يُحَدَثُ بحديثٍ من حديثٍ فيقول بيننا وبينكم كتاب الله،فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه وما وجدنا فيه من حرامٍ حرمناه ، ألا وإن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرم الله)

) ولقد كان السلف الصالح يدعون إلى التمسك بالوحيين كليهما ويُضَلِلُون من يتمسك بالكتاب فقط ، قال أبو قلابة: إذا رأيت رجل يقول هات الكتاب ودعنا من السنة فاعلم أنه ضال .

[*] وقال الإمام احمد رحمه الله:

دين النبي محمدٍ أخبارُ — نعم المطيةُ للفتى الآثارُ
لا ترغبنَّ عن الحديثِ وأهله — فالرأيُ ليلٌ والحديثُ نهارُ

[*] وقال الشافعي رحمه الله

كُلُ العلومِ سوى القرآنِ مشغلةٌ		إلا الحديثِ وعلم الفقه في الدين
العلمُ ما كان فيه قال حدثنا		وما سوى ذاك وسواسِ الشياطين

٤- أختم الكتاب بفهرس مزود بأرقام الصفحات لسهولة الحصول على العنصر المراد من الكتاب .

هذا والله أسأل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وسبباً لنيلِ جناتِ النعــيم وأن يعصـــمني وقارئه من الشيطان الرجيم ، وأن يتقبل ذلك عنده بقبولٍ حسن ، كما نسأله سبحانه أن يُعلِّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما عَلَّمنا، وأن يزيدنا عِلمًا، وما كان في هذا الكتاب من صــوابٍ فمــن الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، والله برئ منه وأنا راجعٌ عنـــه بإذن الله ، فنسأل الله أن يحملنا على فضله ولا يحملنا على عدله إنه سبحانه على من يشـــاءُ قدير وبالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه.

أبو رحمة / محمد نصر الدين محمد عويضة

المدرس بالجامعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة فرع مدركة ورهاط وهدى الشام

١٤١٦/٩/٢٨ هجرية

تعريف الدعاء وحقيقته

➢تعريف الدعاء في اللغة: الدعاء لغة : الطلب والابتهال : يُقال : دعوتُ الله أدعوه دعـاءً : ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير[1] ودعا الله : طلب منه الخير ورجاه منه ، ودعا لفلان : طلب الخير له ، ودعا على فلان : طلب له الشر[2].

➢تعريف الدعاء في الشرع : أما في الشرع فقد عرف بعدة تعريفات لعل أفضلها هو تعريف الإمام الضياء اللامع ابن القيم ☜

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الدعاء هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو دفعه .

وحقيقته: إظْهَارُ الافْتِقَارِ إلى الله تعالى، والتَّبرُؤ من الحول والقوة، وهـو سِـمَةُ العبوديـة، واسْتِشْعَارُ الذِّلَةِ البَشَرِيَّةِ،وفيه معنى الثَّنَاءُ على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجُودِ والكَرَمِ إليه[3].

[*] وقال الشيخ علي الحذيفي : حقيقة الدعاءِ تَعْظِيمُ الرَّغْبَةِ إلى الله فـي قضـاءِ الحاجـاتِ الدُنْيويَةِ والأُخْرَوِيَةِ ، وكَشْفِ الكُرُبَاتِ ودَفْعِ الشُّرُورِ والمَكْرُوهَاتِ الدُّنيوية والأُخْرَوِيَةِ[4].

فَضْلُ اَلْدُّعَاء وبَيَانُ أنَّ اَلْدُّعَاء مِنْ أعْظَمِ أنْوَاعِ اَلْعِبَادَاتِ

➢أنواع الدعاء⮜

[*]➢كل دعاء ورد في الكتاب والسنة فإنه يتناول نوعين اثنين، ويندرج تحتهمـا، وهـذان النوعان هما:

(١) دعاء المسألة.

---

(١) المصباح المنير ١٩٤/١.

(٢) المعجم الوسيط٢٦٨/١.

٣ أنظر شأن الدعاء ، ص ٤ .

٤ من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي بتاريخ : ١٣- ٤-١٤٢٤هـ وهي بعنوان : فضل الدعاء وآدابه، يمكن قراءتها أو الاستماع إليها عبر موقع: www.alminbar.net .

(٢) دعاء العبادة.

الأول: دعاء المسألة، وهو السؤال والطلب من الله تعالى، كأن تقول: رب اغفر لي واهدني، فهذا دعاء عبادة وطلب من الله عز وجل، وهذا واضح معروف.

الثاني: دعاء العبادة، فالصلاة دعاء، والصوم دعاء، والحج دعاء، وذلك لأن العبد الذي يتلبس بعبادة من هذه العبادات يفعل ذلك ولسان حاله: يا رب أنت أمرتني فاستجبت لك وأطعتك، وهاأنذا متلبس بهذه العبادة فاقبلها مني، وهذا فيه معنى التضرع والسؤال والدعاء، وأصل معنى الصلاة في اللغة هو الدعاء، فالثناء والعبادة المحضة من أفضل الدعاء، فاستحضار مثل هذه المعاني يقرّب العبد من ربه، ويجعل العبادة أكثر قرباً إلى مقاصدها التعبدية.

[*] قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين _ يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة.

وهذه قاعدة نافعة؛ فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة _ دعاء المسألة فقط ، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء .

وهذا خطأ جرهم إلى ما هو شر منه؛ فإن الآيات صريحة في شموله لدعاء المسألة، ودعاء العبادة .

تعريف دعاء المسألة: هو أن يطلب الداعي ما ينفعه، وما يكشف ضره.

أو هو ما تضمن مسألة، أو طلبًا، كأن يقول الداعي: أعطني، أكرمني، وهكذا...

[*]⮘وهذا النوع على ثلاثة أضرب:

(١) سؤال الله ودعاؤه : كمن يقول: اللهم ارحمني واغفر لي، فهذا من العبادة لله .

(٢) سؤال غير الله فيما لا يقدر عليه المسئول: كأن يطلب من ميت أو غائب أن يطعمه، أو يغيثه، أو أن يشفي مرضه، فهذا شرك أكبر.

(٣) سؤال غير الله فيما يقدر عليه المسؤول: كأن يطلب من حيٍّ قادرٍ حاضرٍ أن يطعمه، أو يعينه فهذا جائز .

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد مضت السُّنَّةُ أن الحيَّ يطلب منه الدعاء كما يطلب منه سائر ما يقدر عليه .

وأما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شيء .(٥)

---

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ص١٦٥.

ومن هذا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) [القصص / ١٥]

➢تعريف دعاء العبادة : أما دعاء العبادة فهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب وداعٍ بلسان مقاله ولسان حاله ربَّه قبولَ تلك العبادة، والإثابة عليها، فهو العبادة بمعناها الشامل .

ولهذا لو سألت أي عابد مؤمن: ما قَصْدُك بصلاتك، وصيامك، وحجك، وأدائك لحقوق الله وحق الخلق ؟ _ لكان قلب المؤمن ناطقًا قبل أن يجيبك لسانه: بأن قصدي من ذلك رضا ربي، ونيل ثوابه، والسلامة من عقابه؛ ولهذا كانت النية شرطًا لصحة الأعمال وقبولها وإثمارها الثمرة الطيبة في الدنيا والآخرة .[6]

ولهذا فَصَرْفُ دعاء العبادة لغير الله يعد شركًا أكبر؛ لأن من يدعو غير الله إنما يتقرب إليه حتى يجيب دعاءه، ويثيبه على فعله.

وهكذا دعاء المسألة إلا فيما يوجه للمخلوق الحي ، الحاضر، القادر؛ فليس من العبادة؛ لقصة موسى المذكورة في سورة القصص، وهي قوله_سبحانه: (فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) [القصص / ١٥]

والأدلة في ذلك كثيرة .

➢تلازم نوعي الدعاء: من خلال ما مضى يتبين لنا أن نوعي الدعاء متلازمان؛ ذلك أن الله _ عز وجل _ يُدعى لجلب النفع ودفع الضر دعاء المسألة، ويدعى خوفًا ورجاءً دعاء العبادة؛ فعلم أن النوعين متلازمان؛ فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة.[7]

➢أمثلة لتلازمهما[8]:

(١) قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[غافر/ ٦٠] أي أستجب طلبكم، وأتقبل عملكم.

ولهذا قال تعالى: (إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ) [غافر / ٦٠]] ،

---

* من تعليقات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز .

(6) القواعد الحسان، ص١٥٥.

* من تعليقات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز .

(7) انظر بدائع الفوائد، ٣/٣.

(8) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٢٣٧ _ ٢٤٠ والقواعد الحسان، ص ١٥٥_١٥٧.

فسمى ذلك عبادة؛ وذلك لأن الداعي دعاء المسألة يطلب سؤله بلسان المقال، والعابد يطلب من ربه القبول والثواب، ومغفرة الذنوب بلسان الحال.

(٢) قال تعالى: (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [الأعراف / ٢٩

فَوَضْعُ كلمة الدِّين موضع كلمة العبادة_ وهو كثير في القرآن _ يدل على أن الدعاء هو لب الدين، وروح العبادة.

ومعنى الآية هنا : أخلصوا له إذا طلبتم حوائجكم، وأخلصوا له أعمال البر والطاعة.

(٣) قال تعالى: (وَإِذَا مَسّ الإِنسَانَ الضّرّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً)[يونس / ١٢]

يدخل في قوله : دعانا (دعاءُ المسألة) ؛ فإنه لا يزال مُلِحًّا بلسانه، سائلاً دفع ضرورته.

ويدخل في (دعاء العبادة)؛ فإن قلبه في هذه الحال يكون راجيًا طامعًا، منقطعًا عن غير الله، عالمًا أنه لا يكشف ما به من سوء إلا الله، وهذا دعاء عبادة.

(٤) قال تعالى: (ادْعُواْ رَبّكُمْ تَضَرّعاً وَخُفْيَةً) [الأعراف / ٥٥]

فقوله تعالى ادعوا يدخل فيه الأمران ؛ فكما أن من كمال دعاء الطلب كثرةَ التضرع، والإلحاح، وإظهار الفقر والمسكنة، وإخفاء ذلك، وإخلاصه _ فكذلك دعاء العبادة؛ فإن العبادة لا تتم، ولا تكمل إلا بالمداومة عليها، ومقارنة الخشوع، والخضوع، وإخفائها، وإخلاصها لله _ تعالى _.

(٥) قال تعالى: (فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ) [الشعراء / ٢١٣]

وقوله تعالى: (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَـٰهَا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) [المؤمنون / ١١٧] وقوله تعالى (فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللّهِ أَحَداً) [الجن / ١٨]

يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة؛ فكما أن من طلب من غير الله حاجة لا يقدر عليها إلا الله فهو مشرك كافر _ فكذلك من عبد مع الله غيره فهو مشرك كافر.

(٦) وقوله تعالى قال تعالى: (وَلِلّهِ الأسْمَآءُ الْحُسْنَىَ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف /١٨٠] يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

أما دعاء المسألة فإنه يسأل الله تعالى في كل مطلوب باسم يناسب ذلك المطلوب ويقتضيه، فمن سأل رحمة الله ومغفرته دعاه باسم الغفور الرحيم ، ومن سأل الرزق سأله باسم الرزاق، وهكذا...

أما دعاء العبادة فهو التعبد لله _ تعالى _ بأسمائه الحسنى، فيفهم أولاً معنى ذلك الاسم

الكريم، ثم يديم استحضاره بقلبه حتى يمتلئ قلبه منه؛ فالأسماء الدالة على العظمة والكبرياء تلأ القلب تعظيمًا وإجلالاً لله _ تعالى _.

والأسماء الدالة على الرحمة، والفضل، والإحسان تملأ القلب طمعًا في فضل الله، ورجاء رَوْحِهِ ورحمته.

والأسماء الدالة على الود، والحب، والكمال تملأ القلب محبة، وَوُدًّا، وتألُّهًا، وإنابة إلى الله _ تعالى _.

والأسماء الدالة على سعة علمه، ولطيف خُبره _ توجب مراقبة الله، والحياء منه، وهكذا...

وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال، وأجل الأوصاف، ولا يزال العبد يجاهد نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية .

[*]⮜حاجة الناس إلى الدعاء :

[*]⮜إن من المعلوم شرعاً أن الناس في أمس الحاجة إلى الدعاء لأنهم مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم، قال تعالى: {يا أيها النَّاسُ أنتُمُ الفُقراءُ إلى اللهِ واللهُ هوَ الغنيُّ الحَميدُ} [فاطر /١٥]

ومما يوضح ذلك ويبينه الحديث الآتي :

(حديث أبي ذرٍ في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني

فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

فلا يوجد مؤمن إلا ويعلم أن النافع الضار هو الله سبحانه ، وأنه تعالى يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، ويرزق من يشاء بغير حساب ، وأن خزائن كل شيء بيده ، وأنه تعالى لو أراد نفع عبد فلن يضره أحد ولو تمالأ أهل الأرض كلهم عليه ، وأنه لو أراد الضر بعبد لما نفعه أهل الأرض ولو كانوا معه . لا يوجد مؤمن إلا وهو يؤمن بهذا كله ؛ لأن من شك في شيء من ذلك فليس بمؤمن ، قال الله تعالى : {وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } [يونس : ١٠٧] .

فلا ينفع ولا يضر إلا الله تعالى { إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } [النحل : ٥٣]

{ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ } [الإسراء : ٦٧] سقطت كل الآلهة ، وتلاشت كل المعبودات وما بقي إلا الله تعالى { ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ }[الإسراء : ٦٧]

{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً } [الفتح :١١]

لا يسمع دعاء الغريق في لجة البحر إلا الله . ولا يسمع تضرع الساجد في خلوته إلا . ولا يسمع نجوى الموتور المظلوم وعبرته تتردد في صدره ، وصوته يتحشرج في جوفه إلا الله . ولا يرى عبرة الخاشع في زاويته والليل قد أسدل ستاره إلا الله {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى {٧} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى }[طه:٨]

وهذا يقتضي أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في أمور دينهم ودنياهم،

قال تعالى: (يَأَيّهَا النّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ) [فاطر / ١٥]

فالعباد لا يملكون لأنفسهم شيئاً من ذلك كله، وأن من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يحرمها في الدنيا، ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه أوبَقَتْه خطاياه في الآخرة(٩).

فجميعُ الخلق مفتقرون إلى الله، مفتقرون إلى الله في كل شؤونِهم وأحوالِهم، وفي كل كبيرةٍ وصغيره، وفي هذا العصرُ تعلقَ الناسُ بالناسِ، وشكا الناسُ إلى الناس، ولا بئسَ أن يُستعانُ

(٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله ٣٧/٢.

بالناس في ما يقدرون عليه، لكن أن يكونَ المُعتمَدُ عليهم، والسؤال إليهم، والتعلقُ بهم فهذا هو الهلاكُ بعينه، فإن من تعلق بشيٍ وكلَ إليه.

➢والإنسان لا يستغني عن ربه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يردد كثيرا: " لا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

فقيراً جئتُ بابك يا إلهي.........ولستُ إلى عبادك بالفقيرِ

غنياً عنهمُ بيقينِ قلبي...........وأطمعُ منك في لفضلِ الكبيرِ

الهي ما سألتُ سواك عونا......فحسبي العونُ من ربٍ قدير

الهي ما سألتُ سواك عفوا.....فحسبي العفوُ من ربٍ غفورِ

الهي ما سألتُ سواك هديا.....فحسبي الهديُ من ربٍ بصير

إذا لم أستعن بك يا الهي......فمن عونيِ سواك ومن مجيرِ

إن الفرار إلى الله، واللجوء إليه في كلِ حالٍ وفي كل كربٍ وهم، هو السبيلُ للتخلصَ من ضعفنا وفتورنا وذلنا و هواننا.

إن في هذه الدنيا مصائبَ ورزايا، ومحناً وبلايا، آلامُ تضيقُ بها النفوس، ومزعجاتُ تورث الخوفَ والجزع، كم في الدنيا من عينٍ باكيةٍ ؟

وكم فيها من قلب حزين؟

وكم فيها من الضعفاءِ والمعدومين، قلوبُهم تشتعل، ودموعُهم تسيل ؟ هذا يَشْكُ علةً وسقما، عزيزٌ قد ذل، وغنيٌ افتقر، وصحيحٌ مرض، رجل يتبرم من زوجه وولده، وآخرُ يشكُ ويئنُ من ظلمِ سيده.

وثالثٌ كسدة وبارت تجارته، شاب أو فتاة يبحث عن عروس، وطالب يشكو كثرة الامتحانات والدروس.

هذا مسحور وذاك مدين ،وأخر ابتليَ بالإدمان والتدخين، ورابعُ أصابه الخوفُ ووسوسةُ الشياطين.

وذاك حاجةً وفقرا.

وآخر هماً وقلقا.

تلك هي الدنيا، تضحكُ وتبكي، وتجمعُ وتشتت، شدةُ ورخاءُ وسراءٌ وضراءُ.

وصدق الله العظيم: (لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ). [الحديد / ٢٣]

فارفع يديك وأسل دمع عينيك، وأظهر فقرك وعجزك، واعترف بذُلِكَ وضَعْفَك.

➢والدعاء سلاحٌ عجيب ٌ فَعَّال وسهمٌ نافذ لا يخيب :

إن الحياة قد طبعت على كدر، وقلما يسلم الإنسان من خطر، مصائب وأمراض، حوادث وأعراض، أحزان وحروب وفتن، ظلم وبغي، هموم وغموم.

ويتقلب الناس في هذه الدنيا بين فرح وسرور ، و شدة وبلاء ، وفقر وغنى وتمر بهم سنين ينعمون فيها ، وتعصف بهم أخرى عجاف ، يتجرعون فيها الغصص أو يكتوون بنار البُعد والحرمان .

وهذه هي حقيقة الدنيا إقبال وإدبار فرح وحزن ، شدة ورخاء ، سقم وعافية إلا أن الله تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه، فتح لهم باباً يتنفسون منه الرحمة، وتنزل به على قلوبهم السكينة والطمأنينة، ألا وهو باب الدعاء.

ولا يزال المؤمن بخير ما تعلق قلبه بربه ومولاه ، كيف لا يكون كذلك وبيده سلاح لا كأي سلاح ، سلاح لا تصنعه مصانع الغرب أو الشرق ، إنه أقوى من كل سلاح مهما بلغت قوته ودقته ، والعجيب في هذا السلاح أنه عزيز لا يملكه إلا صنف واحد من الناس، لا يملكه إلا المؤمنون الموحدون، إنه سلاح رباني ، سلاح الأنبياء والأتقياء على مرّ العصور.

سلاح نجى الله به نوحًا عليه السلام فأغرق قومه بالطوفان ، ونجى الله به موسى عليه السلام من الطاغية فرعون، نجى الله به صالحًا، وأهلك ثمود، وأذل عادًا وأظهر هودَ عليه السلام، وأعز محمدًا صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة.

سلاح حارب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعتى قوتين في ذلك الوقت: قوة الفرس، وقوة الروم، فانقلبوا صاغرين مبهورين، كيف استطاع أولئك العرب العزَّل أن يتفوقوا عليهم وهم من هم، في القوة والمنعة، ولا يزال ذلكم السلاح هو سيف الصالحين المخبتين مع تعاقب الأزمان وتغير الأحوال ٬ تلكم العبادة وذلكم السلاح هو الدعاء .

هذا السلاح يطفيء نيران الدبابات .

بل إن الاسرى يُفكون بهذا السلاح

جاء مالك الأشجعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أُسر ابنى عوف فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أرسل إليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله وكانوا قد شدوا قيده فسقط القيد فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها و أقبل فمر بغنم للعدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وقص عليه الخبر فقال أبوه قف حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها ، فلما أخبره بذلك قال صلى الله عليه وسلم) اصنع بها ما أحببت ونزل قول الله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)[10]

➢والدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل ، وسهمٌ لا يخيب وأعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وإليك غيضٌ من فيض ونقطةٌ من بحر مما ورد في هذا :

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لا يغني حذر من قدر و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ ولا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء .

(أعجز الناس من عجز عن الدعاء) : أعظم ما يشق على المسلم أن يغلق عليه في الدعاء،

[*] قال عمر بن الخطاب :

[10] - ابن جرير فى تفسيره

" أني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء" فاذا فتح على العبد في دعائه من معاني الحمد والثناء دعا الله وحسن الظن به والتعلق والرجاء به وتعظيم الرغبة مما عند الله والثقة بوعد الله فينبغي عليه أن يقبل على الدعاء وأن يصرف همته في ذلك لاسيما في الأزمان والأماكن الفاضلة ، وعند نزول الضر وحصول الشدائد، ومن أكثر طرق هذا الباب فتح له، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

[*] يقول جعفر الصادق رضي الله عنه :

عجبت لأربعة كيف يغفلون عن أربع:

عجبت لمن أصابه ضر كيف يغفل عن قول الله: (أَنِّي مَسَّنِيَ الضرّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ) [الأنبياء / ٨٣]

والله سبحانه وتعالى يقول: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرّ) [الأنبياء / ٨٤]

وعجبت لمن أصابه غم كيف يغفل عن قول الله: (لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ) [الأنبياء /٨٧]

والله سبحانه وتعالى يقول: (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمّ وَكَـذٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ) [الأنبياء /٨٨]

وعجبت لمن يخاف كيف يغفل عن: (حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ) [آل عمران /١٧٣]

،والله تعالى يقول: (فَٱنْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء) [آل عمران /١٧٤]

وعجبت لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن (وَأُفَوّضُ أَمْرِى إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ) [غافر /٤٤]

، والله تعالى يقول: (فوقَاهُ ٱللَّهُ سَيّئَاتِ مَا مَكَـرُواْ وَحَاقَ بِـآلِ فِرْعَوْنَ سُوء ٱلْعَذَابِ) [غافر /٤٥]

أخى : أمن يجيب المضطر إذا دعاه ،

أخى : هل عندك أسير تريد فك أسره ،

أخى : ألست فى حاجة إلى الله (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله)

أخي : في كل ذلك عليك بالتضرع إلى الله ،،،،،،،،

أخي الحبيب هل وقفت مع نفسك ؟

كم مرة انطرحت بين يدي الله ؟

كم مرة أحسستَ فيها بصدق المناجاة ؟

أليس لك حاجة بل حاجات إلى رب الأرض والسماوات ؟

أعجَزتَ أن تنفع نفسك بدعوة صالحة ؟ علّ الله أن ينفعك بــها .

أخي من أدمن طرق الباب يوشك أن يفتح له ..... زد في الطرق يزاد لــك فــي العطــاء من رب الارض والسماوات .

إلهي :

كم لك سواي، وما لي سواك، عبيدك سواي كثير وليس لي سيد سواك ، فبفقري إليك وغناك عني ، وبقوتك وضعفي ، وبعزك وذلي ، إلا رحمتني وعفوت عني ، هذه ناصــيتي الكاذبــة الخاطئة بين يديك، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته، ورغم لك أنفه، وفاضت لــك عينــه، وذل لــك قلبه، الله لا تعذب نفساً قد عذبها الخوف منك ، ولا تخرس لساناً كل ما يرويه عنك، ولا تقــذ (أى لا تعمي) بصراً طالما بكى من مخافتك، ولا تخيب رجاء هو معلق بك ، ولا تحرق بالنــار وجهاً سجد لعظمتك ، ولا تعذب بناناً كتب في طاعتك ولا لساناً دل الناس على شريعتك !! يــا أرحم الراحمين !! يا الله .

اللهم يا موضع كل شكوى، ويا سمع كل نجوى، ويا شاهد كل بلوى، يا عالم كل خفية، و يــا كاشف كل بلية، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين ندعوك دعاءَ من أشدت فاقته، وضعفت قوته، وقلت حيلته دعاء الغرباء المضطرين الذين لا يجدون لكشف ما هم فيه إلا أنت.

يا أرحم الراحمين أكشف ما بنا وبالمسلمين من ضعف وفتور وذل وهوان.

يا سامعا لكل شكوى أعن المساكين والمستضعفين وأرحم النساء الثكالى والأطفــال اليتــامى وذي الشيبة الكبير، إنك على كل شيء قدير.

➢ألم يأن لنا أن ننتبه إلى أن الدعاءُ أكرم شيء على الله، شرعه الله لحصول الخيــر ودفــع الشر، فالدعاءُ سبب عظيم للفوز بالخيرات والبركات، وسببٌ لــدفع المكروهــات والشــرورِ والكربات، والدعاءُ من القدَر ومن الأسبابِ النافعة الجالبة لكلِّ خير والدافعة لكل شرّ .

الدعاء به تُفرّجُ الشدّائد ، وتُنفّسُ الكُرب فكم سمعنا عمن أُغلقت في وجهه الأبواب ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، ثم طَـرَقَ باب مسبب الأسباب ، وألحّ على الله في الدعـاء، ورفع إليه الشكوى ، وبكى فَفُتِحَتْ له الأبواب ، وانفرج ما به من شِدّة وضيق .

ألم تسمع قصة أولئك الثلاثة الذين دخلوا غـاراً فأغْلَقَتْ عليهـم الباب صخـرةٌ عظيمة ، فما كان منهم إلا أن دعوا الله بصالح أعمالِهم وأخلصِها ، فانفرجت الصخرةُ وخرجوا يمشون .

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلـق ثلاثـة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسـدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمـالكم، فقـال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بـي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهمـا فوجـدتهما نـائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتـى بـرق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني، حتـى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبـين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت مـن الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهـم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهـم لا يسـتطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهـم إنـي اسـتأجرت أجـراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأمـوال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبـل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بـك، فأخـذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا مـا نحـن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

➢ألم يأن لنا جميعاً أن نمد أيدينا إلى مالك الملك ، وإلى مَنْ بيده ملكوت كلّ شـيء ، وهـو يُجير ولا يُجار عليه ؟

ونقول :-

يا أمان الخائفين سبحانك ما أحلمك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك على من سألك وما أرافك بمن أملك، من الذي سألك فحرمته، ومن الذي فر إليك فطردته أو لجأ إليك فأسلمته ، أنت ملاذنا ومنجانا فلا نعول إلا عليك ولا نفر من خلقك ومنك إلا إليك يا أمان الخائفين .

فلماذا البخل على أنفسنا ؟

إلى متى العجز والكسل ؟

إن ما بيننا وبين السماء السابعة سوى مسافة دعوة مظلوم .

وما بيننا وبين باب ذي المنن سوى قَرْعِهِ وإدامة ذلك .

فادع يا أخي وزد في الدعاء بالليل والنهار فلن تخيب دعواتك فإن الدعاء سهمٌ لا يخيب :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

أتهزأُ بالدعاءِ وتزدريه	وما تدري بما صنع الدعاءُ
سهامُ الليلِ لا تُخطي ولكن	لها أمدٌ وللأمدادِ انقضاءُ

حاجة الأمة إلى الدعاء

إن أمة الإسلام اليوم في كرب شديد وضائقة عظيمة وشدة كبيرة تمر بأصعب مراحلها وأشق أيامها تكالبت عليها الأمم وتداعت عليها الدول وتآمر عليها الأعداء، تزرع لأبنائها الشهوات وتصدر لهم الشبهات وتقدم لهم المغريات، أجمعوا كيدهم وأمرهم عليها، إن الكرب في ازدياد

والخطر في اشتعال والمكر في اجتهاد، وليس لها من دون الله كاشفة، وإن من أمضى الأسلحة وأقوى الأسباب الدفاع وأحدّ السيوف الفتك هو الدعاء، فليس لنا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، فيجب علينا كثرة الدعاء واللجوء إلى الله تعالى مع البعد عن موانع الإجابة.

ولنعلم أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وإذا كان الله معنا فلو اجتمعت أمم الأرض بأمضى أسلحتها وأحدث آلاتها فإن النصر حليفنا والتوفيق نصيبنا (إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ) [آل عمران /١٦٠]

إن أمة الإسلام اليوم في حالة الاضطرار ولا يجيب المضطر إلا الله جل وعلا ويا عجباً لهذه الأمة ألم يأن لها أن تخشع وتدع التنكر لأسباب نصرها وأسرار عزها ودروب مجدها!!

لقد جربت النصرة من عند غير الله واللجوء إلى سوى الله فلم تزدد إلا ذلاً، ولم تقطف إلا نكداً، ولم تشرب إلا علقماً، فهل آن لها أن تلجأ إلى حصن حصين وركن شديد فتجني ثمار العزة وتتذوق حلاوة النصر وتتربع على عرش الدنيا، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

إذا علم ذلك فإن الدعاء سبب للثبات والنصر على الأعداء قال تعالى عن طالوت وجنوده لما برزوا لجالوت وجنوده (قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ) [البقرة /٢٥٠].

فماذا كانت النتيجة ؟

(فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ) [البقرة /٢٥١].

☜واقرؤوا تاريخ الأمة المجيد لتروا العجب العجاب من أثر الدعاء وأنه سبب رئيس للنصر والتمكين، فعله صلى الله عليه وسلم ليلة معركة بدر، ترى ذلك في قيامه وتضرعه وابتهاله إلى ربه، وهو أمر معروف مشهور.

معاشر الأخوة اسمعوا وعوا، وأعلموا وأعلنوا، إن مصيبتنا ليست بقوة عدونا، إنما هي بضعف صلتنا بربنا، وضعف ثقتنا وقلة اعتمادنا عليه، لنفتش في أنفسنا عند وقوعنا في الشدائد والمحن، أين الضراعة والشكوى لله، أين اللجاءة والمنجاة لله؟ ليس شيء أفضل عند الله من الدعاء لأن فيه إظهار الفقر والعجز، والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته وغناه.

أيها المسلمون، نريد أن تعلم فن الدعاء والتذلل والخضوع والبكاء، لنعترف بالفقر إليه، ولنظهر العجز والضعف بين يديه، أليس لنا في رسول الله قدوة، أليس لنا فيه أسوة، أوذي أشد الأذى، وكذّب أشد التكذيب، أتهم بعرضه وخدشت كرامته، وطرد من بلده، عاشا يتيما وافتقر، ومن شدةِ الجوع ربط على بطنه الحجر، قيل عنه كذابُ وساحر، ومجنونُ وشاعر، توضعُ العراقيلُ في طريقه، وسلى الجزورِ على ظهره، يشجُ رأسُه، وتكسرُ رباعيتُه، يقتلُ عمه، جمعوا عليه الأحزابَ وحاصروه، المشركون والمنافقون واليهود.

يذهبُ إلى الطائفِ يبلغُ دعوتَه فيقابلَ بالتكذيبِ والسبِ والشتمِ، ويطُردَ ويلاحقَ ويرمى بالحجارةِ فماذا فعل –بأبي هوَ وأمي– (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

أين ذهب، من يسأل، على من يشكو، إلى ذي الجبروتِ والملكوتِ، إلى القوي العزيز، فأعلن (صلى الله عليه وآله وسلم) الشكوى، ورفعَ يديه بالنجوى، دعاء وألحَ وبكاء، وتظلمَ وتألمَ وشكا، لكن اسمع لفنِ الشكوى وإظهار العجزِ والضعفِ والافتقار منه (صلى الله عليه وآله وسلم)

هكذا كان (صلى الله عليه وآله وسلم) ضراعة ونجوى لربه.

وهذا العلاء الحضرمي رضي الله عنه يدعو ربه فيسير بجيش المسلمين بأكمله على صفحة الماء، ولما عطشوا ولم يجدوا ماءً لوضوئهم دعا ربه فهطلت السماء كأفواه القرب ثم دعا ربه النصر للمسلمين وأن يخفي عليهم مكان قبره واستجاب الله لدعائه فرضي الله عنه وأرضاه .

وهذا البراء بن مالك يسأل ربه النصر للمسلمين ولنفسه الشهادة وكان مجاب الدعوة فيستجيب الله له "لقي البراء المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يا براء إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنك لو أقسمت على الله لأبرك)) فأقسم على ربك، قال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بنبيك، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً ".

وفي يوم نهاوند قال النعمان بن مقرن رضي الله عنه: (اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام وذل يذل به الكفار ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة قال: أمّنوا رحمكم الله قال جبير: فأمّنا وبكينا ثم حمل فكان أول صريع).

فرحمك الله ورضي عنك من قائد جيش، وهذا باب يطول استقصاؤه. فما أشد حاجة الأمة اليوم إلى الدعاء خاصة للمجاهدين المرابطين على الثغور .... ففي فلسطين الجريحة وحول الأقصى السليب يواجه أبناء المسلمين عدواً شرساً حقوداً تمده حبائل الغرب الصليبي الحاقد بكل ما يريد من عتاد وسلاح.

فالله الله أن تلحوا بالدعاء وتتحروا أوقات الإجابة بالدعاء لهم والدعاء على عدوهم، فشأن الدعاء عجيب وعظيم، وهذا أقل ما نقدمه لإخواننا أن نواسيهم بدعائنا، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

أخي ـ في دعائك للإسلامَ والمسلمين بالدّعوة الصالحة، أئمّتَهم وعامّتهم، بأن يعزَّ الله الإسلامَ وأهلَه في كلّ مكان، ويحفظَ الإسلامَ وأهلَه في كلّ مكان، ويخذلَ أعداءَ الإسلام، ويكفَّ شرَّهم، ويبطِل كيدَهم ومكرَهم، لا سيّما في هذا العصر الذي تعدّدت فيه مصائبُ المسلمين، وكثرَت همومهم وغُمومُهم، ووصلوا إلى حالةٍ لا يقدِر أن ينجيَهم إلا الله، اقتداءً برسولِ الله صلى الله عليه وسلم حيث أمره الله تعالى بقوله: (فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَ ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ) [محمد /١٩] ،

لقد استجاب الله عز وجل، وحقق دعاء الداعين، وتأمين المؤَمِّنين، ولبّى حاجة عباده المضطرين

: (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِىَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ) [المدثر /٣١].

(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [الأنفال /١٧].

وقال تعالى(وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مّنَ ٱللَّهِ فَأَتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يأُولِى ٱلأَبْصَـٰرِ) [الحشر /٢].

وقال عزَّ من قائل(ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ) [الفجر / من ١٢ : ١٤].

وهكذا ترون ـ أن الله الذي نصر الأمم السابقة بالريح الصرصر العاتية، والعواصف المدمرة، وبالأوبئة والأمراض المختلفة، وبالفيضانات والأمطار الطوفانية... قادرٌ أن ينصرنا بما شاء

وكيف شاء في كل زمان ومكان، ما التزمنا بتعاليم ديننا ونصرناه: (وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ) [الحج / ٤٠].

هل يدعو العبد ربه مع أن الله يعلم حاجته

يردد البعض حديث لفظه : (علمه بحالي يغني عن سؤالي) ويستدلون به على أنه لا حاجة للإنسان أن يدعو الله ، لأن الله يعلم حاجة الإنسان ، فما صحة هذا الكلام فما الجواب ؟

الجواب :

أن هذا القول قول باطل ، لأنه مناف للإيمان بالقدر ، وتعطيل للأسباب ، وترك لعبادة هي أكرم العبادات على الله عز وجل .

فالدعاء أمره عظيم وشأنه جليل ، فبه يرد القدر ، وبه يرفع البلاء ، فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل . وهاك غيضٌ من فيض مما نزل في فضل الدعاء :

(حديث النعمان بن بشير في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : الدعاء هو العبادة ، ثم تلا قوله تعالى: (وَقَالَ رَبّكُـمْ ادْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال من لم يسال الله يغضب عليه .

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء .

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

(حديث سلمان في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر .

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لا يغني حذر من قدر و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء .

وربما استشهد بعض من يترك الدعاء كبعض الصوفية بحديث : (حسبي من سؤالي علمه بحالي) ، وهذا الحديث باطل لا أصل له ، تكلم عليه العلماء ، وبينوا بطلانه .

[*] فقد ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء مشيراً إلى ضعفه فقال :

(وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار : (لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريك لك ، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار ، واستقبله جبريل فقال : يا إبراهيم ، لك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، فقال جبريل : فاسأل ربك ، فقال إبراهيم : حسبي من سؤالي علمه بحالي) تفسير البغوي معالم التنزيل ٣٤٧/٥

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث :

(وأما قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي فكلام باطل ، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء ، من دعائهم لله ، ومسألتهم إياه ، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة). مجموع الفتاوى ٥٣٩/٨

[*] وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث :

(لا أصل له ، أورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو من الإسرائيليات ، ولا أصل له في المرفوع) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٨/١(٢١)

وقال بعد ذلك عن الحديث : (وقد أخذ هذا المعنى بعض من صنف في الحكمة على الطريقة الصوفية فقال : سؤالك منه – يعني الله تعالى – اتهام له) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٩/١

ثم قال رحمه الله تعليقاً على تلك المقولة : (هذه ضلالة كبرى ، فهل كان الأنبياء صلوات الله عليهم متهمين لربهم حين سألوه مختلف الأسئلة ؟) سلسلة الأحاديث الضعيفة ٢٩/١

حكم الدعاء

ذهب جمهور العلماء إلى أن الدعاء واجب على كل مسلم، للأدلة التالية:

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ) [سورة: الذاريات – الأيـة: ٥٦] وقـد ورد في تفسير هذه الآية أي أن الله خلق المخلوقات ليعبدوه ويعرفوه ويخضعوا لـه ويتـذللوا، سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

فإذا كان الدعاء هو العبادة، وغاية خلق الجن والإنس العبادة أي "الدعاء" كان لزاماً على كل مسلم الالتجاء إلى الله –تعالى– والخضوع له، والتذلل بالدعاء في كل وقت وحين .

لذا حري بنا أن نرقى بفهمنا لمعنى الدعاء إلى معناه الأسمى، أن تدعو الله لا لأنـك محتـاج إليه، بل لأن هذا الدعاء جزءٌ من عبوديتك لله تعالى .

حكم ترك الدعاء:

إن من صفات المسلم الحق الانصياع لما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه، ولما كان الله – سبحانه وتعالى – أمرنا بأن ندعوه، وجب علينا الالتزام بأمره، وتركنا للدعاء يلحق بنا الإثـم والمعصية، ويكفيك ما وصف الله – تعالى– به من ترك دعاءه في الآية الكريمة تأملها معـي – رحمك الله – قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَـادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). [سورة غافر، الآية: ٦٠].

وقد أمر الله – تعالى – بالدعاء، ووصف من لم يستجب لأمره بأنه مستكبر، وهدد وتوعد هؤلاء المستكبرين بأنهم سيدخلون جهنم – والعياذ بالله- ، وبينت السنة الصحيحة أن من لم يسال الله يغضب عليه كما في الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال من لم يسال الله يغضب عليه .

فجعل غضب الله – عز وجل – من نصيب من ترك الدعاء والالتجاء إلى الله .

[*]➢ فضائل الدعاء ➢[*]

➢ الدعاء له فضلٌ عظيم وأجرٌ جسيم ، وللدعاء فضائل لا تحصى، وثمرات لا تعد،وهو طريق النجاة، وسلم الوصول، ومطلب العارفين، ومطية الصالحين، ومفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، به تُستجلب النعم، وبمثله تُستدفع النقم ، والدعاء سبب لتفريج الهموم وزوال الغموم، وانشراح الصدور، وتيسير الأمور، وفيه يناجي العبدُ ربّه، ويعترف بعجزه وضعفه، وحاجته إلى خالقه ومولاه ، والدعاء سلاحٌ متين وحرزٌ مكين وسهمٌ صائبٌ لا يخطئ ، والموفق من وفق للدعاء ، والدعاء شعيرة جليلة، وعبادة فاضلة، بل هو من أفضل العبادات ، ما أشد حاجة العباد إليه، وما أعظم ضرورتهم إليه، لا يستغني عنه المسلم بحال من الأحوال ،والدعاء ومن أعظم مقامات الألوهية، ومن أعظم ما يرفع البلاء والعقوبات بإذن الله سبحانه وتعالى، بل إن الله عز وجل أخبر إن الدعاء هو العبادة، لأنه ركنها الركين، وأساسها المتين، وقال سبحانه: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ). [سورة غافر، الآية: ٦٠].

وحقيقة الدعاء هو طلب الحاجة ممن يملكها، ونحن محتاجون دائما والله معط متفضل، ونحن فقراء والله الغني، إن هذا التوجه إلى الملك هو العبادة .

وسمى الله تعالى الدعاء عبادة، و تكفل بالإجابة لمن دعا، (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ). [سورة التوبة، الآية: ١١١]. (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً). [سورة النساء، الآية: ١٢٢]. فقد

قال سبحانه: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ). [سورة البقرة، الآية: ١٨٦].

وقد سأل أعرابي الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟! فسكت النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ). [سورة البقرة، الآية: ١٨٦].

[*] قال ابن كثير في تفسيره على الآية: المراد أنَّه تعالى لا يُخَيِّبُ دُعَاءَ دَاعٍ ولا يُشْغَلُهُ عنه شيء، بل هو سَمِيعُ الدُّعَاءِ، ففيه تَرْغِيبٌ في الدُّعَاءِ وأنه لا يَضِيعُ لَدَيْهِ سُبْحَانَهُ.

﴿تنبيه﴾: قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾

في هذه الآية لفتة عجيبة ينبغي أن ننتبه وأن نلتفت إليها:

ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن سؤال إلا وكان الجواب من الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله جل وعلا: قل يا محمد كذا وكذا قال الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[البقرة:١٨٩] .. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[البقرة:٢١٩] .. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[البقرة:٢١٧] .. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾[البقرة:٢٢٢] .. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[الأنفال:١] .. ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٦٣]

إلا في هذه الآية، فلم يقل ربنا جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم: وإذا سألك عبادي عني فقل، لا والله، وإنما تولى الله جل وعلا بذاته العلية الإجابة على عباده، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦] ولم يقل: قل: يا محمد إني قريب،

لماذا؟

حتى لا تكون هناك واسطة بين العبد وبين الله جل وعلا، ولو كانت هذه الواسطة هي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا واسطة بين العبد وبين الله، ادع الله جل وعلا في أي وقت شئت، ارفع أكف الضراعة إلى الله، لا تسأل نبياً ولا تسأل ولياً، وإنما سل الله الواحد القهار، ارفع أكف الضراعة إليه في أي وقت شئت، بل وفي أي مكان شئت، لترى الله جل وعلا سميعاً بصيراً مجيب الدعاء. :﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦] لا سؤال إلا منه،

ولا طلب إلا منه، ولا رجاء إلا فيه، ولا توكل إلا عليه، ولا تفويض إلا إليه، ولا استعانة إلا به، ولا استغاثة إلا به، ولا ذبح إلا له، ولا نذر إلا له، ولا حلف إلا به، ولا طواف إلا ببيته جل وعلا، فلتكن عقيدتك وليكن توحيدك وإيمانك، أن ترفع إلى الله أكف الضراعة، بقولك: اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا في طاعتك، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

الجأ إلى الله جل وعلا، واعلم بأن الله سميع قريب يجيب الدعاء، يسمع دبيب النملة السوداء، تحت الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء، قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[المجادلة:١] تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: [والله لقد كنت في جانب الغرفة فما سمعت حوار المجادلة، وسمعه الله من فوق سبع سماوات] نعم إنه السميع القريب المجيب: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾[المجادلة:١]..

وبَيَّنَ تعالى أنَّه يُنْعِمُ على من تَوَجَهَ إليه بالدُّعَاء، بِنِعْمَةِ الإجابة ولايَرُدُّهُ خائباً فقال ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ (٧٥ ــ الصافات)

[*] قال ابن الجوزي في تفسيره زَادُ الْمَسِيرِ على الآية الكريمة ﴿ نَادَانَا ﴾ أي دَعَانَا، وقال الرازي: هذه اللفظة العظيمة ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ تدل على أن الإجابة من النِّعَمِ العظيمة، فسبحانه عبَّر عن ذاته بصيغة الْجَمْعِ فقال ﴿ نَادَانَا ﴾ والقَادِرُ العَظِيمُ لا يَلِيقُ به إلا الإحْسَانُ العظيم، وسبحانه أعَادَ صيغة الجَمْعِ في قوله ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ ليدل على تَعْظِيمِ تلك النِّعْمَةِ، لا سيما وقد وُصِفَتْ تلك الإجابة بأنَّها نِعْمَتُ الإجابة، والفَاءُ في قوله تعالى ﴿ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ يدل على أنَّ حُصُولَ هذه الإجابة مُتَرَتِّبٌ على ذلك الدُّعَاءِ ، وهذا يدل على أن الدُّعَاءَ بالإخْلَاصِ سَبَبٌ لِحُصُولِ الإِجَابَةِ[١١] .

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

[١١] بتصرف يسير عن تفسير الرازي على الآية (٧٥ ـ الصافات) .

قال العلماء: لا يَخْفَى أنَّ الكَرَمَ والحيَاءَ إذا اجْتمَعَا يَكْونُ صَاحِبُهُمَا كَمَنْ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ أنَّ يَتْرُكَ العَطَاءَ مِنَ السَّائِلِينَ والضُّعَفَاءِ[12] .

ولله درُّ من قال :

أتهـزأُ بالدعـــــاءِ وتزدريـــــــهِ   ومـا تـدري بمـا صنع الدعـاءُ
سهامُ الليـــــــــلِ لا تُخْـطي ولكن   لهـا أمـدٌ وللأمـدادِ انقـضـاءُ

➢فالدعاء نعمةٌ عظيمة ، وَمِنَّةٌ عميمة ، امتن الله تعالى بها علـى عبـاده، حيـث أمـرهم بالدعاء، ووعدهم بالإجابة والإثابة .

وشأن الدعاء عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين، فما استجلبت الـنعم بمثلـه، ولا استدفعت النقم بمثله؛ ذلك أنه يتضمن توحيد الله، وإفراده بالعبادة دون من سواه، وهذا رأس الأمر، وأصل الدين.

➢فما أشد حاجة العباد إلى الدعاء، بل ما أعظم ضرورتهم إليه؛ فالمسلم في هـذه الـدنيا لا يستغني عن الدعاء بحال من الأحوال.

فإن كان راعيًا ولاه الله رعية فما أحوجه إلى الدعاء؛ كي يثبت الله سـلطانه، ويعينـه علـى استعمال العدل في رعيته، ويحببه إلى رعيته، ويحبب الرعية إليه.

وإن كان داعيًا إلى الله _ تعالى _ فما أشد حاجته لدعاء ربه، وسـؤاله الإعانـةَ، والقبـول، والتوفيق، والتسديد؛ ليثبت على الحق، ويصبر على عثار الطريق ومشـاقه، ولتصـيخ لـه الأسماع، وتَصْغى إليه الأفئدة .

وإن كان مجاهدًا في سبيل الله _ فما أعظم حاجته للدعاء، الذي يطلب به النصـر، ويسـتنزل السكينة والثبات في اللقاء، ويسأل ربه خذلان الأعداء، وإنزال الرعب في قلوبهم، وهزيمتَهم، وتفرق كلمتهم .

وإن كان مريضًا فما أشد فاقته وأعظم حاجته للدعاء؛ ليستشفي به من مرضه، ويسـأل بـه كشف كربته، وأن يمن الله عليه بالشفاء والعافية.

وبالجملة فالمسلمون _ بل ومن في الأرض كلهم جميعًا _ بأمسِّ الحاجة للدعاء، وإخلاصـه لرب الأرض والسماء؛ ليصلوا بذلك إلى خيري الدنيا والآخرة ، فلن يهلك مع الـدعاء أحـد،

[12] أنظر شرح سنن ابن ماجه للسندي ، حديث رقم : ٣٨٥٥ .

فالسعيد من وفق لذلك، والمحروم من حرم لذة العبادة، أو أيس من رحمة الله وكان من القانطين ، من وفق للدعاء فقد وفق للقول السديد، والعمل الرشيد .

عجبت لمن ترك الدعاء ووقف بباب البشر وهو يعلم أن دعاؤهم هباء ، لا يجلب مرغوباً، ولا يمنع مكروهاً، ولكن لا عجب فليس كل أحدٍ يوفقُ للخير .

➢واعلم علم اليقين أنه بدعوةٍ تتقلب الأحوال، فالعقيم يولد له، والسقيم يُشفى، والفقير يُرزق، والشقي يسعد، بدعوةٍ واحدةٍ أُغرق أهل الأرض جميعهم إلا من شاء الله: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح:٢٦]، وهلك فرعون بدعوة موسى وقال موسى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[يونس:٨٨]، ووهب ما وهب لسليمان بغير حساب بسؤال ربه الوهاب، وشفى الله أيوب من مرضه بتضرعه ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٣]، وأغيث نبينا محمد ﷺ يوم بدر بالملائكة، بتَبتُّلِه إلى مولاه، مع قلة العدد وذات اليد، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[الأنفال:٩].

فإذا كان الدعاء بهذه المنزلة العالية والمكانة الرفيعة _ فأجدر بالعبد أن يتفقه فيه، وأن يلم بشيء من أحكامه _ ولو على سبيل الإجمال _ ؛ حتى يدعو ربه على بصيرة وهدى، بعيدًا عن الخطأ والاعتداء؛ فذلك أرجى لقبول دعائه، وإجابة مسألته.

➢فلا شيء أكرم على الله من الدعاء ، ما استجلبت النِّعم، ولا استدفعت النقم بمثله، به تفرج الهموم، وتزول الغموم، كفاه شرفا قرب الله من عبده حال الدعاء، وأعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأضعفهم رأياً وأدناهم همة من تخلّف عن النداء، الدعاء هو عين المنفعة ورجاء المصلحة، ودعاءُ المسلم بين يدي جواد كريم يعطي ما سُئل، إما معجّلاً وإما مؤجّلاً .

[*] يقول ابن حجر –رحمه الله–: "كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارةً بعوضه".

وللدعاء فضائل عظيمة، وثمرات جليلة، وأسرار بديعة، وهاك فضائل الدعاء جملةً وتفصيلا:

[*]➢أولاً فضائل الدعاء جملةً :

(١) أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره تعالى :

(٢) السلامة من الكبر:

(٣) الدعاء هو العبادة :

(٤) الدعاء أكرم شيء على الله :

(٥) الدعاء سبب لدفع غضب الله :

(٦) الدعاء دليل على التوكل على الله :

(٧) الدعاء وسيلة لكبر النفس وعلو الهمة:

(٨) الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكياسة:

(٩) ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله :

(١٠) الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله:

(١١) الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله:

(١٢) الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها :

(١٣) حصول المودة بين المسلمين :

(١٤) الدعاء من صفات عباد الله المتقين :

(١٥) الدعاء سبب للثبات والنصرعلى الأعداء :

(١٦) الدعاء مَفْزَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين :

(١٧) الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتـراف لـه بالربوبيـة، والألوهيـة، والأسـماء والصفات:

(١٨) وربنا سبحانه لا يعبأ بعباده لولا ضراعتهم إليه .

(١٩) والدعاء من صفات أنبياء الله وأصفيائه .

(٢٠) الدعاء نفعه عميم ، نفعه يلحق الأحياء في دنياهم، والأمواتَ في لحودهم .

(٢١) الدعاء بإذن الله تعالى كفيلٌ بدفع البلاء ، ويمنع وقوع العذاب والهلاك .

(٢٢) الدعاء أيضاً به يُستنـزلُ النصر من الله العلي القدير :

(٢٣) الدعاء يؤكد ثقة العبد بربه، حين يوقن بالإجابة :

[*]➢ثانياً فضائل الدعاء تفصيلا :

(١) أن الدعاء طاعة لله وامتثال لأمره تعالى :

قال تعالى :(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر/٦٠]

وقال تعالى :(وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [الأعراف/٢٩]

فالداعي مطيع لله ، مستجيب لأمره.

(٢) السلامة من الكبر:

قال تعالى : (وَقَالَ رَبّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ) [غافر / ٦٠]

[*] قال الإمام الشوكاني في هذه الآية: والآية الكريمة دلت على أن الدعاء من العبادة؛ فإنه سبحانه وتعالى أمر عباده أن يدعوه، ثم قال:[إن الذين يستكبرون عن عبادتي].

فأفاد ذلك أن الدعاء عبادة، وأن ترك دعاء الرب _سبحانه_ استكبار، ولا أقبح من هذا الاستكبار.

وكيف يستكبر العبد عن دعاء من هو خالق له، ورازقه، وموجده من العدم، وخالق العالم أجمع، ورازقه، ومحييه، ومميته، ومثيبه، ومعاقبه؟!

فلا شك أن هذا الاستكبار طرف من الجنون، وشعبة من كفران النعم.[١٣]

(٣) الدعاء هو العبادة :

قال تعالى: (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللّهِ إِلَـهَا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبّه إِنّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [سورة: المؤمنون - الآية: ١١٧]

(حديث النعمان ابن بشير في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : الدعاء هو العبادة .

[*] قال في تُحْفَةِ الأَحْوَذِي بشرح جامع الترمذي[١٤]:

إنَّ الدُّعَاءَ هو الْعِبَادَةُ سَوَاءٌ أُسْتُجِيبَ أَوْ لَمْ يُسْتَجَبْ لأَنَّهُ إظْهَارُ الْعَبْدِ الْعَجْزَ وَالاحْتِيَاجَ مِنْ نَفْسِهِ وَالاعْتِرَافَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إجَابَتِهِ كَرِيمٌ لا بُخْلَ لَهُ ولا فَقْرَ ولا اِحْتِيَاجَ لَهُ إلَى شَيْءٍ حَتَّى يَدَّخِرَ لِنَفْسِهِ وَيَمْنَعَهُ مِن عِبَادِهِ، ثُمَّ قال: اِسْتُدِلَّ بِالآيَةِ عَلَى أَنَّ الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ لأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ وَالْمَأْمُورُ بِهِ عِبَادَةٌ، ثُمَّ نَقَلَ عن الطِّيبِيِّ أَنَّه قال: الدُّعَاءُ هو إِظْهَارُ غَايَةِ التَّذَلُّلِ وَالافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ وَالاسْتِكَانَةِ لَهُ وَمَا شُرِعَتْ الْعِبَادَاتُ إلاَّ لِلْخُضُوعِ لِلْبَارِي سُبْحَانَهُ وَإِظْهَارِ الافْتِقَارِ إليهِ تَعَالَى.

(١٣) تحفة الذاكرين للشوكاني ص٢٨.

١٤ أنظر باب: الدعوات عن رسول الله، حديث رقم: ٣٢٩٤ .

[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي[١٥]: لا مَقْصُودَ من جميـــع التَّكَـــاليفِ إلا مَعْرِفَـــةُ ذُلِّ العُبُودِيَـــةِ وعِـــزِّ الرُّبوبيَةِ، فإذا كان الدُّعَاءُ مُسْتَجْمِعاً لهذين المَقَامَيْنِ، لا جَرَمَ كان الدُّعَاءُ أعْظَمَ أنواع العبادات .

[*] وقال الشوكاني[١٦]: الآية الكريمة دَلَّتْ على أن الدُّعَاءَ من العبادة، فإنه ســبحانه وتعــالى أمَرَ عباده أن يَدْعُوهُ ثم قال: ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي ﴾ فأفــاد ذلــك أن الــدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، وأنَّ تَرْكَ دُعَاءُ الرَّبِّ سبحانه اسْتِكْبَارٌ ، ولا أقْبَحَ من هذا الاسْتِكْبَار ٠

[*] وقال الفَخْرُ الرَّازي[١٧]: من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا يَنْتَفِعُ في يــوم القيامــة إلا بطاعة الله تعالى، فلا جَرَمَ كان الاشتغال بالطَّاعَةِ مِنْ أهَمِّ اَلْمُهِمَاتِ، ولَمَّا كان أشــرف أنــواع الطَّاعات الدُّعَاءُ والتَّضَرُعُ، لا جَرَمَ أمَرَ الله سبحانه وتعالى به في هذه الآية فقــال: ﴿ وَقَــالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾٠

[*] وقال السِنْدِيُّ في شرحه لِسُنَنِ ابن مَاجَه :

الدُّعَاءُ من وظائف العبودية بل أعلاها ٠٠ ومن يعلم أن حقيقة العبادة إظْهَارُ التَّذَلُلِ والافْتِقَارِ والاِسْتِكَانَةِ، والدُّعَاءُ في ذلك في الغاية القصوى، يَظْهَرُ له سِرُّ كَوْنَ الدُّعَاءِ مُخُّ العِبَادَةِ[١٨] ٠

[*] وقال الشيخ علي الحُذَيْفِيُّ : الدُّعَاءُ تتحقق به عبادة ربِّ العالمين؛ لأنــه يتضــمَّن تَعَلُّــقَ القلبِ بالله تعالى، والإخلاص له، وعدم الاِلْتِفَاتِ إلى غير الله عزّ وجلّ في جَلْبِ النَّفْــعِ ودَفْــعِ الضُرِّ، ويتضمَّن الدُّعَاءُ اليقين بأن الله قدير لا يُعجزه شيء٠٠ ويتضمَّن الدّعاءُ إفْتِقَارَ العبــدِ وشِدَّةَ اضطرارِه إلى ربّه، وهذه المعَاني العظيمةُ هي حقيقةُ العِبادة[١٩] ٠

فالدعاء من أعظم العبادة لله تعالى ، لأن فيه إظهاراً للذل والفاقة والحاجة إلى الله عز وجل ، وفيه خضوع وخشوع له سبحانه من عبده الذي يدعوه .

فإذا علمت أن الدُّعَاءَ عِبَادَةٌ، فالأصل فيها: الاِتِّبَاعُ وَعَدَمِ الاِعْتِدَاءِ، والاِتِّبــاعُ فــي عِبَــادَةِ الدُّعَاءِ يَجْمَعُ لك أجْرَيْنِ: أجْرُ الدُّعَاءِ، وأجْرُ الاِتِّبَاعِ ٠

---

[١٥] أنظر تفسير الرازي على الآية (٥٥ ـ الأعراف) ٠

[١٦] أنظر تحفة الذاكرين ، ص ٢٨ ٠

[١٧] أنظر تفسيره على الآية (٦٠ ـ الأعراف) ٠

[١٨] أنظر شرح السندي لسنن ابن ماجه على الحديث رقم : ٣٨١٧ ، وحديث " الدعاء مخ العبادة " رواه الترمذي وضعفه الألباني ٠

[١٩] من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة المنورة لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي بتاريخ : ١٣ـ ٤ـ١٤٢٤هـ وهي بعنوان : فضل الدعاء وآدابه ، يمكن قراءتـها أو الاستماع إليها عبر موقع : www.alminbar.net على الشبكة العنكبوتية ٠

﴿تنبيه﴾ :➢ الذي يتأمل في قوله ﷺ (الدعاء هو العبادة) يتضح له وضوحاً جلياً كيف أن الله تعالى كرمه فياضٌ وجوده متتابع حيث جعل سؤال عباده له لقضاء حوائجهم من أعظم العبادات وأجلِّ القربات فعظَّم الرغبة عندهم في الدعاء حتى قال (الدعاء هو العبادة) ، بل وذم ترك الدعاء وعدَّه استكباراً عليه وهدده بأشدِ أنواع التهديد حيث قال تعالى: (وَقَالَ رَبّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخِرِينَ)

➢والدعاءُ تتحقَّق به عبادةُ ربِّ العالمين؛ لأنَّه يتضمَّن تعلّقَ القلب بالله تعالى، والإخلاصَ له، وعدمَ الالتفات إلى غير الله عز وجل في جلبِ النفع ودفع الضرّ، ويتضمَّن الدعاءُ اليقينَ بأنّ الله قدير لا يُعجزه شيء، عليم لا يخفى عليه شيء، رحمن رحيم، حيّ قيّوم، جواد كريم، محسِن ذو المعروف الذي لا ينقطع أبداً، لا يُحَدُّ جودُه وكرمه، ولا ينتهي إحسانُه ومعروفه، ولا تنفد خزائن بركاته.

فالدعاء استعانة من عاجز ضعيف بقوي قادر، واستغاثة من ملهوف برب قادر، وتوجه ورجاءٌ إلى مصرِّفِ الكون ومدبِّر الأمر، لِيُزيلَ عِلَّة، أو يَرْفَعَ مِحْنَة، أو يَكْشِفَ كُرْبَة، أو يُحَقِّقَ رجاءً أو رَغْبَة...قائلاً☜

يا أمان الخائفين سبحانك ما أحلمك على من عصاك وما أقربك ممن دعاك وما أعطفك على من سألك وما أرأفك بمن أمّلك، من الذي سألك فحرمته، ومن الذي فر إليك فطردته أو لجأ إليك فأسلمته ، أنت ملاذنا ومنجانا فلا نعول إلا عليك ولا نفر من خلقك ومنك إلا إليك يا أمان الخائفين .

إن المؤمن حين يستنفذ الأسبابَ في عمل مشروع، ويستعصي عليه الأمرُ، والأسبابُ لا تُوصِلُهُ إلى ما يسْعَى من أجْلِهِ، ينقلُ الأمر كلَّهُ منْ قدْراتِهِ هو إلى قدرة الله، ويفزَعُ إلى الله تعالى واهبِ الأسباب ويقولُ: يا رب، ويدعو... فالأسباب إذا تخلَّتْ فلن يتخلى عنه الله... فهو سبحانه يجيب دعوة المضطرين...

فلأجلِ هذه الصفات العظيمة وغيرِها يُرجى ربُّنا ويُدعى، ويسأله من في السموات والأرض حاجاتِهم باختلاف لغاتِهم فما أعظمَ شأنَ الدعاء، وما أجلَّ آثارَه .

فالدعاء من أعظم العبادات ، فيه يتجلى الإخلاص والخشوع ، ويظهر صدق الإيمان، وتتمحص القلوب، وهو المقياس الحقيقي للتوحيد ، ففي كلامٍ لشيخ الإسلام ــ رحمه الله ــ: إذا أردت أن تعرف صدق توحيدك فانظر في دعائك.

(٤) الدعاء أكرم شيء على الله :

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : ليس شـــيء أكـــرم على الله من الدعاء .

[*] قال في تُحْفَةُ الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لأنَّ فِيهِ إِظْهَارَ الفَقْرِ والعَجْزِ والتَّذَلُّلِ والاعْتِرَافِ بِقوَةِ الله وقُدْرَتِهِ .

[*] وقال العلماء: إحْتَلَّ الدعاء تلك المنزلة العظيمة والمكانة الكريمة لِدَلاَلَتِهِ على قُدْرَةِ الله تعالى الغَنِيِّ الجَوَادِ الكَرِيمِ وعَجْزِ الدَّاعِي الفَقِيرِ إلى الله تَعَالَى[٢٠] .

اَلْدُّعَاء مِنْ أعْظَمِ أنْوَاعِ اَلْعِبَادَات:

[*] قال ابن رَجَبٍ: اعلم أن سُؤَالَ الله عَزَّ وجَلَّ دُونَ خَلْقِهِ هو اِلْمُتَعَينُ، لأن السؤال فيه إظهار الذُلِّ من السائل والمَسْكَنَةِ والحَاجَةِ والافْتِقَارِ، وفيه الاعتراف بِقُدْرَةِ المَسْؤولِ على رَفْعِ هذا الضُرِّ ونَيْلِ المطلوب، وجَلْبِ المَنَافِعِ ودَرْءِ المَضَارِ، ولا يَصْلُحُ الذُلُّ والافْتِقَارُ إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة[٢١] .

[*] قال الشوكاني في هذا الحديث: قيل وجه ذلك أنه يدل على قـــدرة الله_تعـــالى_ وعجـــز الداعي.

والأولى أن يقال: أن الدعاء لـــمَّا كان هو العبادة، كان أكرم على الله من هـــذه الحيثيـــة؛ لأن العبادة هي التي خلق الله _سبحانه_ الخلق لها، كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالإِنـــسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ) [سورة: الذاريات – الأية: ٥٦]

ولمّا كان الدّعاءُ هو العِبادة فإنّه لا يكون إلا لله وحدَه، فلا يُدعَى من دون الله ملكٌ مقـــرَّب، ولا نبيّ مرسَل، ولا وليّ ولا جنّيّ، قال الله تعالى: (وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا) [الجن /١٨]

، وقال تبارك وتعالى: (وَٱلَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهَا ءاخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِـــى حَـــرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقّ وَلاَ يَزْنُونَ) [الفرقان /٦٨]

[٢٠] أنظر فيض القدير الحديث رقم ٧٦٠٢ ، ج ٥ ، ص ٤٤٣ .
[٢١] أنظر جامع العلوم والحكم (ص١٨٠، ١٨١).

، ومن دعا مخلوقًا من دون الله نبيًّا أو ملكًا أو وليًّا أو جنيًّا أو ضريحًا ونحوه فقد وقع في الشّرك الأكبر، قال الله تعالى: (وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءاخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ) [المؤمنون / ١١٧]

وقال تبارك وتعالى: (وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * إِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [يونس/١٠٦ ، ١٠٧]

وقال تبارك وتعالى: (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰئِكَةِ أَهَـٰؤُلاَء إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ * قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْـثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ) [سبأ / ٤٠، ٤١]

وقال تبارك وتعالى: (لَهُ دَعْوَةُ ٱلْحَقّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْء إِلاَّ كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاء ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَـٰلٍ) [الرعد / ١٤]

[*] قال ابن رجب رحمه الله :

والله سبحانه يحبُّ أن يُسأل ، ويُرغبُ إليه في الحوائج ، ويُلحُّ في سؤاله ودعائه ، ويغضب على من لا يسأله ، ويستدعي من عباده سؤالَه ، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء ، والمخلوق بخلاف ذلك ، يكره أن يسأل ويحب أن لا يسأل ؛ لعجزه وفقره وحاجته ، ولهذا [*] قال وهب بن منبه – لرجل كان يأتي الملوك – : ويحك تأتي من يغلق عنك بابَه ، ويظهر لك فقْرَه ، ويواري عنك غناه ، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار ، ويظهر لك غناه ، ويقول ادعني أستجب لك .

[*] وقال طاووس لعطاء :

إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق بابه دونك ، ويجعل دونها حجّابَه ، وعليك بمن بابُه مفتوح إلى يوم القيامة ، أمرك أن تسألَهُ ، ووعدك أن يجيبَك [٢٢] .

(٥) الدعاء سبب لدفع غضب الله : فمن لم يسألِ الله يغضبْ عليه .

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال من لم يسال الله يغضب عليه .

---

٢٢ – جامع العلوم والحكم (٤٨١/١) .

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

" وهذا يدلّ على أن رضاه في سؤاله وطاعته ، وإذا رضي الرّبّ تبارك وتعالى ، فكلّ خير في رضاه ، كما أنّ كلّ بلاء ومصيبة في غضبه " .

ففي هذا الحديث دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات، وأعظم المفروضات؛ لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه.(٢٣)

[*] قال يحي ابن معاذ:

يا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من سألك .

ولقد أحسن من قال:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً — وسل الذي أبوابُهُ لا تحجبُ

اللهُ يغضبُ إن تركت سؤالَه — وبنيُّ آدمَ حين يُسألُ يغضبُ

(٦) الدعاء دليل على التوكل على الله : فَسِرُّ التوكل على الله وحقيقتُهُ هو اعتماد القلب على الله وحده .

وأعظم ما يتجلى التوكل حال الدعاء؛ ذلك أن الداعي حال دعائه مستعين بالله، مفوض أمره إليه وحده دون سواه.

ثم إن التوكل لا يتحقق إلا بالقيام بالأسباب المأمور بها، فمن عطَّلها لم يصح توكله، والدعاء من أعظم هذه الأسباب إن لم يكن أعظمها.

(٧) الدعاء وسيلة لكبر النفس وعلو الهمة: فبالدعاء تكبر النفس وتشرف، وتعلو الهمة وتتسامى؛ ذلك أن الداعي يأوي إلى ركن شديد، ينزل به حاجاته، ويستعين به في كافة أموره، وبهذا يقطع الطمع مما في أيدي الخلق، فيتخلص من أسرهم، ويتحرر من رقهم، ويسلم من مِنَّتِهِم؛ فالمنة تصدع قناة العزة، وتنال نيلها من الهمة.

وبالدعاء يسلم من ذلك كله، فيظل مهيب الجناب، موفور الكرامة، وهذا رأس الفلاح، وأسُّ النجاح.

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته _ قويت عبوديته له، وحريته مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب

عبوديته له_ فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه.[٢٤]

(٨) الدعاء سلامة من العجز، ودليل على الكياسة:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن أبخل الناس من بخل بالسلام و أعجز الناس من عجز عن الدعاء .

(أعجز الناس من عجز عن الدعاء) : أعظم ما يشق على المسلم أن يغلق عليه في الدعاء،

[*] قال عمر بن الخطاب :

" أني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل همّ الدعاء" فاذا فتح على العبد في دعائه من معاني الحمد والثناء دعا الله وحسن الظن به والتعلق والرجاء به وتعظيم الرغبة مما عند الله والثقة بوعد الله فينبغي عليه أن يقبل على الدعاء وأن يصرف همته في ذلك لاسيما في الأزمان والأماكن الفاضلة ، وعند نزول الضر وحصول الشدائد، ومن أكثر طرق هذا الباب فتح له، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

فأضعف الناس رأيًا، وأدناهم همة، وأعماهم بصيرة_من عجز عن الدعاء؛ ذلك أن الدعاء لا يضره أبدًا، بل ينفعه.

(٩) ثمرة الدعاء مضمونة بإذن الله : فإذا أتى الداعي بشرائط الإجابة فإنه سيحصل على الخير، وسينال نصيبًا وافرًا من ثمرات الدعاء ولا بد.

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

ففي ما مضى من الأحاديث دليل على أن دعاء المسلم لا يهمل، بل يعطى ما سأله، إما معجلاً، وإما مؤجلاً، تفضلاً من الله_جل وعلا .

[*] قال ابن حجر : كل داع يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة؛ فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعِوَضِهِ.[٢٥]

➢وبين النبي ﷺ أن الله تعالى يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

(١٠) الدعاء سبب لدفع البلاء قبل نزوله:

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الجواب الكافي :

والدعاء من أنفع الأدوية وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وله مع البلاء ثلاث مقامات أحدها أن يكون أقوي من البلاء فيدفعه الثاني أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا الثالث أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

(حديث سلمان في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيد في العمر إلا البر .

[*] قال الشوكاني عن هذا الحديث: فيه دليل على أنه_سبحانه_ يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة .

وقال: والحاصل أن الدعاء من قدر الله_ عزَّ وجلَّ _ فقد يقضي على عبده قضاءً مقيدًا بأن لا يدعوه، فإذا دعاه اندفع عنه .

(١١) الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله:

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لا يغني حذر من قدر و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة .

ومعنى يعتلجان: أن يتصارعان، ويتدافعان.

ولهذا يجدر بالعبد إذا وجد من نفسه النشاط إلى الدعاء والإقبال عليه أن يستكثر منه؛ فإنه مجاب، وتقضى حاجته بفضل الله، ورحمته، فإنَّ فَتْحَ أبواب الرحمة دليل على إجابة الدعاء.

(١٢) الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها : فقد يقوم العبد لمناجاة ربه، وإنزال حاجاته ببابه _ فَيُفْتَح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله ، ومعرفته، والذل والخضوع له، والتملق بين يديه _ ما ينسيه حاجته، ويكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من حاجته، بحيث يحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون آثر عنده من حاجته، ويكون فرحه بها أعظمَ من فرحه

بحاجته لو عجلت له وفاته تلك الحال.[٢٦]

[*] قال بعض العُبَّاد: إنه لتكون لي حاجةٌ إلى الله، فأسأله إياها، فيفتح لي من مناجاته، ومعرفته، والتذلل له، والتملق بين يديه _ ما أحبُّ معه أن يُؤخِّر عني قضاءها، وتدوم لي تلك الحال .[٢٧]

(١٣) حصول المودة بين المسلمين : فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم في ظهر الغيب _ استجيبت دعوته، ودل ذلك على موافقة باطنه لظاهره، وهذا دليل التقوى والصدق والترابط بين المسلمين، فهذا مما يقوي أواصر المحبة، ويثبت دعائمها، قال تعالى: (إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَـَنُ وُدّاً) [مريم / ٩٦]

يعني: يوَدُّن، ويُودُّن، يُحِبُّن، ويُحبَّن، والدعاء _ بلا شك _ من العمل الصالح.

(١٤) الدعاء من صفات عباد الله المتقين : قال _ جلَّ شأنه _ عن أنبيائه _ عليهم السلام: (إِنّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ) [الأنبياء / ٩٠]

[*] وقال عن عباده الصالحين: (وَالّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لّلّذِينَ آمَنُواْ رَبّنَآ إِنّكَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ) [الحشر / ١٠] إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى.

(١٥) الدعاء سبب للثبات والنصرعلى الأعداء :

قال تعالى عن طالوت وجنوده لما برزوا لجالوت وجنوده : (وَلَمّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة / ٢٥٠]

فماذا كانت النتيجة؟

[فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت] [البقرة / ٢٥١]

(١٦) الدعاء مَفْزَعُ المظلومين، وملجأ المستضعفين :

فالمظلوم _ أو المستضعف _ إذا انقطعت به الأسباب، وأغلقت في وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفع عنه مظلمته، ويعينه على من تسلط عليه وظلمه، ثم رفع يديه إلى السماء، وبث إلى الجبار العظيم شكواه _ نصره الله وأعزه، وانتقم له ممن ظلمه ولو بعد حين.

ولهذا دعا نوح _ عليه السلام _ على قومه عندما استضعفوه، وكذَّبوه، وردًّا دعوته.

---

(٢٦) انظر مدارج السالكين لابن القيم، ٢/٢٢٩.
(٢٧) مدارج السالكين، ٢/٢٢٩.

وكذلك موسى _ عليه السلام _ دعا على فرعون عندما طغى، وتجبر، وتسلط، ورفض الهدى ودين الحق؛ فاستجاب الله لهما، وحاق بالظالمين الخزي في الدنيا، وسوء العذاب في العقبى.

وكذلك الحال بالنسبة لكل من ظُلِم، واستُضْعِف؛ فإنه إن لجأ إلى ربه، وفزع إليه بالدعاء _ أجابه الله، وانتصر له وإن كان فاجرًا.

(حديث ا بن عباس في الصحيحين) قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتق دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

(حديث خزيمة بن ثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحْمَلُ على الغمام يقول الله : و عزتي و جلالي لأنصرنك و لو بعد حين .

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : دعوة المظلوم مستجابة و إن كان فاجرا ففجوره على نفسه .

﴿تنبيه﴾ : واعلموا بأن الله تعالى لا يرد دعوة المظلوم ولو كانت من كافر، لا تقولوا بأن هذا كافر لا حرمة له، نعم. لا حرمة له؛ لأنه كافر نجس، ولكن لا تظلمه، ولا تأكل عليه حقه، ولا تأخذ منه حقه، أعطه حقه كاملاً موفوراً غير منقوص ولا تظلمه، فلو دعا عليك وهو كافر لاستجاب الله دعوته، وكفره على نفسه، وفجوره على نفسه، أما دعوة المظلوم فيرفعها الله فوق الغمام، ويقول لها: (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ وهو ذاهب إلى اليمن: (واتق دعوة المظلوم -وكم من الناس لا يهتم بها، ولا يأبه لها- فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

اعلم بأن الله يمهلك ولا ينساك ولا يغفل عنك، فإن كنت ظالماً لأحد من عباد الله ولأحد من خلق الله كافراً كان أو مسلماً، فرد إليه المظلمة قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار، ولا مناصب ولا كراسي ولا وزارات، ويؤخذ من حسناتك -يا عبد الله- فتعطى لمن ظلمت، حتى إذا ما فنيت حسناتك أُخذ من سيئات من ظلمتهم في الدنيا فطرحت عليك، فطرح صاحب المظالم على وجهه في النار، وهذا هو المفلس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

[*] قال الإمام الشافعي وما أجمل ما قال :

وربَّ ظلومٍ قد كفيت بحربه فأوقعه المقدور أيَّ وقوعِ

فما كان لي الإسلامُ إلا تعبدًا وأدعيةً لا تُتَّقى بدروع

وحسبك أن ينجو الظلومُ وخلفه سهامُ دعاءٍ من قِسيٍّ ركوع

مُرَيَّشة بالهدب من كل ساهرٍ منهلة أطرافها بدموع[٢٨]

وقال:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاءُ

سهام الليل لا تخطي ولكن له أمدٌ وللأمد انقضاءُ [٢٩]

➢وإذا تقطعت بك -أيها المظلوم- الأسباب، وأُغلقت في وجهك الأبواب، فاقرع أبواب السماء، وبُثَّ إلى الجبار اللأواء، فهو مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، وَعَدَ بنصرة الملهوف، وإجابة المظلوم، ظَلَم رجل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- فقال سعد: (اللهم أعم بصره، وأطل عمره، عرضه للفتن)،

قال الراوي : فأنا رأيته بعد قد عمي بصره، وقد سقط حاجبه على عينيه من الكبر، ويقول: كبير مفتون أصابته دعوة سعد.

➢فيا ويل من وجهت له سهام المظلومين، ورفعت عليه أيدي المستضعفين، فاصبر -أيها المصاب- على ما قدر، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، والبلاء المحض هو ما يشغلك عن ربك، وأما ما يقيمك بين يديه ففيه كمالك وعزك، وإذا أقبل اليسر، وحل الفرج، وزالت الغموم، وما أقربَ الأمر، فاحمد الله على ما كشف، ففي الحمد شكر

(٢٨) ديوان الشافعي، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ص١٠٩.
(٢٩) ديوان الشافعي، ص٧٥.

وزيادة نِعَم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠].

(١٧) الدعاء دليل على الإيمان بالله، والاعتراف له بالربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات: فدعاء الإنسان لربه متضمن إيمانه بوجوده، وأنه غني، سميع، بصير، كريم، رحيم، قادر، مستحق للعبادة وحده دون من سواه.

(١٨) وربنا سبحانه لا يعبأ بعباده لولا ضراعتهم إليه ، ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾[الفرقان:٧٧]

(١٩) والدعاء من صفات أنبياء الله وأصفيائه ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خـٰشِعِينَ ﴾[الأنبياء:٩٠]، وإمام الحنفاء يقول: ﴿وَأَدْعُو رَبِّى عَسَىٰٓ أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيّا ﴾[مريم:٤٨].

(٢٠) الدعاء نفعه عميم، نفعه يلحق الأحياء في دنياهم، والأمواتَ في لحودهم، (حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٌ صالحٌ يدعو له .

(٢١) الدعاء بإذن الله تعالى كفيلٌ بدفع البلاء ، ويمنع وقوع العذاب والهلاك، وهو سلاح المؤمن، لا شيء من الأسباب أنفع ولا أبلغ في حصول المطلوب منه، هو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل،

فالدعاء – بإذن الله – كفيل بدفع البلاء إذا صدر من قلب مؤمن متقٍ خاشعٍ مخبتٍ لله عز وجل ، ومن لسان متضرع، ومن كف صادق لله عز وجل. يقول الله عز وجل: (وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). [سورة الأنعام، الآيات: ٤٢– ٤٥].

(فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ). [سورة الأنعام، الآيات: ٤٣].

➢ والمعنى : فهلا إذا رأوا العقوبة تنزل بجيرانهم، يشردون من أوطانهم، تستلب أموالهم، تنتهك حرماتهم، تحتل بلادهم، تهدم مقدساتهم تحتل بلادهم، فهلا إذا رأوا ذلك رجعوا وجأروا إلى الله .

هلا تابوا وتركوا ما القوم عليه سائرون خشية أن يصيبهم ما أصابهم؟!.

لا، ولكنهم لجّوا في طغيانهم يعمهون، فترى أهل الربا على الربا، وأهل التلفاز على التلفاز، وأهل الخنا على الخنا، وأهل الغناء على الغناء، وأهل ترك الصلاة على تركها، والنساء المتبرجات هن هن، فلم يغيروا ولم يبدلوا هذا وإنهم يرون عقوبة الله عز وجل.

أخرج الإمام أحمد في تفسير هذه الآية: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ). [سورة الأنعام، الآيات: ٤٤]. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت الله يُعْطِي العبدَ من الدنيا على مَعاصيه ما يُحِبُّ، فإنما هو اسْتِدْرَاج. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إذا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) . [سورة الأنعام، الآيات: ٤٤].

وقال سبحانه وتعالى: (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ). [سورة يونس، الآية: ٩٨]. ذلك أن قوم يونس عليه السلام لما عصوا، وخرج نبيهم ذي النون مغاضباً، وترك قومه ووعدهم بالعقوبة بعد ثلاث ليالي، وقد علموا أنّه لا يكذب لأنه نبي من عند الله عزّ وجل، فخشوا العقوبة وأخذوا نساءهم وأطفالهم وأنعامهم وإبلهم وبقرهم وغنمهم، وجأروا إلى الله عز وجل ثلاثة أيام، وقيل: أربعين ليلة، ونادوا الله سبحانه وتعالى بأسمائه، واستغاثوا، وتابوا إلى الله عزّ وجل، فصرف الله سبحانه وتعالى عنهم العقوبة، وقد أوشكت أن تحل بهم.

والحاصل أنّ الدعاء بإذن الله نافع في رفع البلاء ودفع العقوبة إذا ما صدر من قلب مؤمن صادق لله عز وجل. ولقد كان نبيكم عليه الصلاة والسلام أفزعُ الناس إلى الدعاء، وخصوصاً إذا ألمت مصيبة أو نزلت نازلة، حتى أنه إذا رأى تغيّراً في أفق الجو لجأ إلى الله عز وجل بالدعاء، وجأر إلى الله سبحانه وتعالى بالتضرّع: (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ). [سورة الأعراف، الآية: ٥٥].

واسمعوا واقرأوا قصته صلى الله عليه وسلم عند غزوة الأحزاب، وفي بدر لما خرج لملاقاة المشركين، فقد بات ليلته والناس نائمون، بات ليلته كلها وهو يدعو الله عزّ وجل، وقد وعده الله عزّ وجل أن ينصره، ومع ذلك بات يدعو الله طيلة تلك الليلة، يدعو الله بقلب خاشع، وبكف ضارع يجأر إلى الله عز وجل، ويبكي ويتضرع، ويمرّغ وجهه بين يدي رب العالمين في ظلمات الليالي صلوات الله عليه، ففي الحديث "لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ). [سورة الأنفال، الآية: ٩]."

والقصص مشهورة ومعروفة، فحينما يلجأ العبد إلى ربّه وقت الشدة، ويكشف الله عزّ وجل عنه ما يجد: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ). [سورة النمل، الآية: ٦٢].

وقد ذُكر عن بعض الصالحين وغيرهم أنهم دعوا الله عز وجل وقت الشدة، وقد صدقوا اللجأ والاضطرار إلى الله عز وجل، فرفع الله عز وجل عنهم البلاء.

[*] وقد ذُكر عن أيوب السختياني عليه رحمة الله، وهو أحد رجال الصحيحين، وأحد الأئمة الأثبات أنّه خرج مع قومه وأهل بلده في الحج، فأصابهم في الصحراء عطش شديد، ونفدت مياههم، فقالوا له: يا أيوب، ألا تستغيث الله عز وجل لنا؟! قال: ومن أنا حتى استغيث الله عز وجل لكم؟! فألحوا عليه، وحلفوا، فاقسم عليهم أن لا يخبروا أحداً بما يحصل . فقالوا: نعم فخط خطاً بعمامته، ودعا الله عزّ وجل، فما أن فرغ من دعائه حتى ثارت تلك الخطة التي خطها بعمامته ماءاً، وشربوا وسقوا، وانصرفوا إلى حجهم.

➢وفي رواية عن سعيد ابن عنبسة قال: بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصى ويحذف به إذ رجعت حصاة منه عليه فصارت في أذنه، فجهدوا بكل حيلة فلم يقدروا على إخراجها، فبقيت

الحصاة في أذنه مدة وهي تألمه، فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئ يقرأ: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ).

فقال الرجل: يا رب أنت المجيب وأنا المضطر فأكشف عني ما أنا فيه، فنزلت الحصاة من أذنه في الحال.

➢وروى البيهقي في فضائل الأعمال عن حماد ابن سلمة أن عاصما ابن أبي إسحاق شيخ القراء في زمانه قال: أصابتني خصاصة -أ ي حاجة وفاقة - فجئت إلى بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلى الصحراء ثم وضعت وجهي على الأرض وقلت يا مسبب الأسباب، يا مفتح الأبواب، يا سمع الأصوات، يا مجيب الدعوات، يا قاضي الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضل عن من سواك. يلح على الله بهذا الدعاء.

قال فوالله ما رفعت رأسي حتى سمعت وقعت بقربي، فرفعت رأسي فإذا بحدأة طرحت كيسا أحمر فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارا وجوهرا ملفوفا بقطنة، فبعت الجواهر بمال عظيم، وأبقيت الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله تعالى على ذلك.

لا تعجب أيها الأخوة، إن ربي لسميع الدعاء، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

والقصص في ذلك كثيرة ومشهورة.

والحاصل - يا عباد الله - أن المسلم في مثل هذه الأحوال، وفي مثل هذه الظروف عليه أن يلجا إلى الله بالدعاء والتضرع .

وما أحسن ما قال الشاعر

لا تسألن بُني ابن ادم حاجة ** وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ** وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضب

سبحانه وتعالى ، نسال الله تعالى أن يجعلنا أفقر عباده إليه، وأغنى خلقه عمن سواه.

(٢٢) الدعاء أيضاً به يُستنـزلُ النصر من الله العلي القدير :

فالمؤيد بالوحي – عليه الصلاة والسلام كان يجتهد في استنـزال النصر بالدعاء .

(حديث بْنِ عَبّاسٍ رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) قال : حَدّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطّاب قال : لَمّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم إِلَىَ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَاسْتَقْبَلَ نَبِيّ اللّهِ صلى الله عليه وعلى آله وسلم الْقِبْلَةَ

ثُمّ مَدّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ : اللّهُمّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي . اللّهُمّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ ، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبّهِ مَادّاً يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، حَتّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَ هُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ : يَا نَبِيّ اللّهِ كَذَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبّكَ 30 فَإِنّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال/٩]

فاستجاب الله دعاء نَبِيِّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونصره على أعدائه .

(٢٣) الدعاء يؤكد ثقة العبد بربه، حين يوقن بالإجابة :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافلٍ لاه .

والدعاء تعبير عن نفس الإنسان، وعن سماحته، وعن إيمانه وخلقه، فالدعاء يدرب على الدعاء للآخرين، حتى للمخالفين، مما يدرب على العفو والتسامح والحب والإيمان.

[*]➢شروط الدعاء :

الشرط: لغة العلامة، واصطلاحاً: ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود، ولا عدم لذاته[31].

للدعاء شروط عديدة لا بد من توفرها؛ كي يكون الدعاء مستجابًا مقبولاً عند الله، وهاك شروط الدعاء جملةً وتفصيلا :

[*]➢أولاً شروط الدعاء جملة :

(١) الإخلاص لله تعالى :

(٢) متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(٣) أن يكون الداعي عالمًا بأن الله _ وحده _ هو القادر على إجابة دعائه:

---

٣٠ - وفي رواية لمسلم (كفاك مناشدتك ربك) ، وهي كذلك في المسند (٣٢/١) وغيره ، ويُنظر شرح النووي على مسلم (٤٣٤/١٢) .

(٣١) الفوائد الجلية في المباحث الفرضية لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص١٢ وعدة الباحث في أحكام التوارث للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد ص٤.

(٤) أن يتوسل إلى الله بأحد أنواع التوسل المشروعة:

(٥) تجنب الاستعجال:

(٦) الدعاء بالخير:

(٧) حسن الظن بالله _ عز وجل _:

(٨) حضور القلب:

(٩) الدعاء بما شُرِعَ :

(١) إطابة المأكل :

(١١) تجنب الاعتداء في الدعاء :

(١٢) ألا يشغل الدعاء عن أمر واجب، أو فريضة حاضرة :

(١٣) العزمُ والجَزم ُوالجِدُّ في الدعاء:

[*]➢ثانياً شروط الدعاء تفصيلا ً :

(١) الإخلاص لله تعالى :

والإخلاص: هو تصفية الدعاء والعمل من كل ما يشوبه، وصرف ذلك كله لله وحده، و هو أن تبتغي بعملك وجه الله تعالى ، فإن قصدت بعملك غيره تعالى لم يقبله فهو سبحان ،لا شــرك فيه، ولا رياء ولا سمعة، ولا طلباً للعرض الزائل، ولا تصنعاً وإنما يرجــو العبــد ثــواب الله ويخشى عقابه، ويطمع في رضاه .

قال تعالى : " فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون " [غافر ١٤] ، وقال تعالى : " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء " [البينة /٥] .

قال تعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبّهِ أَحَدَا) [الكهف / ١١٠]

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : " أنا أغني الشــركاء عن الشرك ، ومن عمل عملاً أشرك معي فيه غيري ، تركته وشِركَه " .

فلا يدعو إلا الله: فلا يجوز له أن يسأل إلا الله، أو أن يدعو غيره معه؛ لأن هذا شــرك بــالله تعالى .

قال تعالى: (وَأَنّ الْمَسَاجِدَ لِلّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللّهِ أَحَداً) [الجن / ١٨]

(حديث ابن عباس في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : يا غلام ! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله و إذا استعنت فاستعن بالله و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك و لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام و جفت الصحف .

الشاهد : قوله ﷺ [إذا سألت فاسأل الله] وهذا هو التوحيد العملي .

(٢) متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : " واتبعوه لعلكم تهتدون " [الأعراف/ ١٥٨] .

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) (آل عمران: من الآية ٣١).

والمتابعة شرطٌ في جميع العبادات، لقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف/ ١١٠]

والعمل الصالح هو ما كان موافقاً لشرع الله تعالى ويُراد به وجه الله سبحانه. فلا بد أن يكون الدعاء والعمل خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣٢]،

ولهذا قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}[٣٣].

قال: هو أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟

فقال: "إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"[٣٤].

ثم قرأ قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[٣٥].

(حديثُ أبي أُمامة صحيح النسائي) : أن النبي ﷺ قال إن الله تعالى لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً وابتُغيَ به وَجهُهُ .

---

[٣٢] انظر: تفسير ابن كثير ١٠٩/٣.
[٣٣] سورة الملك، الآيتان: ١، ٢.
[٣٤] انظر: مدارج السالكين لابن القيم ٨٩/٢.
[٣٥] سورة الكهف، الآية: ١١٠.

فيجب على المسلم أن يكون متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في كل أعماله، لأن العمل الذي لا يكون على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم يكون باطلاً،

(حديث عائشة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .

(٣) أن يكون الداعي عالمًا بأن الله ـ وحده ـ هو القادر على إجابة دعائه: فلا يجلب له النفع إلا الله، ولا يكشف عنه السوء إلا هو، فهو سبحانه على كل شيء قدير، لأنه تعالى يقول للشيء كن فيكون، قال سبحانه: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [النحل /٤٠]

وقال سبحانه: {إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس /٨٢] . ومما يزيد ثقة المسلم بربه تعالى أن يعلم أن جميع خزائن الخيرات والبركات عند الله تعالى، قال سبحانه: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} [الحجر /٢١] .

قال تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل / ٦٢] وهذا هو التوحيد العلمي الاعتقادي ـ توحيد الربوبية ـ.

(٤) أن يتوسل إلى الله بأحد أنواع التوسل المشروعة: لأن هناك توسلاتٍ مشروعةً، وهناك توسلات ممنوعة، سيأتي ذكرها فيما بعد.

ومن التوسلات المشروعة ما يلي :

أ : التوسل باسم من أسماء الله ـ عز وجل ـ أو صفة من صفاته: كأن يقول: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم ـ أن ترحمني، وتغفر لي، أو أن يقول: يا رحمن ارحمني، يا كريم أكرمني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، أو برحمتك أستغث.

قال تعالى: (وَلِلّهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف /: ١٨٠]

ب ـ التوسل إلى الله بصالح الأعمال: كأن يقول المسلم: اللهم إني أسألك بإيماني بك، أو بمحبتي لك، أو باتباعي لرسولك، أو أن يذكر بين يدي دعائه عملاً صالحًا عَمِلَه ثم يتوسل به إلى الله ـ تعالى ـ.

ويدل على ذلك قوله تعالى: (الّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَآ إِنّنَآ آمَنّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النّارِ) [سورة: آل عمران – الأية: ١٦]

وقوله تعالى: قال تعالى: (رَّبَّنَآ إِنَّنَآ سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ)[آل عمران/ ١٩٣] ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار، فإن كلاًّ منهم توسل إلى الله بعمل صالح فاستجاب الله لهم.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : « إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطي لونا حسنا، وجلدا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل – أو قال البقر، هو شك في ذلك: أن الأبرص والأقرع: قال أحدهما الإبل، وقال الأخر البقر – فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها. وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال يبارك لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا صيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك).

جـ_ التوسل إلى الله بدعاء رجل صالح حي حاضر قادر: ويدل على ذلك الحديث الآتي :

(حديث أنس الثابت في الصحيحين) قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا

رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا قال فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة قال فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك وفي الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي وادي قناة شهرا ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود .

ومن ذلك ما جاء من توسل الصحابة بدعاء العباس[٣٦].

(حديث عمر ابن الخطاب الثابت في صحيح البخاري) قال : كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون .

د ـ إظهار الافتقار والذلة، والاعتراف بالذنب والتقصير: كأن يقول العبد: اللهم إني عبدك الفقير المقصر على نفسه ـ أسألك بأن تغفر لي.

ويدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ عن يونس ـ عليه السلام قال تعالى: (فَنَادَىَ فِي الظّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَـَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ) [الأنبياء / ٨٧] وقوله عن موسى ـ عليه السلام : قال تعالى: (رَبّ إِنّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص /٢٤]

(٥) تجنب الاستعجال: وذلك بألا يستعجل العبد الإجابة إذا دعا، وألا يستبطئ الإجابة إذا تأخرت؛ فإن الاستعجال من الآفات التي تمنع أثر الدعاء.

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : يستجاب أحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يُستَجِبْ لي .

وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء ، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقياد، والاستسلام، وإظهار الافتقار.[٣٧]

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء عليه أن يستعجل

(٣٦) جاء في صحيح البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ: =أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ـ"ـ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون+. البخاري ٢٠٩/٤.

(٣٧) فتح الباري ١٤١/١١.

العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء .

وهو بمنزلة من بذر بذرًا، أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده، ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله .(٣٨)

فلا تستبطئ الإجابة وألِحَّ على الله في المسألة، فالنبي ﷺ مكث يدعو على رعل وذكوان شهراً، وربك حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يده إليه، أن يردها صفراً، فادع وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَم، وألق نفسك بين يديه، وسلّم الأمر كله إليه، واعزم المسألة، وأعظم الرغبة فما رَدَّ سائله، ولا خاب طالبه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالخلق لم تسدَّ فاقته، ومن أنزلها بالرب فنِعْمَ الرزاق هو ، فلازم الطلب فالمعطي كريم، والكاشف قدير، ولا تستعجل الإجابة إذا دعوت، ولا تستبطئها إذا تأخَّرت، ومن يُكثر قرع الأبواب يوشك أن يفتح له .

وهذا موسى عليه السلام وقف داعياً يقول: (رَبَّنَا إِنَّكَ ءاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلأَلِيمَ) [يونس / ٨٨]

وأخوه هارون عليه السلام يؤمن على الدعاء، فاستجاب الله دعاءهما وقال سبحانه: (قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا) [يونس / ٨٩]

[*] قال العلماء: كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة.

فعلى المؤمن أن يدعو الله، وأن يلح على الله في الدعاء، ولا يعجل في الإجابة، وينتظر الفرج من الله ، وكما قال الشاعر اليمني الموحد في قصيدته التي سماها الجوهرة:

لطائف الله وإن طال المدى	كلمح الطرف إذا الطرف سجى
كم فَرَج بعد إياس أتى	وكم إياس قد أتى بعد النوى

[*] قال مُورِّقٌ العجلي : ((ما امتلأت غضباً قط ، ولقد سألت الله حاجة منذ عشرين سنة فما شفعني فيها وما سئمت من الدعاء)) [نزهة الفضلاء ص ٣٩٨] .

(٦) الدعاء بالخير: فحتى يكون الدعاء مقبولاً عند الله _ فلا بد أن يكون في الخير بعيدًا عن الإثم وقطيعة الرحم .

(٣٨)الجواب الكافي ص١٠.

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما من رجل يدعو بدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(٧) حسن الظن بالله _ عز وجل _:

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه .

[*] قال سفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى : لا يمنعنّ أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله تعالى أجاب دعاء شرِ الخلق إبليس لعنه الله إذ قال: رَبّ فَأَنظِرْنِي إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (قَالَ رَبّ فَأَنظِرْنِي إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [سورة: الحجر - الآية: ٣٦]

(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملٍ خيرٌ منهم ، وإن تقَّرب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إليَّ ذراعا تقربت إليه باعا و إن أتاني مشيا أتيته هَرْوَلَةً .

وحسن الظن هو الباعث على العمل، والذي يلزم منه تحري الإجابة عند الدعاء، والقبولِ عند التوبة، والمغفرة عند الاستغفار، والإثابة عند العمل.

وأما ظن المغفرة والإثابة والإجابة مع الإصرار على الذنوب، والتقصير في العمل _ فليس من حسن الظن في شيء، بل هو من الأماني الباطلة، الناشئة عن الجهل والغرور.

[*] قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى : في قوله تعالى في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي : فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسابها؛ فمن ظن به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته، وسوابغ عطياته.

ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله _ تعالى _ له هكذا.

وهذا هو معنى كونه _ سبحانه وتعالى _ عند ظن عبده؛ فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه في جميع حالاته، ويستعين على تحصيل ذلك باستحضاره ما ورد من الأدلة الدالة على

سعة رحمة الله _ سبحانه وتعالى .[39]

(٨) حضور القلب: فينبغي للداعي أن يكون حاضر القلب، متفهمًا لما يقول، مستشعرًا عظمة من يدعوه؛ إذ لا يليق بالعبد الذليل أن يخاطب ربه ومولاه بكلام لا يعيه هذا الداعي، وبِجُمَلٍ قد اعتاد تكرارها دون فهم لفحواها، أو أن تجري على لسانه _ هكذا _ على سبيل العادة.

بعض الناس قد يدعو وهو غافل القلب ، ساهٍ لاهٍ ، لا يدري ما يدعو به ، فقد يدعو على نفسه وهو لا يشعر ، فهذا الدعاء صاحبه غير مخلص ، غير صادق فيما يدعو ، ومعلوم أن الله تعالى قد لا يستجيب دعاء من كان هذا حاله ، لكن ربما صدر الدعاء من قلب غير صادق ولكن أبواب السماء مشرعة فيقبل دعاؤه والله قادر على كل شيء ،

(حديث ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) قَالَ : " مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ "

والآية دالة على الخشوع والخضوع لله حال الدعاء ، لأن ذلك موقف ذل وانكسار وعبودية لله عز وجل ، فينبغي على الداع عند دعائه أن يُظهر الفاقة والحاجة لله تعالى ، فيستحضر قلبه وجوارحه ، ويئوب إلى ربه وينطرح بين يديه حتى يستجيب دعاءه .

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه .

[*] قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : واعلم أن مقصود الدعاء هو حضور القلب كما سبق بيانه، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، والعلم به أوضح من أن يذكر .[40]

(٩) الدعاء بما شُرِعَ : فينبغي للداعي أن يدعو ربه بالأدعية المشروعة الواردة في الكتاب والسنة، أو على الأقل ألا يصادم الأدعية المشروعة بالأدعية البدعية ، كأن يتوسل بجاه النبي"أو بالأدعية والتوسلات الشركية، كأن يدعو غير الله _ عز وجل _ من الأموات والغائبين وغيرهم.

(١٠) إطابة المأكل : وهو من شروط إجابة الدعاء، فأطب مطعمك ومشربك، وتعفف عن الشبهات .

([39]) تحفة الذاكرين ص ١٢.
[40] الأذكار ص٣٥٦.

قال تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) [المائدة / ٢٧]

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فقال تعالى(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك .

﴿تنبيه﴾ : ⋖ وفى الحديث إشارة إلى الأسباب التي تقتضى إجابته، وإلى ما يمنع من إجابته.

فذكر من الأسباب التي تقتضى إجابة الدعاء أربعة :

أحدها : إطالة السفر، والسفر بمجرده يقتضى إجابة الدعاء كما فى الحديث الآتي : (حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده .

ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء، لأنه مظنةُ حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمُّل المشاق. والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

الثاني : حصول التبذّل فى اللباس، والهيئة، بالشَّعَث والإغبار، وهو من المقتضيات لإجابة الدعاء كما فى الحديث المشهور .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال :كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك .

﴿تنبيه﴾ : ⋖ قد يوجد من لا يؤبه به لفقره وضعفه وذلته ؛ لكنه عزيز على الله تعالى لا يرد له سؤالاً ، ولا يخيب له دعوة فالعبرة بالصلاح لا بالقوة .

(الثالث) : من أسباب قبول الدعاء :

مدّ يديه إلى السماء، (حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

والرابع : الإلحاح على الله عز وجل بتكرير ذكر ربوبيته ، وهو من أعظم ما يُطلب به إجابةُ الدعاء ، مستفاداً من قوله (يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب) .

(١١) تجنب الاعتداء في الدعاء :

قال تعالى: (ادْعُواْ رَبّكُمْ تَضَرّعاً وَخُفْيَةً إِنّهُ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف /٥٥]

(حديث عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور و الدعاء .

(١٢) ألا يشغل الدعاء عن أمر واجب، أو فريضة حاضرة : كأن يشتغل بالدعاء عن صلاة حاضرة كصلاة الفجر، أو الظهر، أو العصر، أو نحوها.

أو أن يترك القيام بحق الضيف إذا زاره، ويشتغل بالدعاء.

أو أن يدع خدمة الوالدين إذا احتاج إليه؛ بحجة اشتغاله بالدعاء.

فلا ينبغي الاشتغال بالدعاء عن أمر واجب، أو فريضة حاضرة.

ولعل في قصة جريج العابد ما يشير إلى ذلك؛

ففي الصحيحين عن حميد بن هلال عن أبي رافع عن أبي هريرة أنه قال:=كان جريج يتعبد في صومعته، فجاءت أمُّه.

قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة لصفة رسول الله _ صلى الله عليه _ أُمَّه حين دعته كيف جعلت كفها فوق حاجبها، ثم رفعت رأسها إليه تدعوه، فقالت: يا جريج، إني أُمُّك، كلِّمْني، فصادفته يصلي فقال: اللهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته، فقالت: اللهم إني هذا جريجٌ وهو ابني وإني كلمته فأبى أن يكلمني؛ اللهم فلا تُمِتْه حتى تريه وجوه المومسات.

قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن، قال: وكان راعي ضأنٍ يأوي إلى دَيْرِه، قال: فخرجت امرأة من القرية، فوقع عليها الراعي، فحملت، فولدت غلامًا، فقيل: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير.

قال: فجاؤوا بفؤوسهم، ومساحيهم، فنادوه، فصادفوه يصلي، فلم يكلمهم.

قال: فأخذوا يهدمون ديره، فلما رأى ذلك نزل إليهم.

فقالوا له: سل هذا، قال فتبسم، ثم مسح راس الصبي، فقال: من أبوك؟

قال: أبي راعي الضأن، فلما سمعوا ذلك منه، قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة.

قال: لا، ولكن أعيدوه ترابًا كما كان، ثم علاه .[٤١]

وفي رواية لمسلم: فتذاكر بنو إسرائيل جريجًا وعبادته، وكانت امرأة بغيٌّ يُتَمَثَّلُ بحسنها، فقالت: إن شئتم لأَفْتِنَنَّه لكم .

قال: فتعرضت له، فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته، فأَمْكَنَتْه من نفسها، فوقع عليها، فحملت، فلما ولدت قالت: هو من جريج، فأتوه، فاستنزلوه وهدموا صومعته، وجعلوا يضربونه، فقال: ما شأنكم؟

قالوا زنيت بهذه البغي، فحملت منك.

فقال: أين الصبي؟

فجاؤوا به، فقال: دعوني حتى أصلي، فصلَّى، فلما انصرف أتى الصبيَّ، فطعن في بطنه، وقال: يا غلام! من أبوك؟ قال: فلان الراعي الحديث.

[*] قال النووي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث:

قال العلماء: هذا دليل على أنه كان الصواب في حقه إجابتها؛ لأنه كان في صلاة نفل، والاستمرار فيها تطوع لا واجب، وإجابة الأم وبرها واجب، وعقوقها حرام، وكان يمكنه أن يخفف الصلاة ويجيبها ثم يعود إلى صلاته.

فلعله خشي أنها تدعوه إلى مفارقة صومعته، والعود إلى الدنيا ومتعلقاتها وحظوظها، وتضعف عزمه فيما نواه وعاهد عليه .[٤٢]

(١٣) العزمُ والجَزمُ والجِدُّ في الدعاء:

يجب على المسلم إذا سأل ربه فإنه يجزم ويعزم بالدعاء، ولهذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستثناء في الدعاء.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ارزقني إن شئت ،وليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له).

قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ :

([٤١]) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله[واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها]مريم:١٦، (٣٤٣٦)، ومسلم كتاب البر والصلة باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها [٢٥٥٠، واللفظ **لمسلم** .

([٤٢]) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٢/١٦.

"بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسئول، مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين؛ فإنه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإنه لا يعطي عبده شيئاً عن كراهة، ولا عن عظم مسألة" – فتح المجيد (ص ٤٧١) بتصرف يسير.

[*]➢آداب الدعاء :

للدعاء آداب ينبغي لطالب العلم أن يحيط بها علماً وأن يتبعها حتى يكون دعاؤه أرجى للقبول ، وقد قال ابن القيم – رحمه الله – كلمة تلخص آداب الدعاء :

يقول: "ألا أدلك على دعاء لا يرد أبداً... ادعُ الله وأنت موقن بالإجابة، بخشوع، وارفع يديك، وألح في الدعاء، وتوسل إلى الله بأسمائه، وتملق إلى الله بإنعامه، واخشع له، وذل له، وتصدق بعد أن تدعو، هذا الدعاء لا يكاد يرد."

[*]➢وهاك آداب الدعاء جملةً وتفصيلا :

➢أولاً آداب الدعاء جملةً :

(١) الوضوء :

(٢) السواك:

(٣) استقبال القبلة ورفع اليدين :

(٤) حمد الله والثناء على الله قبل الدعاءِ ، والصلاة على النبي :

(٥) الدعاء باسم الله الأعظم :

(٦) الإقرار بالذنب ، والاعتراف بالخطيئة:

(٧) الجزم في الدعاء، والعزم في المسألة:

(٨) يعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه :

(٩) الإلحاح بالدعاء:

(١٠) الدعاء ثلاثًا :

(١١) أن يتخير جوامع الدعاء ومحاسن الكلام:

(١٢) أن يقدم بين يدي دعائه عملاً صالحًا:

(١٣) يتوسل إلى الله تعالى بأنواع التوسل المشروعة:

(١٤) الطموح وعلو الهمة:

(١٥) أن يكون غرض الداعي جميلاً حسنًا :

(١٦) يخفِضُ صوته في الدعاء بين المخافتة والجهر:

(١٧) إظهار الداعي الشكوى إلى الله ، والافتقار إليه:

(١٨) الخشوع والخضوع :

(١٩) البكاء حال الدعاء :

(٢٠) التضرع إلى الله في الدعاء :

(٢١) التواضع والتبذل في اللباس والهيئة :

(٢٢) الرغبة والرهبة :

(٢٣) الدعاء في كل الأحوال في الشدة والرخاء، وفي المنشط والمكره:

(٢٤) اختيار الاسم المناسب من أسماء الله الحسنى، أو الصفة المناسبة حال الدعاء:

(٢٥) ألا يحجر رحمة الله في الدعاء:

(٢٦) أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة:

(٢٧) يدعو لوالديه مع نفسه:

(٢٨) أن يدعو لإخوانه المؤمنين :

(٢٩) أن يبدأ الداعي بنفسه:

(٣٠) يترصد للدعاء الأوقات الشريفة :

(٣١) التأمين على الدعاء من المستمع:

(٣٢) تجنب الدعاء على الأهل، والمال، والنفس :

(٣٣) ألا يتكلف السجع:

(٣٤) الإعراب بلا تكلف:

(٣٥) أن تلقي باللوم على نفسك :

(٣٦) الالتزام بالأدعية المأثورة :

[*]➢ثانياً آداب الدعاء تفصيلا :

(١) الوضوء :

(حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ لما فرغ النبي من حنين، وفيه قال: فدعا بماء فتوضأ ثم رفع يديه فقال: { اللهم اغفر لعبيد أبي عامر } ورأيت بياض أبطيه .

(٢) السواك: ووجه ذلك أن الدعاء عبادة باللسان؛ فتنظيف الفم عند ذلك أدب حسن؛ ولهذا جاءت السنة المتواترة بمشروعية السواك للصلاة، والعلة في ذلك تنظيف المحل الذي يكون الذكر به في الصلاة.(٤٣)

(حديث عائشة الثابت في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : السواك مطهرة للفم مرضاة للرب)

(٣) استقبال القبلة ورفع اليدين :

(حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلا ، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ) فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . . . الحديث .

[*] قال النووي رحمه الله في شرح مسلم :

فِيهِ اِسْتِحْبَاب اِسْتِقْبَال الْقِبْلَة فِي الدُّعَاء ، وَرَفْع الْيَدَيْنِ فِيهِ .

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

(٤٣) انظر تحفة الذاكرين ص٤٤.

(حديث ابن عباس في صحيح أبي داوود موقوفاً) قال : المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوهما والاستغفار أن تشير بأُصبع واحدة والابتهال أن تمد يديك جميعا .

وفي البخاري: استقبل رسول الله"الكعبة فدعا على قريش .[44]

ورفع اليدين إنما يكون في الدعاء العام، وما ورد الدليل على مشروعية رفع اليدين فيه، كرفع اليدين في الدعاء عند الصفا والمروة، وفي الاستسقاء يوم الجمعة ونو ذلك، لأن هناك أدعية لا ترفع فيها الأيدي مثل دعاء دخول المنزل، والخروج منه، ودخول الخلاء، والخروج منه.

﴿تنبيه﴾ :< عند رفع اليدين بالدعاء يكون باطن الكف إلى السماء على صفة الطالب المتذلل الفقير المنتظر أن يُعْطَى (حديث مالك بن يسار رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال : إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها .

مسألة : هل يضم يديه عند رفعهما أو يجعل بينهما فرجة ؟

نص الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في "الشرح الممتع" (٤/٢٥) أنها تكون مضمومة . ونص كلامه : " وأما التفريج والمباعدة بينهما فلا أعلم له أصلا لا في السنة ولا في كلام العلماء " انتهى .

(٤) حمد الله والثناء على الله قبل الدعاءِ ، والصلاة على النبي :

(حديث فضالة ابن عُبيد في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى و الثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء .

(حديث عمر في صحيح الترمذي موقوفاً) قال : إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء إلى السماء حتى تصلي على نبيك ﷺ .

[*] قال الإمام النووي رحمه الله في الأذكار ص ١٧٦ :

(أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه ، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك تختم الدعاء بهما، والآثار في هذا الباب كثيرة مرفوعة).

واعلم بأن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لها ثلاث مراتب :

([44]) البخاري (٣٩٦٠) المغازي، باب دعاء النبي"على كفار قريش.

" إحداها : أن يُصلى عليه قبل الدعاء ، وبعد حمد الله تعالى لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(حديث فضالة ابن عُبيد في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله تعالى و الثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء .

(حديث عمر في صحيح الترمذي موقوفاً) قال : إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء إلى السماء حتى تصلي على نبيك ﷺ .

والمرتبة الثانية : أن يُصلى عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره .

والمرتبة الثالثة : أن يصلى عليه في أوله وآخره ، ويجعل حاجته متوسطة بينهما "انتهى كلام ابن القيم بتصرف من كتاب جلاء الأفهام ص ٥٣١

(٥) الدعاء باسم الله الأعظم :

(٦) الإقرار بالذنب ، والاعتراف بالخطيئة:

ولذلك فإن دعاء يونس _ عليه السلام_ من أعظم الأدعية إن لم يكن أعظمها، وما ذلك إلا لأنه ضمنه اعترافه بوحدانية الله _ عز وجل _ وإقراره بالذنب والخطيئة والظلم للنفس، كما قال_تعالى _ عنه: قال تعالى: (فَنَادَىَ فِي الظّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَـَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ) [الأنبياء / ٨٧]

وكذلك الحال بالنسبة للدعاء العظيم المسمى بسيد الاستغفار، والذي يعد أفضل صيغ الاستغفار، ومن أسباب أفضليته أنه تضمن الإقرار بالذنب، والاعتراف بالخطيئة،

(حديث شداد بن أوس في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : سيدُ الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة و من قالها من الليل و هو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

(٧) الجزم في الدعاء، والعزم في المسألة:

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لي إن شيءت اللهم ارحمني إن شيءت اللهم ارزقني إن شئت و ليعزم المسألة فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له .

[*] قال الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ:

"بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسئول، مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين؛ فإنه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإنه لا يعطي عبده شيئاً عن كراهة، ولا عن عظم مسألة" – فتح المجيد (ص ٤٧١) بتصرف يسير.

(٨) يعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه .

(٩) الإلحاح بالدعاء:

الإلحاح: الإقبال على الشيء ولزوم المواظبة عليه، يقال: ألحَّ السحابُ: دام مطره، وألحَّت الناقة: لزمت مكانها، وألحَّ الجمل: لزم مكانه وحرَن، وألحَّ فلان على الشيء: واظب عليه، وأقبل عليه[٤٥].

فالعبد يكثر من الدعاء، ويكرره، ويلحُّ على الله بتكرير ربوبيته وإلهيته، وأسمائه وصفاته، وذلك من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء ، والإلحاح من الآداب الجميلة، التي تدل على صدق الرغبة فيما عند الله _ عز وجل ، فكن ملحاحاً في دعائك ، راجياً عفو ربك ، طالباً مغفرته ، راغباً في جنته ونعيمه ، طامعاً في عطائه وغناه فهو سبحانه يستحي أن يرد عبده خائباً إذا سأله .

[*] وقال ابن القيم رحمه الله في "الداء والدواء" ص ٢٥ :

ومن أنفع الأدوية : الإلحاح في الدعاء اهـ .

➢ الإلحاح على الله عز وجل بتكرير ذكر ربوبيته ، وهو من أعظم ما يُطلب به إجابةُ الدعاء ، للحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فقال تعالى(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم)

---

[٤٥] انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/٢٣٦، والمصباح المنير ص٥٥٠، والقاموس المحيط ص٣٠٦.

وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك .

➢مستفاداً من قوله (يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب) .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا). قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. فلا والله ما رأينا الشمس ستا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال: (اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر). قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس .

الشاهد : قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا) .

(حديث ابن مسعود رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) قال : كان النبي ﷺ إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأل سأل ثلاثا .

➢وقال ابن كثير في وصف حال النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر : بات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جذع شجرة ويكثر في سجوده أن يقول : يا حي يا قيوم يكرر ذلك ويلظ عليه الصلاة والسلام بقيام الليل بالبكاء حتى الصباح وهو يقول " اللهم لا تودع مني ، اللهم لا تخذلني ، اللهم لا تتركني ، اللهم أنشدك ما وعدتني " يكررها حتى يسقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من وراءه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك .. فأنزل الله(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ)

[الأنفال : ٩]

[*] وفي كتاب الزهد للإمام أحمد (٣٠٥) عن قتادة :

قال مورق : ما وجدت للمؤمن مثلاً إلا رجلاً في البحر على خشبة فهو يدعو : يارب ... يارب.. لعل الله أن ينجيه .

[*] قال الأوزاعي : أفضل الدعاء الإلحاح على الله عز وجل والتضرع إليه .

[*] قال أبوالدرداء : من يُكثر قرع الباب ، باب الملك يوشك أن يُستجاب له. "

[*] قال الترمذى : والإلحاح فى الدعاء مما يفتح الإجابة ، ويدل على إقبال القلب ، ويحصل بتكراره مرتين أو ثلاثاً وأكثر ، لكن الاقتصار على الثلاث مرات أعدل إتباعاً للحديث " شرح سنن النسائي .

➢وإنما صار المُلِّحُ محبوباً لأنه لا ينقطع رجاؤه ، فهو يسأل فلا يرى إجابة ، فلا يزال يُلحُّ ولا ينقطع رجاؤه ، ولا يدخله اليأس ، فذلك لعلمه بالله تعالى ، وصحة قلبه وصدق عبوديته ، واستقامة وجهته ، فمن صدق الله في دعوته استعمل اللسان ، وانتظر القلب مشيئته ، فلا يضيق ولا ييأس ، لأن قلبه صار معلقا بمشيئته فانتظار المشيئة أفضل ما يَقْدُمُ به على ربه ، وهو صفوة العبودية ، واستعمال اللسان عبادة لأن في السؤال اعترافاً بأنها له ، وانتظار مشيئته لقضائه عبادة فهو بين عبادتين وجهتين وأفضل الدعاء من داوم عليه.

وأهل اليقين يدعون ويلحون ، فإن أجاب قبلوا ، وإن تأخر صبروا ، وإن منع رضوا وأحسنوا الظن ، وهم في الأحوال سكنون مطمئنون ينتظرون مشيئته. "

« اللهم اجعلنا من أهل اليقين الذين يدعون ويلحون القابلين بقضاءك الصابرين على بلاءك المحسنين الظن بك الراضين الساكنين المطمئنين المنتظرين دائماً مشيئتك راضين بها. »

إذاً فإذا دعوت ربك مرة أخي عند ضائقة أو كرب أو غير ذلك ولم تجد نتيجة فلا تجزع أو تيأس أو تترك الدعاء ولكن أَلِّحْ على الله فى التضرع والابتهال والدعاء لعل الله جل وعلا يحب سماع صوتك ...

﴿تنبيه﴾ :➢ أما حديث إن الله يحب الملحين في الدعاء ضعفه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة المجلد الثاني .

(١٠) الدعاء ثلاثًا :

كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود الطويل، وفيه:=فلما قضى النبـي"صـلاته _

رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، ثم قال: اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش .[٤٦]

[*] قال النووي رحمه الله :

فِيهِ : اِسْتِحْبَاب تَكْرِير الدُّعَاء ثَلَاثًا . وَقَوْله) : وَإِذَا سَأَلَ) هُوَ الدُّعَاء ، لَكِنْ عَطَفَهُ لاخْتِلَافِ اللَّفْظ تَوْكِيدًا اهـ .

[*] وقال البخاري رحمه الله :

بَاب تَكْرِير الدُّعَاء ، ثم ذَكَرَ فِيهِ حَدِيث عَائِشَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا الله تعالى ، وكَرَّرَ الدعاء لما سحره لبيد بن الأعصم اليهودي ، قالت عائشة : حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ دَعَا . . . الحديث .

رواه البخاري (٦٣٩١) ومسلم (٢١٨٩) واللفظ له .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ، من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما، ثم قال: يا رسول الله ، هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا). قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت. فلا والله ما رأينا الشمس ستا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة - يعني الثانية - ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائما، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله يديه، ثم قال: (اللهم حولينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر). قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس .

الشاهد : قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا).

(١١) أن يتخير جوامع الدعاء ومحاسن الكلام:

بدلاً من التطويل ، والحشو، والتفصيل الذي لا لزوم له فقد كان رسول الله"يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك .

---

(٤٦) مسلم (١٧٩٤) الجهاد والهجرة، باب ما لقي النبي"من أذى المشركين.

(حديث عائشة في صحيح أبي داود) قالت كان رسول الله يستحب الجوامع من الدعاء وَيَـدَعُ ما سوى ذلك .

ومن المعلوم شرعاً أنه لا سبيل إلى تحصيل جوامع الدعاء إلا عن طريق الالتزام بأدعية النبي ﷺ لأنه أُعطي جوامع الكلم كما في الحديث الآتي :

(حديث أبي موسى في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: أُعطيت الكلام وجوامعه وخواتمه .

وفي السنة الصحيحة ما تشتمل على جوامع الكلم بل تشتمل على خيري الدنيا والآخرة ، منها ما يلي :

(حديث عائشة في صحيح ابن ماجة) أن رسول الله علمها هذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل و أسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا .

(حديث عمار ابن ياسر في صحيح النسائي)أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء اللهم بعلمك الغيب و قدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي و توفني إذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم وأسألك خشيتك في الغيب و الشهادة و أسألك كلمة الحق في الرضا و الغضب و أسألك القصد في الفقر و الغنى و أسألك نعيما لا ينفد و قرة عين لا تنقطع و أسألك الرضا بالقضاء و أسألك برد العيش بعد الموت و أسألك لذة النظر إلى وجهك و الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة و لا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان و اجعلنا هداة مهتدين .

(حديث أبي هريرة في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم انفعني بما علمتني ،وعلمني ما ينفعني وزدني علماَ .

﴿تنبيه﴾ : مما يجب التنبيه عليه اَلتَّفْصِيلُ الزائد في اَلْدُّعَاءِ (كَثْرَةُ اَلأَلْفَاظِ) من صور الاعتداء في الدعاء :

(حديث أبي نَعَامَةَ الثابت في صحيح أبي داود) عن ابن لِسَعْدٍ أنه قال: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَذَا وَكَذَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَسَلَاسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا وَكَذَا وَكَذَا فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "سَيَكُونُ قَوْمٌ

يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ " فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الْخَيْرِ ،وَإِنْ أُعِذْتَ مِنْ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الشَّرِّ .

[*] قال ابن تيمية[47]:

الدُّعَاءُ ليس كُلُّهُ جائزاً، بل فيه عُدْوَانٌ مُحَرَّم، والمَشْرُوعُ[48] لا عُدْوَانَ فيه، وأن العُدْوَانَ يَكُونُ تَارَةً بِكَثْرَةِ الأَلْفَاظِ، وتَارَةً في المَعَانِي، كما فَسَّرَ الصحابة ذلك ... ثم أورد الأحاديث المذكورة سابقاً .

[*] قال في عون المعبود بشرح سنن أبي داود :

الْجَامِعَة لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَهِيَ مَا كَانَ لَفْظه قَلِيلاً وَمَعْنَاهُ كَثِيرًا، كما في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الآخِرَة حَسَنَة وَقِنَا عَذَاب النَّار ﴾ ومِثْل الدُّعَاء بِالْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة [49].

فمن صور الاعتداء تَكْثِيرُ الكلام الذي لا دَاعِيَّ له ولا حاجة إليه، والتَّكَلُّفِ في ذِكْرِ التَّفَاصِيلِ، كأن يدعو ربَّهُ أن يرحمه إذا وُضِعَ في اللحد تحت التراب والثرى ، وكذلك أن يرحمه إذا سالت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تركه الأصحاب وتولى عنه الأهل والأحباب[50]، أو يدعو على عدوه أن يُخْرِسَ الله لسانه ويُشِلَّ يده، ويُجَمِدَ الدَّمَ في عُرُوقِه.... .

ومما لا شك فيه أن النتيجة الطبيعية لهذا الاعتداء هو إصابة اَلْمُصَلِينَ بِاَلْمَلَلِ، والملل يُذْهِبُ التَّدَبُّرَ والخُشُوعِ ويُودِي بِاَلْمُصَلِي إلى الغَفْلَةِ، وهي حالة مَنْهِيٌّ عنها إذ لا تتناسب ومقام التَّذَلُّل والطَّلَبِ من الله تعالى اَلْمُطَّلِعِ على أحوال النُّفُوسِ وما تُكِنُّهُ الصُّدُور .

فَالإِطَالَةَ اَلْمُمِلَّةِ تُرْهِقُ اَلْمُصَلِي وتُصِيبُهُ بِاَلْمَلَلِ وَاَلْغَفْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُ اَلْغَافِلَةُ قُلُوبُهُمُ عَنْ اَلْدُّعَاءِ :

وكذلك يتخير لدعائه أحسن الألفاظ وأنبلها، وأجمعها للمعاني بما يليق بمناجاة الله تعالى :

[*] قال الخطابي رحمه الله تعالى : ولْيَتَخَيَّرْ لدعائه، والثناء على ربه أحسن الألفاظ، وأنبلها،

---

[47] الفتاوى ، ج ٢٢ ، ص ٢٧٧ .

[48] أي الوارد في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهرة .

[49] يشير إلى الحديث الشريف : " اسألوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يُعْطَ بعد اليقين خيرا من العافية ...". (رواه الترمذي، أنظر صحيح الترمذي رقم ٢٨٢١) والعفو معناه التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، والعافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا وهو ضد المرض.

[50] ويكفيه أن يدعوا بالرَّحمة عند الممات .

وأجمعها للمعاني؛ لأنه مناجاة العبد سَيِّدَ السادات، الذي ليس له مثل، ولا نظير .[٥١]

، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك أيضاً إلا في الالتزام بأدعية النبي ﷺ لأنه أعلم الناس بربه وأخشاهم له ، وأعظمهم ثناءاً على ربه سبحانه ، ومن السنة النبوية الكثير من ذلك منها منا يلي :

(حديث أبي سعيدٍ في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال : ربنا لك الحمد ملئ السموات والأرض وما بينهما وملئ ما شيءت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد أحقُ ما قال العبد وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا مُعطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

(حديث علي في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك و أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

(حديث ابن عباس في الصحيحين) قال كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال : اللهم لك الحمد أنت قيمُ السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق ، والنبيون والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت أنت المقدِّم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت .

(١٢) أن يقدم بين يدي دعائه عملاً صالحًا:

أن يقدم بين يدي دعائه عملاً صالحًا: كأن يتصدق، أو يحسن إلى مسكين، أو يصلي ركعتين، أو يصوم، أو غير ذلك ؛ ليكون هذا العمل وسيلة إلى الإجابة .

فإن نبي الله يونس عليه السلام لم يزل يرفع له عمل صالح ودعوة مستجابة.

➢فيجئ الجواب الإلهي له:

(فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[الصافات ١٤٣ ، ١٤٤]

➢أتاه الجواب بالنجاة (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ)

---

(٥١) شأن الدعاء ص١٥.

[الأنبياء / ٨٨]

[*] قال الحسن البصري:

"ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكن قدم عملاً صالحًا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكأً".

﴿تنبيه﴾: ⋖ هنا نذكر قول النبي ﷺ فعلُ المعروف يقي مصارع السوء .

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :(صدقةُ السر تُطفئُ غضب الرب ، وصلةُ الرحم تزيدُ في العمر ، وفعلُ المعروف يقي مصارع السوء)

ويدل على ذلك حديث الثلاثة الذي انطبقت عليهم الصخرة في الغار؛ فإن النبي"حكى عنهم أن كل واحد منهم توسل بأعظم أعماله التي عملها لله _ عز وجل _ فاستجاب الله دعاءهم، وارتفعت عنهم الصخرة، وكان ذلك بحكايته"سنة لأمته.

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ

بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

[*] قال وهب بن منبة (رحمة الله) :

العمل الصالح يبلغ الدعاء ، ثم تلا قوه تعالى : (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر /١٠].

[*] وقال بعضهم : يستحب لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله .

﴿تنبيه﴾ :ᐸ التوسل بالاعمال الصالحة لا يتحقق الا أهل الطاعات ... الذين اضاءت انوار الصالحات من صحائفهم . فاؤلئك هم الذين اذا توسلوا الى الله تعالى باعمالهم الصالحة قبل توسلهم وكان العمل الصالح خير شفيع لهم . .

[*] قال وهب بن منبه :

مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر .

(١٣) يتوسل إلى الله تعالى بأنواع التوسل المشروعة:

والوسيلة لغة: القربة، والطاعة، وما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به إليه. يقال: وسَّل فلان إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرب به إليه. ويقال: وسَلَ فلان إلى الله تعالى بالعمل يَسِلُ وَسْلاً وتوسُّلاً وتوسيلاً: رغب وتقرب إليه. أي: عمل عملاً تقرب به إليه[٥٢].

[*] قال الراغب الأصفهاني:

الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة لتضمُّنها معنى الرغبة، قال تعالى: {وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ} [المائدة /٣٥]

وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم، والعبادة، وتحري مكارم الشريعة.وهي كالقربة، والواسِلُ: الراغب إلى الله تعالى[٥٣].

ومعنى قوله تعالى: {وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ} أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه[٥٤].

النوع الأول: التوسل في الدعاء باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، كأن يقول الداعي في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير، أن تعافيني، أو

---

(٥٢) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١٨٥/٥، والقاموس المحيط ص١٣٧٩، والمصباح المنير ص٦٦٠.

(٥٣) مفردات غريب ألفاظ القرآن ص٨٧١.

(٥٤) تفسير ابن كثير ٥٣/٢، وانظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٥-١٦٠. والتوسل أنواعه وأحكامه للشيخ الألباني، ص٨-١٥٦.

يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، ولهذا قال تعالى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}

[الأعراف / ١٨٠]

ومن دعاء سليمان عليه الصلاة والسلام ما قال الله تعالى: {وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل / ١٩]

(حديث أنس في صحيح السنن الأربعة) قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول :اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(حديث بريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : دعوة ذي النون إذ دعا بها و هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

➢وذو النون: هو نبي الله يونس _ عليه السلام _،

➢والنون: الحوت.

فهذا سيدنا يونس عليه السلام ألقي في اليم فالتقمه الحوت وأسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه ، فالتجأ إلى الله { أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فأنجاه الله ، حتى إذا خرج إلى شاطئ السلامة، تلقفته يد الرحمة الإلهية والعناية الربانية فأظلته تحت شجرة اليقطين .

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [الأنبياء:٨٧-٨٨].

﴿تنبيه﴾ :➢ هذا الدعاء من أعظم أنواع الدعاء، لاشتماله على الآتي :

أولاً: على توحيد الله (لا إله إلا أنت)

وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وأعظم وقربة.

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه عما لا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظيم شأنه.

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينبغي له أن يكون كذلك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧]

النوع الثاني: التوسل إلى الله تعالى بعملٍ صالح قام به الداعي، كأن يقول المسلم: اللهم بإيماني بك، أو محبتي لك، أو اتباعي لرسولك أن تغفر لي.

أو يقول: اللهم إني أسألك بمحبتي لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإيماني به أن تفرج عني. ومن ذلك أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا بال، فيه خوفه من الله سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء، وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى الله في دعائه، ليكون أرجى لقبوله وإجابته.

ويدل على مشروعية ذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران /١٦]

وقوله تعالى: {رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}
[آل عمران /٥٣]

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار فإن كلاً منهم ذكر عملاً صالحاً تقرب به إلى الله ابتغاء وجهه سبحانه، فتوسل بعمله الصالح فاستجاب الله له.

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال

الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

النوع الثالث: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر:

كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله تبارك وتعالى، فيحب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله تعالى، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصلاح، والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة فيطلب منه أن يدعو له ربه، ليفرج عنه كربه، ويزيل عنه همه. ومن ذلك الحديث الآتي :

(حديث أنس الثابت في الصحيحين) قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا قال فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة قال فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك وفي الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي وادي قناة شهرا ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود .

ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطلب من العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لهم الله عز وجل أن يغيثهم فيغيثهم سبحانه .

(حديث عمر ابن الخطاب الثابت في صحيح البخاري) قال : كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون .

ومن ذلك حديث أويس القرني الآتي :

(حديث عمر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال له: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل .

(١٤) الطموح وعلو الهمة:

فمن الآداب التي يحسن بالداعي أن يتحلى بها _ أن يكون طموحًا، ذا نفس كبيرة، وهمة عالية، راغبًا فيما عند الله من عظيم الثواب .

ويومىء إلى هذا المعنى _ دعاء نبي الله سليمان _ عليه السلام _ عندما قال _ كما أخبر الله عنه قال تعالى: (رَبّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاّ يَنبَغِي لأحَدٍ مّن بَعْدِيَ إِنّكَ أَنتَ الْوَهّابُ) [ص / ٣٥]

فنبي الله سليمان _ عليه السلام _ حصل منه ما حصل عندما آلى أن يطوف على نسائه جميعًا؛ لتلد كل واحدة منهن مجاهدًا يجاهد في سبيل الله، ولم يستثنِ _ عليه السلام _ ولم يقل: إن شاء الله.[٥٥]

وعندما أدرك ما وقع فيه لم يكتف بأن يسأل الله المغفرة فحسب، ولكنه _ لكبر نفسه، وعلو همته، وعلمه بسعة فضل ربه _ سأله مع ذلك أن يهب له ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده!

فماذا كانت النتيجة؟

لقد استجاب الله دعاءه، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، ثم قال تعالى: (هَـَذَا عَطَآؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىَ وَحُسْنَ مَآبٍ) [ص ٣٩، ٤٠]

(٥٥) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٣٥_٣٩.

وعلو الهمة موضوع غاية في الأهمية يجب على كلِ مسلم أن يحيط به علماً وهاك غيضٌ من فيض مما ورد في علو الهمة ومسائلة :

➢تعريف علو الهمة :

الهمة في اللغة : ما هم به من الأمر ليفعل.

الهمة في الاصطلاح : الباعث على الفعل ، وعرف بعضهم علو الهمة بأنه : استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور .

قال الشاعر مصوراً طموح المؤمن

إذا كنت في أمر مروم *** فلا تقنع بما دون النجوم

[*] وعرف ابن القيم علو الهمة بقوله:

"علو الهمة ألا تقف –أي النفس– دون الله وألا تتعوض عنه بشيء سواه ولا ترضى بغيره بدلاً منه ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم ، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات"

➢الحث على علو الهمة والتحذير من سقوطها :

[*] قال الخليفة عمر الفاروق رضي الله عنه:

"لا تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته"

[*] وقال ابن القيم: "لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه" [*] وقال ابن نباتة رحمه الله:

حـــاول جســـيمات الأمـــور ولا تقـــل *** إن المحامـــــــد والعلـــى أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصرا *** عن غاية في الطلاب سباق

➢أقسام الهمة :

تُقَسَّم الهمة تقسيمين فتقسم من حيث الرفعة وضدها إلى عالية وساقطة.

وتقسم من حيث الاستعداد الفطري إلى وهبية ومكتسبة.

وليس معنى أن منها ما هو فطري أنها لا سبيل لزيادة رفعتها بل هي مثل باقي الصفات العقلية والخلقية كالذكاء والذاكرة وحسن الخلق .

[*] قال ابن القيم:

"وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات فإذا حثثت سارت ومتى رأيت في نفسك عجزاً فَسَلِ المنعم أو كسلاً فالجأ إلى الموفق ، فلن تنال خيراً إلا بطاعته ، ولن يفوتك خير إلا بمعصيته"

مراتب الهمم :

(حديث أبي كبشة الأنماري الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَيَعْلَمُ للَّهِ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَحسنِ الْمَنَازِلِ عند الله ورجلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ وهما في الأجر سَوَاءٌ ، ورجلٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً فَهُوَ يَخْبِطُ في مَالِهِ لاَ يَتَّقِى فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ للَّهِ فِيهِ حَقًّا فهو بِأَسوءِ الْمَنَازِلِ عند الله ورجلٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ لَوْ أَنَّ لي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلاَنٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ وهما في الوزر سَوَاءٌ .

وعلى نحو هذا التقسيم والتمثيل النبوي ينقسم الناس وتتفاوت منازلهم في الهمة:

(١) منهم من يطلب المعالي بلسانه وليس له همة في الوصول إليها ويصدق عليه قول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني *** ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

(٢) ومنهم من لا يطلب إلا سفاسف الأمور ودناياها ويجتهد في تحصيلها ، وهذا– إن اهتدى– يكون سباقاً للخيرات: "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا."

(٣) وفريق ساقط الهمة يهوى سفاسف الأمور ويقعد به العجز عنها، فهو من سقط المتاع وهو كمن وصف الشاعر:

إني رأيت من المكارم حسبكم *** أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

فإذا تذكرت المكارم يوما *** في مجلس أنتم به فتقنعوا

(٤) وأعلى الهمم همة من تسمو مطالبه إلى ما يحبه الله ورسوله فهنيئاً له ومن أمثالهم الأسلمي وعكاشة بن محصن وبين كل مرتبتين مراتب كثيرة تتفاوت فيها الناس تفاوتاً بينا.

وإذا استعرضنا التاريخ نجد أن العلية من الناس والقادة الذين تركوا أثرهم في التاريخ هم أصحاب الهمم العالية.

➢نماذج من الصحابة لعلو الهمة :

(١) ربيعة ابن كعب الأسلمي : الذي سأل النبي مرافقته في الجنة .

(حديث ربيعة ابن كعب الأسلمي الثابت في صحيح مسلم) كنت آتي رسول الله ﷺ بوضوئه وحاجته فقال لي سلني فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فأعنى على نفسك بكثرة السجود .

(حديث ربيعة ابن كعب الأسلمي الثابت في صحيح مسلم) كنت آتي رسول الله ﷺ بوضوئه وحاجته فقال لي سلني فقلت أسألك مرافقتك في الجنة قال أو غير ذلك قلت هو ذاك قال فأعنى على نفسك بكثرة السجود .

(٢) عكاشة بن محصن بادر فقال : "الذي سأل النبي ﷺ أن يكون من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب .

(حديثُ ابن عباس في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : عُرِضت عليَّ الأمم فجعل يمرُ النبي معه الرجل والنبيُ معه الرجلان والنبي معه الرهط والنبي ليس معه أحد ، ورأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأفق فرجوتُ أن تكون أمتي فقِيل هذا موسى وقومه ، ثم قِيل ليَ انظر هكذا وهكذا فرأيتُ سواداً كثيراً سدَّ الأفق فقِيل هؤلاء أمتُك ومع هؤلاءِ سبعون ألفاً يدخلون الجنةَ بغيرِ حساب فتفرَّقَ الناسُ ولم يبينْ لهم ، فتذاكرَ أصحابُ النبيِ ﷺ فقالوا نحن وُلدنا في الشرك ولكن هؤلاء أبناؤنا ، فبلغ النبي ﷺ فقال { هم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون } فقام عُكَّاشةُ ابن مِحصن فقال : أمنهم أنا يا رسولَ الله ؟ قال : أنت منهم ، فقام آخر فقال أمنهم أنا ؟ قال : سبقك بها عُكَّاشة .

(حديث أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال :« وعدني ربى أن يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِى سَبْعِينَ أَلْفاً لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً وَثَلاَثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ ربي » .

(٣) أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه :

لعلوهِمَّتُهُ أراد يفعل أبواب الخير كلها ولا يقنع ببعضها دون الأخرى وذلك لأن نفسه التي بين جنبيه نفسٌ توَّاقةٌ للخير ، فقد بلغت همتُه عنان السماء وصار غارقاً في علـى الهمـةِ إلى الأذقان ، ولا عجب فإنه الصِّدِّيق صاحب رسول الله ﷺ وأفضل الأمة بع نبيها ﷺ .

"ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها ، قال نعم وأرجوا أن تكون منهم."...

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :

من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟. قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم .

من أنفق زوجين : اللَّهِ رُوِيَ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ اثْنَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ كَدِرْهَمَيْنِ أَوْ دِينَارَيْنِ وَرُوِيَ عَنْ غَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ دِينَارٌ وَدِرْهَمٌ وَمَعْنَى ذَلِكَ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ أَقَلُّ مَا يَقَعُ بِهِ التَّكْرَارُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِذَلِكَ الْعَمَلَ فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَنْ صَلَّى صَلَاتَيْنِ أَوْ صَامَ يَوْمَيْنِ أَوْ جَاهَدَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْإِنْفَاقِ فِيمَا قَدَّمْنَاهُ أَظْهَرُ وَلَفْظُ الْجِهَادِ وَالْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَظْهَرُ .

(نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ) يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ أَعَدَّهُ اللَّهُ لَك فَأَقْبِلْ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ هَذَا خَيْرُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لَك لِأَنَّهُ فِي الْخَيْرِ وَالثَّوَابِ الَّذِي أُعِدَّ لَك .

فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَعْنَاهُ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ أَنْ تَكُونَ الصَّلَاةُ أَغْلَبَ أَعْمَالِهِ وَأَكْثَرَهَا وَقَدْ تَغْلِبُ عَلَى عَمَلِ الرَّجُلِ الصَّلَاةُ فَتَكُونُ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ وَيَغْلِبُ عَلَى أَعْمَالِهِ الصَّوْمُ فَيَكُونُ أَكْثَرَ أَعْمَالِهِ وَكَذَلِكَ الْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ فَمَنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى عِبَادَتِهِ نَوْعٌ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ نُودِيَ مِنْ الْبَابِ الْمُخْتَصِّ بِهِ

(يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ يُدْعَى مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ) ظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِ ضَرُورَةٌ فِي أَنْ يُدْعَى مِنْ غَيْرِهَا وَأَنَّ الدُّعَاءَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا يَكْفِي فِي التَّنَاهِي فِي الْخَيْرِ وَسَعَةِ الثَّوَابِ لَكِنَّهُ مَعَ مَا فِي الدُّعَاءِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ مِنْ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ هَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِهَا لِأَنَّ ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ الْخَيْرِ وَأَوْسَعُ مِنْ إِنْعَامِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ أَطَاعَهُ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ وَمَنْ دُعِيَ مِنْ هَذِهِ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ لَهُ إِنَّ دُخُولَك مِنْ هَذَا الْبَابِ أَفْضَلُ مِنْ دُخُولِك عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَلَكِنَّهُ يُدْعَى بِأَنْ يُقَالَ لَهُ

إنَّ لَك هَاهُنَا خَيْرًا وَعَدَهُ اللَّهُ لَك لِعِبَادَتِك الْمُخْتَصَّةِ بِالدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْبَابِ أَوْ لِعِبَادَتِك الَّتِي هِيَ سَبَبُ أَنْ تُدْعَى مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ .

وسؤال أبى بكر يريد به شخصا اجتمعت فيه خصال الخير من صلاة وصيام وصدقة وجهاد ونحو ذلك ، بحيث يدعى من جميع تلك الأبواب .

[*] أسباب المؤدية لعلو الهمة :

(١) الإخلاص:

فنسيان رؤية المخلوقين بدوام النظر إلي الخالق تبارك وتعالى يحث على الأخذ بمعالي الأمور ؛ لأن الناقد بصير.

[*] يقول الإمام بن القيم رحمه الله :

لقاح الهمة العالية: النية الصالحة ، فإذا اجتمعا بلغ العبد المراد.

(٢) الصدق :

فالصادق في عزمه وفي فعله صاحب همة عالية وبصدقه في العزم والفعل يسعد في الدارين ، فصدق العزيمة الجزم وعدم التردد ، وصدق الفعل هو بذل الجهد واستفراغ الوسع لتحقيق ما عزم عليه ، فيأمن صاحب العزم الصادق من ضعف الهمة والإرادة ، و يمنعه صدقه في الفعل من الكسل والفتور.

(٣) العلم :

فمن استوى عنده العلم والجهل ، أو كان قانعا بحاله وما هو عليه ، فكيف تكون له همة أصلا ؟ فالعلم يرتقي بالهمة ، ويرفع طالبه عن حضيض الجهل والتقليد ويصفي نيته.

" والعلم يورث صاحبه الفقه بمراتب الأعمال، فتبقى فضول المباحات التي تشغله عن التعبد – كفضول الأكل والنوم – ويراعي التوازن والوسطية بين الحقوق والواجبات ، امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: " أعط كل ذي حقه حقه" .

ويبصره بتحيل إبليس وتلبيسه عليه ، كي يحول بينه وبين ما هو أعظم ثوابا ". (علو الهمة للشيخ محمد إسماعيل).

[*] قال ابن القيم رحمه الله :

إن السالك على حسب علمه بمراتب الأعمال ونفائس الكسب ، تكون معرفته بالزيادة والنقصان في حاله وإيمانه .

(٤) اليقظة والمسارعة :

بحيث يفارق العبد بيقظته جموع الغافلين ، ويعرض عن أفعال الجاهلين ويخلع ثوب النوم والرقاد ، فلا يقر له قرار حتى يسكن في جنة عرضها السموات والأرض :

فحي على جنات عدن فإنها منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ

ولكننا سبيُ العدو فهل ترى نعود إلي أوطاننا ونُسلَّمُ

فلا ينبغي لمن أراد الارتقاء بهمته أن يرتمي في أحضان الغافلين وإلا عضّ أسنة الندم .

دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الجوشن الضبابي بعد بدر إلى الإسلام ، فقال : "هل لك إلى أن تكون من أوائل هذا الأمر؟" . قال: لا. قال: "فما يمنعك منه؟". قال : رأيت قومك كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ، فأنظر: فإن ظهرت عليهم آمنت بك واتبعتك ، وإن ظهروا عليك لم أتبعك ..فكان ذو الجوشن يتوجع على تركه الإسلام حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذا ما علا المرء رام العلا ويقنع بالدون من كان دونا

(٥) الحزم وعدم التردد :

فإن التردد يفوّت على العبد الفوز بالخيرات ، ويبقيه في مكانه في الوقت الذي يسير فيه الركب فيصل الحازم إلى مبتغاه ،

وصدق القائل :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

وقال آخر :

ومشتت العزمات ينفق عمره حيران لا ظفرٌ ولا إخفاق

فلا تتوقف مترددا أو قلقا ، ولا تضيع نفسك بالشكوك التي لا تلد إلا الشكوك ، واستمع إلى قال تعالى: (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ إِنّ اللّهَ يُحِبّ الْمُتَوَكّلِينَ) [آل عمران / ١٥٩]

قال تعالى: (فَإِذَا عَزَمَ الأمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ اللّهَ لَكَانَ خَيْراً لّهُمْ) [محمد / ٢١]

(٦) معرفة قيمة النفس وشرفها:

وليس المقصود بهذا أن يغتر العبد أو يعجب بنفسه ويتكبر ، إنما المقصود أن يعلم أنه في الخليقة شيء آخر لا يشبهه أحد ، فيحرص على أن يرفع قيمته ، ويغلي ثمنه بعمله الصالح

، وبعلمه ونبوغه ، واطلاعه ومثابرته وبحثه وتثقيف عقله ، وصقل ذهنه ، وإشعال الطموح في روحه ، والنبل في نفسه ؛ لتكون قيمته عالية وغالية.

فيا أيها الحبيب، يا من أسجد الله لك ملائكته بالأمس ، وجعلهم اليوم في خدمتك ، كم من ملك في السماوات ما ذاقوا غمضا ليس لهم رتبة: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع). كم من ملك في السماوات ما ذاقوا طعاما ولا شرابا ليس لهم شرف : "ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ". الملائكة تصلي عليك ما استقمت ، وحملة العرش يستغفرون لك ، يا هذا فتش عن نفسك ، واعرف قدرها تسم بهمتك إلى العظيم.

(٧) الدعاء :

وإنما جعلناه خاتمة الأسباب التي نتحدث عنها في هذا المقال لأنه الباب الأوسع والأقرب للفوز بأنواع الخيرات ، وهو باب لا منازع فيه ، فإنه ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، وإن أعجز الناس من عجز عن الدعاء بنص السنة الصحيحة :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء .

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء .

فادخل على مولاك من باب الذل والافتقار ، وناجه :

إلهي وسيدي ومولاي ، أنت أصلحت الصالحين وأعليت هممهم فاجعلنا منهم وألحقنا بهم في عليين .

[*]➢ثمرات الهمة العالية :

(1)قيق كثير من الأمور التي يعدها عامة الناس خيالاً يتحقق ومن أمثلة ذلك بناء أمة مؤمنة في الجزيرة العربية التي يشيع فيها الجهل والشرك وذلك في فترة وجيزة ، وابن ياسين استطاع أن يقود بعصابة قليلة من أصحابه المربِّيين دولة انتصرت على جيوش الأسبان بعد استشهاده ،

(2) الوصول إلى مراتب عليا في العبادة والزهد.

قال معاذ رضي الله عنه على فراش الموت: "اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا ولا طول المكث فيها لجري (لعله لكري) الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء

لمكابدة الليل الطويل وظمأ الهواجر في الحر الشديد ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر" .

(3)البعد عن سفاسف الأمور ودناياها:

لما فرَّ عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس من العباسيين أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها وقال: "إن هذه من القلب والعين بمكان وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن اشتغلت بها عن ما أطلبه ظلمت همتي ، ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها" .

(4) صاحب الهمة العالية يُعْتَمَدُ عليه وتناط به الأمور الصعبة وتُوكَلُ إليه:

وهذا أمر مشاهد معروف فإن المديرين والرؤساء عادة يطمحون للعمل مع صاحب الهمة العالية ويستعدون للتضحية معه حتى ولو كلفهم ذلك الكثير. وقد قيل: "ذو الهمة وإن حط نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً" .

(5) صاحب الهمة العالية يستفيد من حياته أعظم استفادة وتكــون أوقاتــه مثمــرة بنـــاءة.

[*] وقال الإمام ابن عقيل الحنبلي :

إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح" .

[*] وكان الإمام النووي يقرأ كل يوم اثني عشر درساً شرحاً وتصحيحاً ، ويقول لتلميذه بارك الله في وقتي .

ويقول د. مَارْدِن: "كل رجل ناجح لديه نوع من الشباك يلتقط به نحاتات وقراضات الزمان ، ونعني بها فضلات الأيام والأجزاء الصغيرة من الساعات مما يكنسه معظم الناس بين مهملات الحياة . وإن الرجل الذي يَدَّخِرُ كل الدقائق المفردة وأنصاف الساعات والأعياد غير المنتظرة والفسحات التي بين وقت وآخر ، والفترات التي تنقضي في انتظار أشخاص يتأخرون عن مواعيد مضروبة لهم ، ويستعمل كل هذه الأوقات ويستفيد منها ليأتي بنتائج باهرة يدهش لها الذين لم يفطنوا لهذا السر العظيم الشأن"

(6) صاحب الهمة العالية قدوة للناس.

(7)تغيير طريقة حياة الشعوب والأفراد:

[*] يقول الشيخ محمد الخضر حسين:

"يسموا هذا الخلق بصاحبه إلى النهايات من معالي الأمور فهو الذي ينهض بالضعيف فإذا هو عزيز كريم ، ويرفع القوم من السقوط ويبدلهم بالخمول نباهة وبالاضطهاد حرية وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية ... أما صغير الهمة فإنه يَبْصُرُ بخصومه في قوة وسطوة فيذوب أمامهم رهبة، ويطرق إليهم رأسه حطة ثم لا يَلْبَثُ أن يسير في ركبهم ويسابق إلى حيث تحط أهواؤهم" .

[*]➢وسائل ترقية الهمة :

(١) المجاهدة :

قال تعالى: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا."

(٢) الدعاء الصادق والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى.

(٣) اعتراف الشخص بقصور همته.

وهذا يستلزم أيضاً أن لا ينكر أنه قادر على تغيير همته وتطويرها إلى الأحسن.

– 4قراءة سيرة السلف الصالح.

[*] يقول ابن القيم: "... ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا هو يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي و... فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعبادتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع فصرت أستزري ما الناس فيه وأحتقر همم الطلاب ولله الحمد" .

[*] وقال محمد بن علي الأسلمي: قمت ليلة سَحراً لآخذ النوبة على ابن الأَخْرَمِ فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً ولم تدركني النوبة إلى العصر .

(٥) مصاحبة صاحب الهمة العالية.

(٦) مراجعة جدول الأعمال اليومي ومراعاة الأولويات والأهم فالمهم.

(٧) التنافس والتنازع بين الشخص وهمته.

ومعنى ذلك أن على مريد تطوير همته أن يحمل نفسه أعباءً وأعمالاً يومية لم تكن موجودة في حياته بحيث يحدث نوع من التحدي داخل النفس، ويجب أن تكون هذه الإضافة مدروسة بعناية وإحكام حتى لا يصاب الشخص بالإحباط.

(٨) الدأب في تحصيل الكمالات والتشوق إلى المعرفة يقول عمر بن عبد العزيز رحمهُ الله:

"إن نفسي تواقة وإنها لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه..."

(٩) الابتعاد عن كل ما من شأنه الهبوط بالهمة وتضييعها مثل:

أ – كثرة الزيارات للأقارب بدون هدف شرعي صحيح ولا غرض دنيوي فيه فائدة معتبرة.

ب – كثرة الزيارات للأصحاب فيكثر المزاح وتقل الفائدة.

ج – الانهماك في تحصيل المال بدعوى التجارة وحيازة المال النافع للإسلام وأهله ، ثم ينقلب الأمر إلى تحصيل محض للدنيا وانغماس فيها.

د – تكليف الموظف نفسه بعملين صباحي ومسائي دون ضرورة لذلك.

هـ – كثرة التمتع بالمباحات.

و – الاستجابة للصوارف الأسرية استجابة كلية أو شبه كلية.

[*] يقول محمد بن حسن موسى:

"وقد دخلت علينا في حياتنا الأسرية كثير من التقاليد الغريبة في أمر الاحتفاء الزائد بالأهل والأولاد ودعوى ضرورة بناء مستقبلهم وغير ذلك مما حاصله نسيان الكفالة الإلهية والضمان الرباني"

ز – التسويف قال الشاعر:

ولا أؤخر شغل اليوم عن كسلٍ *** إلى غدٍ إن يوم العاجزين غَدُ

ح – الكسل والفتور.

قال الصاحب: "إن الراحة حيث تعب الكرام أوْدَع لكنها أوضع والقعود حيث قام الكرام أسعل لكنه أسفل" (٢١) وقال الشاعر:

كأن التواني أنكح العجز بنته *** وساق إليها حين أنكحها مهرا

فراشاً وطيئاً ثم قال له اتكئ *** فَقُصْراكما لا شك أن تلدا فقرا

ط – مُلاحظة الخلق وتقليدهم والاقتداء بهم ، فأكثر الخلق مفرطون.

[*]➢مظاهر علو الهمة :

(١) تحرقه على ما مضى من أيامه وكأنه لم يكن قط صاحب الهمة المتألق المنجز لكثير من الأمور.

(٢) كثرة همومه وتألمه لحالة المسلمين.

(٣) موالاته النصيحة وتقديم الحلول والاقتراحات لمن يرجو منهم التغيير والإصلاح.

(٤) طلبه للمعالي دائماً.

(٥) كثرة شكواه من ضيق الوقت.

(٦) قوة عزمه وثبات رأيه وقلة تردده ، فهو إذا قرر أمراً راشداً لا يسرع بنقضه ، بل يستمر فيه ويثبت عليه حتى يقضيه ويجني ثمرته ، ولا شك أن كثرة التردد ونقض الأمر من بعد إبرامه من علامات تدني الهمة.

لكل إلى شأو العُلا حركات *** ولكن قليل في الرجال الثبات

➢كيفيَّة استثمار همم الناس :

للناس ثلاثة أقسام :

(١) قسم ضائع مضيع يترك إلى حين إفاقته.

(٢) قسم محافظ على الفرائض.

➢ فهذا القسم إن كان من أهل اليسار والغنى يوجه إلى المشاركة والتنافس في أعمال الخير العامة مثل بناء المساجد وإغاثة المنكوبين ومساعدة الجمعيات والهيئات الإسلامية الخيرية.

➢وإن كانوا من ذوي الدخول المتوسطة يوجهون إلى سماع الدروس والخطب التي يعدها خطباء مرموقون.

➢التوضيح والتنبيه والقيام بالنصيحة وبيان أن باستطاعتهم توجيه جهودهم إلى ما هو أنفع.

➢توجيههم للقراءة النافعة.

(٣) قسم – وهو المعول عليه بعد الله سبحانه وتعالى – ملتزم بدينه ومحافظ عليه يطمح إلى القيام بما يجب عليه وهذا يوجه إلى الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة وحمل هم هذا الدين .

[*]➢محاذير أمام أهل الهمم العالية :

(١) صاحب الهمة العالية تحلق به همته دائماً فتأمره بإنجاز كثير من الأعمال المتداخلة في وقت واحد فليطعها بقدر ولا يستبعد ما تأمره به وفي الوقت نفسه لا يَقُمْ به كلِّها بل يأخذ منه بقدر ما يعرف من إسعاف همته له بالقيام به.

(٢) صاحب الهمة العالية معرض لنصائح تثنيه عن همته وتحاول أن تذكره دائماً بأنه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ... فالحصيف لا يلتفت إلى هذه النصائح إلا بقدر.

[*] قال ابن نباتة السعدي:

أعاذلتي على إتعاب نفسي *** ورعيي في الدجى روض السهادِ

إذا شام الفتى برق المعالي *** فأهون فائت طيب الرقادِ

(٣) صاحب الهمة معرض لسهام العين والحسد فعليه بالأذكار المأثورة ليدرأ عن نفسه ما قد يصيبه.

(٤) صاحب الهمة تعتريه فترْة وضعف قليل لما يراه من تدني همم غالب الخلق فلا يحزن وليوطن نفسه على الإحسان والنصيحة.

(٥) أهل الهمة العالية قد يكونون مفرطين في بعض الأمور التي ربما لا يرون فيها تعلقاً مباشراً بعلو هممهم مثل حقوق الأهل والأقارب ، فعلى من أصيب بشيء من ذلك أن يصلحه ولو بالقدر الذي يبعد عنه سهام اللائمين.

(٦) قد تؤدي الهمة العالية بصاحبها إلى التحمس الزائد فيستعجل ويرتكب من الأخطاء ما كان يمكن تلافيه بقليل من التعقل وحساب العواقب ، وعلى من وقع في مثل هذا أن يعرف السنن الكونية ، وأن الأمر لا يحسم بين عشية وضحاها.

(٧) أهل الهمة العالية قد يتعرضون لإثارة الخلافات الفقهية بينهم فينتج عن ذلك الذم والمقت ، ومن أصبح ذلك ديدنه فستتخلف همته وتقعد به عن معالي الأمور.

(٨) قد يتعرض صاحب الهمة إلى عدم المداومة مع أن أبرز سمات صاحب الهمة العالية المداومة وعدم الانقطاع فإن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل بنص السنة الصحيحة .

(حديث عائشة الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : خيرُ الأعمال أدومها وإن قل .

فهمة متوسطة العلو تدوم خير من همة عزيمة متقطعة

[*] يقول أبو المواهب بن صَرْصَرَى :

لم أَرَ مِثْل أبي القاسم ابن عساكر ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزوم طريقة واحدة مدة أربعين سنة من لزوم الصلوات في الصف الأول إلا من عذر والاعتكاف في شهر رمضان وعشر ذي الحجة وعدم التطلع إلى تحصيل الأملاك وبناء الدور فقد أسقط عن نفسه ذلك .

[*] وقال أبو العباس ثعلبٌ:

"ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة ولا نحو خمسين سنة"

(١٥) أن يكون غرض الداعي جميلاً حسنًا :

كأن يتوسل الداعي إلى الله فيما أجاب دعوته أنه سيترتب على تلك الإجابة عمل صالح، كأن يقول آمين: اللهم ارزقني مالاً؛ لأسلطه على هلكته في الحق، ولأنصر به ديـن الإسـلام، أو: اللهم ارزقني علمًا؛ كي أعلم العباد دين الله، وأنشر الخير بينهم، أو: اللهم ارزقنـي زوجـة؛ لأتعفف بها عن المحارم وهكذا...

ويشير إلى ذلك قوله _ تعالى _ عن موسى _ عليه السلام _ قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِـي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيَ أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيـرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيَ أَمْرِي * كَـيْ نُسَـبِّحَكَ كَثِيـرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا) [طه ٢٥: ٣٥]

فماذا كانت النتيجة؟

لقد أجاب الله سؤله، ومنَّ عليه مرة أخرى.

ويشير إليه _ أيضًا _ الحديث الآتي :

(حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إذا جاء الرجل يعود مريضا فليقل: اللهم اشف عبدك فلانا ينكأ لك عدوا أو يمش لك إلى الصلاة .

(١٦) يخفِضُ صوته في الدعاء بين المخافتة والجهر:

قال تعالى: (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف / ٥٥]

وقال تعالى: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف / ٢٠٥]

فنادِ ربك بقلب حاضر بصوت خَافِت، فهذا زكريا عليه السلام: ﴿نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم:٣]، ﴿هَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾[آل عمران:٣٨]، فرزقه الله يحيى نبيا.

(حديث أبي موسى في الصحيحين) قال كنا مع رسول الله ﷺ في غزاةٍ فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبطُ في وادٍ إلا رفعنا صوتنا بالتكبير فدنا منا رسول الله ﷺ فقال : أيهـا

الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم ل تدعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيرا ، ثم قال : يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمةً هي من كنوز الجنة : لا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا ولخفض الصوت والإسرار بالدعاء _ فوائد عديدة، وأسرار بديعة،

[*] وقد أشار العلامة ابن القيم إلى شيء منها، فمن ذلك ما يلي:

أولاً _ أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي، وليس كالذي قال: إن الله يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

ثانيًا _ أنه أعظم في الأدب والتعظيم: ولهذا فإن الملوك لا تُخَطَبُ، ولا تُسْأَل برفع الصوت، وإنما تخفض عندهم الأصوات بمقدار ما يسمعونه، ومن رفع صوته عندهم مقتوه، ولله المثل الأعلى؛ فإذا كان يسمع الكلام الخفي _ فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

ثالثًا _ أنه أبلغ في التضرع والخشوع: الذي هو روح الدعاء، ولبه، ومقصوده؛ فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، ولا يتأتى ذلك مع رفع الصوت، بل مع خفضه.

رابعًا _ أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسًا _ أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء؛ فإن رفع الصوت يفرقه، ويشتته.

سادسًا _ أنه دال على قرب صاحبه من الله: وأنه لاقترابه منه، وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه، فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد.

وهذا من النكت السرية البديعة جدًا.

سابعًا _ أنه أدعى لدوام الطلب والسؤال؛ فإن اللسان _ والحالة هذه _ لا يمل، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته؛ فإنه قد يكل لسانه، وتضعف بعض قواه، وهذا نظير من يقرأ أو يكرر رافعًا صوته؛ فإنه لا يطول له ذلك، بخلاف من يخفض صوته.

ثامنًا _ أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع، والمشوشات، والمضعفات؛ فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يَدْرِ به أحد، فلا يحصل هناك تشويش، ولا غيره.

وإذا جهر به تفطنت له الأرواح الشريرة، والخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولا بد، ومانعته، وعارضته، ولو لم يكن إلا أنَّ تعلقها به يفرق عليه همته، فيضعف أثر الدعاء _ لكفى.

ومن له تجربة يعرف هذا، فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

تاسعًا _ الأمن من شر الحاسدين؛ ذلك أن أعظمَ النعم نعمةُ الإقبالِ على الله، والتعبد له،

والانقطاع إليه، والتبتل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها دَقَّتْ أو جَلَّتْ.

ولا نعمة أعظم من هذه النعمة؛ فأنْفُسُ الحاسدِينَ المنقطعين متعلقةٌ بها، وليس للمحسود أسلمُ من إخفاء نعمته عن الحاسد، وأن لا يقصد إظهارها له، وكم من صاحب قلب وجَمْعِيَّةٍ وحال مع الله قد تحدث بها، فسلبه إياها الأغيار، فأصبح يقلب كفيه.(٥٦)

(١٧) إظهار الداعي الشكوى إلى الله ، والافتقار إليه:

قال_ تعالى _ عن أيوب _ عليه السلام :

: (وَأَيّوبَ إِذْ نَادَىَ رَبّهُ أَنّي مَسّنِيَ الضّرّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ) [الأنبياء / ٨٣]

إن سيدنا أيوب عليه السلام نزل به من الضر ما غدا صبره عليه مضرب الأمثال، فالتجأ إلى ربه مناجيا، فكشف الله عنه ضره وأكرمه بزيادة فضل .

قال تعالى { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} [الأنبياء:٨٣-٨٤].

[*] قال العلامة النسفي رحمه الله في تفسيره :

" إنما شكا إليه تلذذا بالنجوى، لا منه تضررا بالشكوى، والشكاية إليه غاية القرب كما قال تعالى (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

[يوسف /٨٦]

، كما أن الشكاية منه غاية البعد " [تفسير النسفي ٣/٨٩].

وعن زكريا _ عليه السلام _ دعاءه: قال تعالى: (وَزَكَرِيّآ إِذْ نَادَىَ رَبّهُ رَبّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) [الأنبياء / ٨٩]

فأظهر -أيها الداعي- الشكوى إلى الله، والافتقار إليه، فهو جابر المنكسرين وإله المستضعفين، يقول يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى ٱللَّهِ ﴾[يوسف:٦٨]، فهو صاحب كل نجوى، وسامع كل شكوى، وكاشف كل بلوى، يده تعالى ملأى لا تغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، ما أُمِّل تعالى لنائبة فخيَّبها، وما رُجي لعظيم فقطعها، لا يؤمَّل لكشف الشدائد سواه، بيده مفاتيح الخزائن، بابه مفتوح لمن دعاه،

وعن موسى _ عليه السلام _ دعاءه قال تعالى: (رَبّ إِنّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) [القصص / ٢٤]

(٥٦) انظر بدائع الفوائد ٣/٦_١٠، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٥_٢٠.

[*] قال ابن المبارك : قدمت المدينة في عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، فخرجت معهم، إذ أقبل غلام أسود، عليه قطعتا خيش، قم اتَّزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي، فسمعته يقول: إلهي أخْلَقَتِ الوجوهَ عندك كثرةُ الذنوب، ومساوىء الأعمال، وقد حَبَسْتَ عنا غيث السماء؛ لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليمًا ذا أناة، يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل _ أن تسقيهم الساعةَ الساعةَ، فلم يزل يقول: الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام، وأقبل المطر من كل جانب .[٥٧]

[*] قال ابن رجب رحمه الله تعالى : وقد كان بعض الخائفين يجلس بالليل ساكناً مطرقاً برأسه ويمد يديه كحال السائل ، وهذا من أبلغ صفات الذل وإظهار المسكنة والافتقار ، ومن افتقار القلب في الدعاء ، وانكساره لله عز وجل ، واستشعاره شدة الفاقةِ ، والحاجة لديه . وعلى قدر الحرقةِ والفاقةِ تكون إجابة الدعاء ، قال الأوزاعي : كان يقال : أفضل الدعاء الإلحاح على الله والتضرع إليه)) [الخشوع في الصلاة ص٧٢] .

(١٨) الخشوع والخضوع :

قال تعالى: (إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ) [الأنبياء / ٩٠]

وقال تعالى: (ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ) [الأعراف / ٥٥]

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الترمذي) قال خرج النبي ﷺ للاستسقاء متذللاً متواضعاً متخشِّعاً متضرعا .

[*]➢تعريف الخشوع :

➢الخشوع في اللغة :

هو الخضوع والسكون . قال :{ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً} [طه : ١٠٨] أي سكنت .

➢والخشوع في الاصطلاح:

هو حضور القلب وخضوعه وانكساره بين يدي الله تعالى .

[*] قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله :

---

[٥٧] إحياء علوم الدين، ١/٣٠٨.

"أصل الخشوع لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته،فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء،لأنها تابعة له " [الخشوع لابن رجب،ص١٧] فالخشوع محله القلب ولسانه المعبر هو الجوارح . فمتى اجتمع في قلبك أخي في الله – صدق محبتك لله وأنسك به واستشعار قربك منه، ويقينك في ألوهيته وربوبيته ،وحاجتك وفقرك إليه.متى اجتمع في قلبك ذلك ورثك الله الخشوع وأذاقك لذته ونعيمه تثبيتاً لك على الهدى ،قال تعالى :{ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى}[محمد: ١٧]

وقال تعالى :{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت :٦٩]

فاعلم أخي الكريم – أن الخشوع هو توفيق من الله جل وعلا،يوفق إليه الصادقين في عبادته ،المخلصين المخبتين له ،العاملين بأمره والمنتهين بنهيه. فمن لم يخشع قلبه بالخضوع لأوامر الله لا يتذوق لذة الخشوع ولا تذرف عيناه الدموع لقسوة قلبه وبعده عن الله .قال تعالى {نَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [العنكبوت:٤٥] ،فالذي لن تنهه صلاته عن المنكر لا يعرف إلى الخشوع سبيلاُ،ومن كان حاله كذلك ،فإنه وإن صلى لا يقيم الصلاة كما أمر الله جل وعلا ، قال تعالى }:وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ} [البقرة : ٤٥]

واعلم أخي المسلم بأن الخشوع واجب على كل مصل .قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ويدل على وجوب الخشوع قول الله جل وعلا،قال تعالى:{ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ]{ المؤمنون:١–٢]

[الفتاوى ٢٢/٢٥٤]

➢فضل الخشوع :

(١) إن الله سبحانه قد امتدح الخاشعين في مواضع كثيرة من كتابه فقال :﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾[المؤمنون:١،٢]،

قال ابن كثير رحمه الله تعالى :

[*] و" الخشوع : هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته . " تفسير ابن كثير ط. دار الشعب ٦/٤١٤

وقال :﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[البقرة:٤٥]،

وقال :﴿خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ [آل عمران:١٩٩]،

وقال :﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء:٩٠]،

وقال :﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾ [الإسراء:١٠٩].

ولما كان الخشوع صفه يمتدح الله بها عبادة المؤمنين ،دل على فضله ومكانته عند الله ،ودل على حب الله الأهل الخشوع والخضوع ،لأن الله سبحانه لا يمدح أحداً بشيء إلا وهو يحبه ويحب من يتعبده به .

وقد ذكر الله الخاشعين والخاشعات في صفات عباده الأخيار وأخبر أنه أعد لهم مغفرة وأجـرا عظيماً

قال تعالى: (إِنّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَـاتِ وَالصّـادِقِينَ وَالصّادِقَاتِ وَالصّابِرِينَ وَالصّـابِرَاتِ وَالْخَاشِـعِينَ وَالْخَاشِـعَاتِ وَالْمُتَصَـدّقِينَ وَالْمُتَصَـدّقَاتِ والصّائِمِينَ والصّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِـظَاتِ وَالذّاكِـرِينَ اللّهَ كَثِيراً وَالذّاكِرَاتِ أَعَدّ اللّهُ لَهُم مّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) [الأحزاب / ٣٥]

ولذ كان من السبعة الذين يُظِلّهُمُ الله في ظِلّهِ ظِلّ إلاّ ظِلّهُ [وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَهُ]

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :(سَبْعَةٌ يُظِلّهُمُ الله في ظِلّهِ ظِلّ إلاّ ظِلّهُ يَوْمَ لاَ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشأَ في عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في الله اجْتَمعَا عَلَيه وَتفَرّقَا عليه ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرأة ذَاتُ منصب وَجَمَالٍ فَقَالَ إنّي أَخَافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدّقَ بِصدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَهُ)

ووجه الدلالة من الحديث:

أن الخاشع في صلاته يغلب على حاله البكاء في الخلوة أكثر من غيرها،فكان بذلك ممن يظلهم الله في ظله يوم القيامة .

ولو لم يكن للخشوع إلا فضل الانكسار بين يدي الله،وإظهار الذل والمسكنة له ،لكفى بـذلك فضلاً ،وذلك لأن الله جل جلاله إنما خلقنا للعبادة

قال تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]

وأفضل العبادات ما كان فيها الانكسار والذل الذي هو سـرها ولبهـا.ولا يتحقـق ذلـك إلا بالخشوع .

الخشوع: يورث انكساراً بين يدي الرب، وحُرقةً من المعاصي والسيئات؛ لأن القلب إذا خشع سكنت خواطره، وترفعت عن الأمور الدنيئة همته، وتجرد من اتباع الهوى مسلكه،

الخشوع: يجعل العبد ينكسر ويخضع لله، ويزول ما فيه من التعاظم والترفع، والتعالي والترفع، والتعالي والتكبر، وتلك درجات في قلوب الناس تتفاوت بتفاوت الإيمان في قلوبهم، وسيطرة الإسلام على نفوسهم.

الخشوع: هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والخضوع.

(٢) والخشوع علم نافع؛ لأن العلم النافع ما أوجب خشية القلوب، لذا: كان يستعيذ من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا تُسمع، فإن القلب الذي لا يخشع: علمه لا ينفع، ودعاؤه لا يسمع.

(حديث زيد ابن أرقم في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .

وهذا العلم النافع نادر وجوده سريع فقده

فهو أول ما يرفع من الأمة، كما جاء في الحديث الآتي :

(حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا .

وبذهاب الخشوع تكون العبادة بغير روح، وهذا أمر يورث الخوف على القلب، وتفقده دائماً.

(٣) وفضائل الخشوع كثيرة: فهو يقرب القلب من الله، فيمتلئ نوراً، فينتفع صاحبه بآيات الله الشرعية، والكونية، ويكون له في كل نظرة عِبرة، وعَبْرة. ويقي صاحبه من غوائل العجب والغرور والإدلال والرياء. وبه تُستنزل رحمة الله) تعالى)،

وأعظمها: حصول البشرى ((وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ)) [الحج: ٣٤]،

وبه ينال الأجر العظيم، فالخشوع طريق الفلاح الموصل إلى الجنة: ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ] ((المؤمنون: ١، ٢]، ثم قال: ((أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))

[المؤمنون: ١٠، ١١] .

➢حكم الخشوع

والراجح في حكم الخشوع أنه واجب .

[*]قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

قال تعالى: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)

[البقرة / ٤٥]

وهذا يقتضي ذم غير الخاشعين .. والذم لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرّم وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلّ ذلك على وجوب الخشوع .. ويدل على وجوب الخشوع فيهـا أيضـا قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون .. – إلى قوله – أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الـذين يرثون فردوس الجنة وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم .. وإذا كان الخشوع في الصلاة واجبا وهو المتضمن للسكون والخشوع (هكذا في الأصل ولعلها الخضوع) فمن نقر نقر الغراب لم يخشع في سجوده وكذلك من لم يرفع رأسه في الركوع ويستقر قبل أن ينخفض لم يسكن لأن السكون هو الطمأنينة بعينها فمن لم يطمئن لم يسكن ومن لم يسكن لم يخشع في ركوعـه ولا في سجوده ومن لم يخشع كان آثما عاصيا .. ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي صلى الله عليه وسلم توعد تاركيه كالذي يرفع بصره إلى السماء فإنه حركته ورفعه وهو ضد حال الخاشع ..

[مجموع الفتاوى 22/553-558]

➢محل الخشوع : القلب .

وثمرته: تظهر على الجوارح، ولذا قيل: إذا ضرع القلب، خشعت الجوارح، وذلـك لأن القلب مَلِك البدن، وأمير الأعضاء، تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، فالأعضاء تابعة للقلب فإذا فسد خشوعه بالغفلة والوساوس فسدت عبودية الأعضاء والجوارح فإن القلب كالملك والأعضاء كالجنود له فبه يأتمرون وعن أمره يصدرون فإذا عُزل الملك وتعطّل بفقد القلب لعبوديته ضاعت الرعية وهي الجوارح .

ولهذ قال النبي ﷺ : ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب .

(حديث النعمان بن بشير الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :الحلال بين و الحرام بين و بينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه و دينه و من وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا و إن لكل ملك حمى ألا و إن حمى الله تعالى في أرضه محارمه ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب .

➢منزلة الخشوع من الإيمان :

الخشوع من الإيمان؛ الذي هو في القلب، وإنما يزيد الإيمان بحياة القلب، وذلك بالاشتغال بالعلم النافع والعمل الصالح، كما أنه ينقص بمرض القلب، ويذهب بموته، وذلك بالانصراف إلى الشبهات والشهوات، فعلى المسلم أن يتعاهد قلبه في جميع أحواله ليدفع عنه القسوة؛ فإنها إذا استبدت به منعته الخشوع.

والله (عز وجل) يريد من عباده الترقي في سُلَّمِ الإيمان، ودرجات اليقين، ولذا: عاتب المؤمنين الذين لم يبلغوا قمة الخشوع؛ حيث تدل حركتهم البطيئة على ضعف لا يرضاه الله للعصبة المؤمنة حاملة المنهج الرباني، لتبليغه للناس كافة؛ عاتبهم فقال: ((أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)) [الحديد: ١٦]،

وفي الآية تلويح بما كان عليه أهل الكتاب من قسوة أورثتهم الفسق في الأعمال، ومن هنا كان التحذير الشديد من مآلهم، حيث طال عليهم الزمان، واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم، وذهب إيقانهم.

وقد رأينا ثمرة هذا الخشوع الإيماني في حياة سيد الخاشعين صلى الله عليه وسلم، الذي كان له في الانكسار لله (تعالى) والذل بين يديه أكمل الأحوال، فقد رؤي يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز الرحى ــ أي الطاحون ــ من البكاء .

(حديث عبد الله بن الشخير الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي فسمعت لصدره أزيزاً كأزيز المرجل من البكاء .

وكذا صاحبه الصديق (رضي الله عنه) كان وجلاً رقيقاً، إذا صلى أو قرأ القرآن بكى ، وأما الفاروق فيكفيك أنه مرض مرة لسماع القرآن وعاده الناس في مرضه لا يدرون ما به!، وقد أصاب سهمٌ أحدَ الصحابة وهو في صلاته فأزاله ورماه وأتمّ صلاته.

ومن السلف من كان يقوم في الصلاة كأنه عمود تقع الطيور على رأسه من شدة سكونه وإطالته، ولهم في ذلك أحوال يطول منها عجبنا؛ لأننا لا نرى ذلك في واقع حياتنا .

➢إخفاء الخشوع :

التظاهر بالخشوع ممقوت ، ومن علامات الإخلاص : إخفاء الخشوع

كان حذيفة رضي الله عنه يقول : إياكم وخشوع النفاق فقيل له : وما خشوع النفاق قال : أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع .

وقال الفضيل بن عياض

: كان يُكره أن يُري الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه . ورأى بعضهم رجلا خاشع المنكبين والبدن فقال : يافلان ، الخشوع هاهنا وأشار إلى صدره ، لاهاهنا وأشار إلى منكبيه . [المدارج ١/ ٥٢١]

[*] وقال ابن القيم رحمه الله تعالى مبيّناً الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق : " خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم و الإجلال و الوقار و المهابة و الحياء ، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل و الخجل و الحب و الحياء و شهود نعم الله و جناياته هو ، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح . و أما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع ، و كان بعض الصحابة يقول : أعوذ بالله من خشوع النفاق ، قيل له : و ما خشوع النفاق ؟ قال : أن يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع . فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته ، و سكن دخانها عن صدره ، فانجلى الصدر و أشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف و الوقار الذي حشي به و خمدت الجوارح و توقر القلب و اطمأن إلى الله و ذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له ، و المخبت المطمئن ، فإن الخبت من الأرض ما اطمأن فاستنقع فيه الماء ، فكذلك القلب المخبت قد خشع واطمأن كالبقعة المطمئنة من الأرض التي يجري إليها الماء فيستقر فيها ، و علامته أن يسجد بين يدي ربه إجلالا له و ذلا و انكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه . فهذا خشوع الإيمان ، وأما القلب المتكبر فإنه قد اهتز بتكبره و ربا فهو كبقعة رابية من الأرض لا يستقر عليها الماء .

و أما التماوت و خشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعا و مراءاة و نفسه

في الباطن شابة طرية ذات شهوات و إرادات فهو يتخشع في الظاهر و حية الوادي و أسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة .

[كتاب الروح ص:٣١٤ ط. دار الفكر – الأردن .]

➢الطرق الموصلة الخشوع :

إن مما يحصّل به المسلم الخشوع :

(١) تلقي أوامر الله (تعالى) بالقبول والامتثال، وعدم معارضتها بشهوة أو رأي.

(٢) الحرص على الإخلاص، وإخفاء الأعمال عن الخلق قدر المستطاع، ومطالعة عيوب النفس ونقائص الأعمال ومفسداتها من الكبر والعجب والرياء وضعف الصدق، والتقصير في إكمال العمل وإتمامه.

(٣) الإشفاق من رد الأعمال وعدم قبولها.

(٤) مشاهدة فضل الله وإحسانه، والحياء منه؛ لإطلاعه على تفاصيل ما في القلوب، وتذكر الموقف والمقام بين يديه، والخوف منه، وإظهار الضعف والافتقار إليه والتعلق به دون غيره.

(٥) طلب هدايته وتوفيقه وتسديده.

(٦) ومن أعظم الطرق: معرفة الله (جل جلاله) بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ..والعلم النافع، وهو: العلم بآيات الله الكونية والشرعية، الذي يربط القلب بالله.

وكذلك الإكثار من ذكر الموت، والجنة والنار، والإكثار من ذكر الله تضرعاً وخِيفة،ودعائه تضرعاً وخُفية، فإن ذلك أعظم إيماناً وأبلغ في الأدب، والتعظيم، والتضرع، والخـشـــــوع، والإخلاص، وجمعية القلب على الله تعالى(

ويمكن تحصيل ذلك كــلـــــه بالإقبال على كتاب الله الكريم، مع تعاهد التلاوة، وإدامة الــنــظــــر، وطـــــــول التأمل وكثرة التدبر، الذي يورث الصلة بالله (تعالى)، والمسارعة في الطاعات، واستباق الخيرات، وهو الأمر الذي لأجله أنزل الله القرآن الكريم.

➢آثار الخشوع:

يضفي الخشوع على الأفراد والأمم آثاراً كثيرة، منها :

(١) أنه يبعث الحياة في العمل، فيؤتي ثمرته المرجوة وغايته المقصودة.

(٢) أنه يجعل العبادة محببة للنفس، خفيفة غير ثقيلة.

(٣) المسارعة إلى الإذعان للحق والدعوة إليه، وبذل غايـــــة الـوســـــع فـي التعليم والدعوة والتربية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) توحيد المشاعر والاتجاهات والمقاصد نــحـــــــو الله (تعالــى) لا شريك له، فيتوجه العمل والنشاط والعبادة نحو غاية واحدة، فيحصل من ذلك :

ـ إحياء الأمـــة وقوتها وانتصارها، بصلاة الخاشعـيـــن ودعائهم وإخلاصهم، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وقد لمسنا آثار الخشوع في حياة سلف هذه الأمة الذين قاموا بـأمـــــــر الله خير قيام، وحملوا لواء العلم والعبادة والدعوة، وما كان ليحصل ذلك لولا ما تحمله قـلــوبـهـــم من تعظيم الله ومحبته وخشيته.

وإذا لم يكن الخشوع صفة الدعاة وحالهم، فإن الخطْب جلل، والمصيبة عظيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نماذج من خشوع السلف :

كان عبد الله بن الزبير يسجد حتى تنزل العصـــافير علـــى ظهـــره ولا تحســـبه إلا حـــائط.

لو رأيت ابن الزبير يصلي كأنه غصن شجرة تهزها الريح والمنجنيق يقـــع هاهنـــا وهاهنـــا وكأنه لا يبالي.

وذكر بعضهم أن حجراً من المنجنيق وقع على شرفة المسجد فطارت فلقة منها فمرت بين لحية ابن الزبير وحلقه، وهو قائم يصلي، فما زال عن مقامه، ولا عرف ذلك في صوته، ولا قطع لها قراءته، ولا ركع دون ما كان يركع، فكان إذا دخل في الصلاة خرج من كل شيء إليها .

روي أن ابن الزبير كان يوماً يصلي فسقطت حية من السقف تطوقت على بطن ابنه هاشم ، فصرخ النسوة وانزعج أهل المنزل، واجتمعوا على قتل الحية، فقتلوها وسَلِم الولد، فعلوا هذا كله وابن الزبير في الصلاة لم يلتفت، ولا درى بما جرى لابنه حتى سلَّم .

وركع ابن الزبير يوماً فقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وما رفع رأسه.

وقال يحيى بن وثاب: (كان ابن الزبير إذا سجد وقعت العصافير على ظهره، تصعد وتنزل، ولا تراه إلا جذم حائط .

روي عن حاتم الأصم أنه سئل عن صلاته،فقال:إذا حانت الصلاة،أسبغت الوضوء ، وأتيت

الموضع الذي أريد الصلاة فيه،فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي،ثم أقوام ‘لي صلاتي ،وأجعل الكعبة بين حاجبي ،والصراط تحت قدمي ،والجنة عن يميني،والنار عن شمالي ،وملك الموت ورائي ،وأظنها آخر صلاتي ،ثم أقوم يسن يدي الرجاء والخوف ،أكبر تكبيراُ بتحقيق ،وأقرأ بترتيل ،وأركع وكوعاً بتواضع وأسجد سجوداً بتخشع..وأتبعها الإخلاص ،ثم لا أدري أقبلت أم لا؟ .

[*] قال علي بن الفضيل: (رأيت الثوري ساجداً فطفت سبعة أسابيع – أي ٤٩ شوطاً – قبل أن يرفع رأسه)

[*] قال ابن وهب: (رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب صلّى ثم سجد سجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء .

[*] قال أبو بكر بن عياش: (رأيت حبيب بن أبي ثابت ساجداً، فلو رأيته قلت: ميت . يعني من طول السجود .

[*] كان طلق بن حبيب لا يركع في صلاته إذا افتتح سورة (البقرة) حتى يبلغ (العنكبوت). وكان يقول: أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي .

ومنهم: من إذا دخل في الصلاة خشع قلبه، وسكنت جوارحه، حتى يظن من رآه أنه جماد، بل إن الطير قد يظن ذلك المصلي حائطاً، فيقع على ظهره لشدة سكونه، وهذا السكون دليل على الراحة التي يجدها المصلي في صلاته، إذ لو لم يجد فيها راحة لم يسكن هذا السكون، فإن المرء إذا كان على وضع لا راحة له فيه تكثر حركته، والتفاته، وعبثه .

قال ثابت البناني: (كنتُ أَمُرُّ بعبد الله بن الزبير وهو يصلي خلف المقام، كأنه خشبة منصوبة لا يتحرك .

قال الأعمش: (كان إبراهيم إذا سجد كأنه حائط، ينزل على ظهره العصافير.

وكان مسلم بن يسار إذا صلّى كأنه وتد لا يميل لا هكذا ولا هكذا. وقيل: إذا صلى كأنه ثوب ملقى .

[*] قال ميمون بن مهران:

ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتا في صلاة قط ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدتها وإنه لفي المسجد يصلي فما التفت.

وعنه أيضا [أن مسلم بن يسار كان إذا دخل إلى المنزل سكتوا فإذا قام إلى الصلاة تكلموا

وضحكوا.

ومنهم: من إذا دخل في الصلاة انشغل بها عما حوله، حتى لا يشعر بما يحدث عنده وقريباً منه وإن كان عظيماً، ومتى عظمت محبة الشخص لأمر، فإنه ينشغل به حتى عن نفسه، ألم تر كيف قطع النسوة أيديهن لما رأين يوسف فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ [يوسف:٣١] دهشن برؤيته عن أنفسهم فلم يشعرن بتقطيع أيديهن. من المصلين من يجد في صلاته لذة تشغله عما حوله، فمنهم من لا يشعر بوقوع شيء أصلاً، ومنهم من يشعر بذلك لكنه لا يلتفت إليه، ولا يعبأ به، فكأنه لم يشعر، لقوة حضوره في صلاته، وانصرافه لها، وعدم اهتمامه بما سواها وانشغاله عنه.

قال ميمون بن مهران: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاة قط، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدمها، وإنه في المسجد يصلي فما التفت. ولما هنئ بسلامته عجب وقال: ما شعرت.

ومنهم: من يصيبه في صلاته وجع شديد وألم، فلا يلتفت له، ويستمر في صلاته، قد أنسته لذة الصلاة شدة الوجع، حتى كأنه لا يحس به.

ففي إحدى الغزوات قام رجل من الأنصار يصلى ليلاً، فرماه أحد المشركين بسهم فنزعه واستمر في صلاته، فرماه بسهم ثان فنزعه واستمر في صلاته، فرماه بسهم ثالث فنزعه وركع وسجد وأتم صلاته. ثم أنبه صاحبه، فلما رأى ما به من الدم قال: سبحان الله! ألا أنبهتني أول ما رمى؟! قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها.

فانظر كيف صبر على تلك السهام، وتحمَّل ألم الجراح، ولم تطب نفسه أن يقطع قراءته لتلك السورة حتى أتمّها. فكم من لذة يجدها هذا الرجل في صلاته. وكم من راحة وسرور، نسي معه تعب السفر، ومشقة الطريق، وهون عليه ضرب السهام.

[*] الربيع ابن خيثم :

عن بكر بن ماعز قال أعطي الربيع فرساً أو اشترى فرساً بثلاثين ألفاً فغزا عليها قال ثم أرسل غلامه يحتش وقام يصلي وربط فرسه فجاء الغلام فقال يا ربيع أين فرسك قال سرقت يا يسار قال وأنت تنظر إليها قال : (نعم يا يسار أني كنت أناجي ربي عز وجل فلم يشغلني عن مناجات ربي شيء اللهم انه سرقني ولم أكن لأسرقه اللهم إن كان غنياً فاهده وإن كان فقيراً فاغنه) ، ثلاث مرات

[*] عن بن فروخ قال : (كان الربيع بن خيثم إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر فيجول في المقابر يقول : (يا أهل القبور كنتم وكنا ، فإذا أصبح كأنه نشر من أهل القبور .

ومن خشوعهم أنهم كانوا يتأثرون جداً بالجنائز :

قال ثابت البناني : كنا نتبع الجنازة فما نرى إلا متقنعا باكيا أو متقنعا متفكرا.

علو الهمة في الخشوع :

[*]قال الجنيد : الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب.

[*] قال ابن كثير:

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرّغ قلبه لها.. واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها ، وحينئذ تكون راحة له وقرة له.

[*] قال سعيد بن جبير في قوله تعالى :

(الذين هم في صلاتهم خاشعون) يعني : متواضعون. لا يعرف من عن يمينه ولا من عن شماله ولا يلتفت من الخشوع لله تعالى.

- صار لرب العرش حين صلاته   نجيّا فيا طوباه لو كان يخشع

[*] قال بعض السلف :

الصلاة كجارية تهدى إلى ملك من الملوك ، فما الظن بمن يهدى إليه جارية شلاء أو عوراء ...فكيف بصلاة العبد والتي يتقرب بها إلى الله.

[*] كان ذو النون يقول في وصف العبّاد :

لو رأيت أحدهم وقد قام إلى صلاته ، فلما وقف في محرابه ، واستفتح كلام سيده، خطر على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ، فانخلع قلبه وذهل عقله.

[*]تمام الخشوع :

أن يخضع القلب لله ويذل له ، فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجل ،

وذلك لأن القلب أمير البدن. فإذا خشع القلب .. خشع السمع والبصر والوجه وكل الأعضاء.. حتى الكلام.

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه : (خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي).

(حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ كان إذا ركع كان كلامه في ركوعه أن يقول اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وأنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي لله رب العالمين .

(حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ كان إذا ركع قال اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي لله رب العالمين .

[*] قال الحسن رحمه الله:

إياك أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره .. وتسأل الله الجنة وتعوذ به من النار.. وقلبك ساه لا تدري ما تقول بلسانك.

[*] كان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقيل له :كيف تصبر؟. قال : بلغني أن الفسّاق يتصبرون تحت السياط ليقال : فلان صبور. وأنا بين يدي ربي ، أفلا أصبر على ذباب يقع علي؟!!.

[*]➢احذر خشوع النفاق :

[*] قال أبو الدرداء

: استعيذوا بالله من خشوع النفاق. قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال : أن ترى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع.

﴿تنبيه﴾ :➢ الخشوع عزيزٌ في هذه الأمة وقد أخبر النبي أن أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع .

(حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا .

(١٩) البكاء حال الدعاء :

لقد أثنى الله في كتابة الكريم في أكثر من موضع على البكائين من خشيته

قال تعالى: (وَيَخِرّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً) [الإسراء / ١٠٩]

قال تعالى: (إِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرّحْمَـَنِ خَرّواْ سُجّداً وَبُكِيّاً) [مريم / ٥٨]

والسنة طافحةٌ بما يدل على فضل البكاء من خشية الله تعالى منها ما يلي :

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل و شاب نشأ في عبادة الله و رجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، و رجل دعته امرأة ذات منصب و جمال فقال : إني أخاف الله و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه .

[*] قال القرطبي : فيض العين بحسب الذاكر وما ينكشف له فبكاؤه خشيه من الله تعالى حال أوصاف الجلال وشوقاً إليه سبحانه حال أوصاف الجمال .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال :لا يلج النار رجل بكي من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي :

قوله [لا يلج] من الولوج أي لا يدخل [رجل بكى من خشيه الله] فإن الغالب من الخشية امتثال الطاعة واجتناب المعصية [حتى يعود اللبن في الضرع]

هذا من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى: (حَتّىَ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) [الأعراف / ٤٠]

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله .

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي :

[عينان لا تمسهما النار] أي لا تمس صاحبهما فعبر بالجزء عن الجملة وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى [عين بكت من خشيه الله] وهى مرتبه المجاهدين مع النفس التائبين عن المعصية سواء كان عالماً أو غير عالم [وعين باتت تحرس في سبيل الله] وهى مرتبة المجاهدين في العبادة وهى شاملة لأن تكون في الحج أو طلب العلم أو الجهاد أو العبادة والأظهر أن المراد به الحارس للمجاهدين لحفظهم عن الكفار .

(حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم !< رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني >! وقال عيسى عليه السلام !< إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم

فإنك أنت العزيز الحكيم >! فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك .

➢نماذج من بكاء السلف :

[*] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : لأن أدمع دمعه من خشيه الله عز وجل أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار .

[*] كان ابن عمر إذا قرأ: { ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله } بكى حتى يغلبه البكاء .

[*] قال حماد بن زيد : رأيت ثابتا يبكي حتى تختلف أضلاعه .

[*] وقال جعفر بن سليمان : بكى ثابت البناني حتى كادت عينه تذهب ، فجاؤوا برجل يعالجها ، فقال : أعالجها على أن تطيعني . قال : وأي شيء ؟ قال : على أن لا تبكي . ، فقال : فما خيرهما إذا لم يبكيا ، وأبى أن يتعالج .

وقرأ ثابت : { تطلع على الأفئدة } قال تأكله إلى فؤاده وهو حي لقد تبلغ فيهم العذاب ثم بكى وأبكى من حوله.

وقال حماد بن سلمة : قرأ ثابت : { أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا } وهو يصلي صلاة الليل ينتحب ويرددها .

[*] وقال الثورى : جلست ذات يوم أحدث ومعنا سعيد بن السائب الطائفي فجعل سعيد يبكى حتى رحمته فقلت : يا سعيد ما يبكيك وأنت تسمعني أذكر أهل الخير وفعالهم ؟ فقال : يا سفيان وما يمنعني من البكاء إذا ذكرت مناقب أهل الخير وكنت عنهم بمعزل ؟ قال سفيان : حق له أن يبكى .

[*] وقال أبو مُسهر كان الأوزاعى رحمه الله يحيى الليل صلاه وقرآنا وبكاء وأخبرنى بعض إخوانى من أهل بيروت أن أمه كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه فتجده رطباً من دموعه في الليل.

[*] وعن القاسم بن محمد البغدادى قال كنت جار معروف الكرخى فسمعته ليله في السحر ينوح ويبكى وينشد :

أي شيء تريد منى الذنوب *** شغفت بي فليس عنى تغيب

ما يضر الذنوب لو أعتقتني *** رحمه لي فقد علاني المشيب

[*] عن بشير قال بت عند الربيع ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية ((أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)) قال فمكث ليلته حتى أصبح ما يجوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد.

عن نسير بن ذعلوق قال : (كان الربيع بن خيثم يبكي حتى يبل لحيته من دموعه فيقول أدركنا قوماً كنا في جنوبهم لصوصاً .

[*] عن سفيان قال بلغنا عن أم الربيع بن خيثم كانت تنادي ابنها ربيع تقول يا ربيع ألا تنام فيقول يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف السيئات حق له ألا ينام قال فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت يا بني لعلك قتلت . قتيلا قال نعم يا والدة قد قتلت قتيلا ، فقالت ومن هذا القتيل يا بني حتى نتحمل إلى أهله فيغتفرك والله لو يعلمون ما تلقى من السهر والبكاء بعد لقد رحموك فقال يا والدة هو نفسي .

[*] قال الحسن البصري :

بلغنا أن الباكي من خشيه الله لا تقطر من دموعه قطره حتى تعتق رقبته من النار وقال أيضاً : لو أن باكيا بكى في ملأ من خشية الله لرحموا جميعا وليس شيء من الأعمال إلا لـه وزن إلا البكاء من خشية الله فإنه لا يقوم الله بالدمعة منه شيء وقال : ما بكى عبد إلا شهد عليه قلبه بالصدق أو الكذب .

[*] وقال أبو جعفر الباقر :

ما اغرورقت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذله وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله يكفر بها بحور الخطايا ولو أن باكيا بكى من خشية الله في أمه رحم الله تلك الأمة.

وقال كعب الأحبار :

لأن أبكى من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلى من أن أتصدق بوزني ذهبا .

[*] وعن أبى معشر قال : رأيت عون بن عبد الله في مجلس أبى حازم يبكى ويمسح وجهه بدموعه فقيل له لم تمسح وجهك بدموعك ؟ قال : بلغني أنه لا تصيب دموع الإنسان مكانا من جسده إلا حرم الله عز وجل ذلك المكان على النار .

[*] روى أحمد بن سهل قال : قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال : كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقيل لنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن قال وكان معنا رجل مؤذن وكان صيتا فقلنا له : إقرأ فقرأ [ألهاكم التكاثر] ورفع بها صوته فأشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقه ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول

بلغت الثمانين أو جزتها *** فماذا أؤمل أو أنتظر

أتى ثمانون من مولدى *** وبعد الثمانين ما ينتظر

عَّلتنى السنون فأبليننى *** ....

قال ثم خنقته العبره وكان معنا على بن خشرم فأتمه لنا يقول

علتنى السنون فأبليننى *** فرقت عظامى وكل البصر

[*] ابن المنكدر :

* كان محمد بن المنكدر :ذات ليله قائم يصلى إذ استبكى فكثر بكاؤه حتى فزع له أهله فسألوه : ما الذي أبكاك؟ فاستعجم عليهم فتمادى في البكاء فأرسلوا إلى أبى حازم وأخبروه بأمره فجاء أبو حازم إليه فإذا هو يبكى فقال : يا أخي ما الذي أبكاك ؟ قد رعت أهلك فقال له إني مرت بي آيه من كتاب الله عز وجل قال : ما هي ؟ قال : قول الله تعالى [وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون] قال فبكى أبو حازم معه واشتد بكاؤهما فقال بعض أهله لأبى حازم جئناك لتفرج عنه فزدته ، فأخبرهم ما الذي أبكاهما .

[*] الإمام الحجة الحافظ هشام الدستوائي .

وقال شاذ بن فياض : بكى هشام الدستوائي حتى فسدت عينه ، فكانت مفتوحة ، وهو لا يكاد يبصر بها.

[*] قال الحارث بن سعيد كنا عند مالك بن دينار وعنده قارىء يقرأ [إذا زلزلت الأرض زلزالها] فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون حتى انتهى القارىء إلى [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره] فجعل مالك يبكى ويشهق حتى غشي عليه فحمل بين القوم صريعاً .

* أُتِيَ الحسن البصرى بكوز من ماء ليفطر عليه فلما أدناه إلى فيه بكى وقال ذكرت أمنية أهل النار قولهم [أن أفيضوا علينا من الماء] وذكرت ما أجيبوا به [إن الله حرمهما على الكافرين] .

[*] وعن إبراهيم بن الأشعث قال كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكى حتى لكأنه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر فيجلس فكأنه بين الموتى جلس من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها .

[*] وعن عاصم قال : سمعت شقيق بن مسلمه يقول وهو ساجد رب اغفر لي رب اغفر لي إن تعف عنى تعف عنى تطولا من فضلك وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي قال ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد .

ذاك والله هو الإيمان الحق الذي ليس بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقة العمل وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وإن لم يكن هؤلاء أولياء الله فليس لله ولى .

خفاء البكاء :

وبالتأمل في سيرة هؤلاء الصالحين الباكين من خشية الله تعالى نجد أنهم اشتركوا في صفة واحدة على تنوع عباداتهم واجتهاداتهم في طاعة الله تعالى تلك الصفة هي الإخلاص المنافي للرياء فلقد كانوا رضي الله عنهم أبعد الناس عن أن يراهم أحد حال البكاء حرصاً منهم أن لا يدخل العُجْب قلوبهم فتبطل عبادتهم وتراهم شددوا بلسان الحال والمقال على هذه الصفة ابتغاء نيل الأجر كاملاً غير منقوص من رب العالمين لا من مدح المادحين .

[*] قال الحسن البصري :

إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام .

وقال عبد الكريم بن رشيد : كنت في حلقه الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن .

[*] وكان أيوب السختيانى في ثوبه بعض الطول لستر الحال وكان إذا وعظ فرقّ فَرَقَ من الرياء فيمسح وجهه ويقول : ما أشد الزكام .

[*]وقال حماد بن زيد : دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعودة قال فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا : يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمه على الباب قال: من أبو سلمه؟ قالوا

: يحيى قال : من يحيى ؟ قالوا : يحيى البكاء قال حماد : وقد علم أنه يحيى البكاء فقال شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء .

[*] وعن القاسم بن محمد قال :

كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالي فأقول في نفسي بأي شيء فضل هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة إن كان يصلى آنا نصلى وإن كان يصوم آنا نصوم وإن كان يغزو فآنا نغزو وإن كان يحج آنا لنحج قال فكنا في بعض مسيرتا في طريق الشام ليله نتعشى في بيت إن طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت في نفسي بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمه ذكر القيامة .

(٢٠) التضرع إلى الله في الدعاء :

➢تعريف التضرع :

التضرع لغةً : يدو ر حول الطلب بذل وخضوع واستكانة، ومادة ضرع تدل على لينٍ في الشيء، ومن هذا الباب ضرع الشاة، فلو نظرت إلى صغير الحيوان حين يلتقم ثدي أمه ، فيلح ويرتفع وينخفض ويجتهد بكل قوته كي يجذب هذا اللبن الذي به حياته لعرفت مدى الارتباط بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للتضرع .

التضرع شرعا : هو دعاء الله وسؤاله بذل وخشوع وإظهار للفقر والمسكنة، وهذا الحالة يحبها ربنا ويرضاها، بل أمر عباده بها :

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (الأعراف:٥٥)

➢ضرورة التضرع لله :

الإنسان لا يستغني عن ربه طرفة عين ولا أقل من ذلك، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يردد كثيرا: " لا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

ولله درُّ من قال:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وبتُّ أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت يا أملي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها مالي إلى حملها صبر ولا جلد

وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً إليك يا خير من مدت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يروي كل من يرد

➢نريد أن يكون المسلمين أولياء عباداً أتقياء تتزلزل الجبال إذا رفعوا أيديهم بالدعاء نريد قلوباً مخبتة منيبة.. نريد الرجل الذي إذا رفع يديه لا يردها الله تبارك وتعالى إلا وقد حقق له ما يريد، وإن الله تعالى حيي كريم كما جاء في الحديث الآتي :

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

نريد الذي يدعو على جبار فيقصمه الله عز وجل، نريد من يدعو على دولة الكفر؛ فيدمرها رب العالمين، نريد من يدعو على ظالم من الظلمة؛ فينتقم الله منه ويجعله عبرة وآية للعالمين،

ونريد مثل محمد بن واسع وهو من موالي زهران، أي أنه من هذه القبيلة الخيرة الطيبة، والنبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: {مولى القوم منهم }.

إن قتيبة بن مسلم الباهلي رحمه الله، كان يعد الجيوش لحرب أكبر جبهة كانت في تاريخ العالم الإسلامي وفي تاريخ الفتوحات، وهي الجبهة الشرقية حيث الهند والصين والترك، وهي أعتى الشعوب في القتال؛

فكان يريد أن يقاتل وأن يجاهد هؤلاء، فأعد العدة المادية كاملة وبقيت العدة الأخرى، لأنه لا ينسى أحدٌ من قادة المسلمين وصية عمر بن الخطاب لــسعد بن أبي وقاص : [واعلم أن المسلمين إنما ينصرهم الله تبارك وتعالى بطاعتهم لله وبمعصية عدوهم له، فإذا استوينا نحن وهم في المعصية؛ كان لهم الفضل علينا في القوة]

أي: فنحن عدتنا الطاعة، وكفى بها عدة، ففي تلك الليلة أعد كل شيء وبيت للهجوم ثم قال : اذهبوا فالتمسوا هل في المسجد أحد -هكذا نريد مثل هؤلاء تقي خفي لا يدري عنه أحد، ولكنه يأتي بدعوة هي خير من هذه الجيوش كلها، أو رديفة ومساندة لهذه الجيوش كلها-

قالوا: ما وجدنا فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه –أي: يدعو بإصبع واحدة– قال: إصبعه تلك أحب إلي من ثلاثين ألف فارس.

وذلك لأنه إذا قال: يارب، استُجيب له بإذن الله تبارك وتعالى؛ لأنهم يبيتون لربهم سجداً وقياماً، ويفزعون إليه تبارك وتعالى، فهم جنده، والدين دينه والدعوة دعوته، والجند جنده والعباد عبيده، والأعداء أعداؤه.

إذاً: لا بد أن يفزعوا إليه ولا بد أن ينادوه وأن يتضرعوا إليه.

[*]➢ واعلم أن الغاية من أخذ العباد بالبأساء والضراء أن يتضرعوا إلى الله :

إن العباد قد يغفلون في أوقات الرخاء عن هذه العبادة الجليلة لكن لا ينبغي أن يغفلوا عنها في أوقات البلاء والمحنة ولو أنهم غفلوا في الحالين لعرضوا أنفسهم لعقوبة الله :

قال تعالى : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٤٥،٤٤)

إن من أعظم أسباب دفع البلاء تضرع العبد لربه جل وعلا كما بيّن الله في كتابه الكريم: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

(الأنعام:٤٢،٤٣)

➢فالغاية من أخذ العباد بالبأساء والضراء أن يتضرعوا إلى الله .

إن العباد قد يغفلون في أوقات الرخاء عن هذه العبادة الجليلة لكن لا ينبغي أن يغفلوا عنها في أوقات البلاء والمحنة ولو أنهم غفلوا في الحالين لعرضوا أنفسهم لعقوبة الله : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٤٥،٤٤)

ولقد أخبر الله تعالى عن أقوام ابتلاهم وتوعدهم بالعذاب فاستكان بعضهم وتضرع إلى الله فكشف الله عنهم عذاب الدنيا، وأخبر عن آخرين ابتلاهم وتوعدهم لكنهم تكبروا وتجبروا وما استكانوا ولا تضرعوا فأخذهم العذاب .

أما الأولون الذين تضرعوا فمنهم قوم يونس عليه السلام الذين قال الله عنهم: (فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (يونس:٩٨)

[*] وقد ذكر بعض المفسرين :

أن قوم يونس خرجوا إلى الطرقات واصطحبوا نساءهم وأطفالهم ودوابهم ودعوا وجأروا إلى الله، وقيل : إنهم ظلوا على هذه الحالة أياما يدعون ويستغيثون ويتضرعون ويبكون فكشف الله عنهم عذاب الدنيا منةً منه وفضلا .

أما الآخرون الذين لم يظهروا الفقر والضراعة فقد قال عنهم: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ* حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) (المؤمنون: ٧٦،٧٧)

[*]➢الرسول صلى الله عليه وسلم سيد المتضرعين :

لقد كانت حياة رسولنا صلى الله عليه وسلم كلها لله، فكان ﷺ خير من تضرع إلى الله في الشدة والرخاء ، وقد رأيناه صلى الله عليه وسلم في كل أحواله متضرعا خاشعا متذللا لربه تبارك وتعالى .

➢في الاستسقاء :

خرج متبذلا متواضعا متضرعا حتى أتى المصلى فلم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير وصلى ركعتين كما كان يصلي في العيد .

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الترمذي) قال خرج النبي ﷺ للاستسقاء متذللاً متواضعاً متخشِّعاً متضرعا .

➢وعند رمي الجمار :

فإنه صلى الله عليه وسلم كان يرمي الجمار في أيام التشريق إذا زالت الشمس، ويكبر مع كل حصاة، فإذا رمى الأولى وقف يدعوا ويتضرع، وكذا بعد الثانية، أما الثالثة فلم يكن يقف عندها .

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في صحيح البخاري)أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يسهل، فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلا، ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل، ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلا، ويدعو ويرفع يديه، ويقوم طويلا، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف، فيقول: هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعله.

وفي الجهاد:

رأيناه يتضرع ويدعو في بدر ويستنصر ربه حتى أنـزل الله المـدد: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأنفال:٩)

وفي يوم الأحزاب:

دعا ربه وتضرع حتى صرف الله عن المسلمين الشر وكفاهم كيد أعدائهم.

وعند الكرب:

يذكر ربه ويذل له ويدعوه:

(حديث ابن عباس في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إلـه إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم .

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال :كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .

وهكذا كان في كل أحواله صلى الله عليه وسلم وهكذا تعلم منه أصحابه وعلموا مَنْ بعدهم.

نسأل الله أن يجعلنا أفقر خلقه إليه، وأغناهم به عمن سواه .

➢كيفية التضرع :

أرأيتم العجل الصغير من البقر أو من الإبل أو من أي شيء، كيف يرضع! وكيف يفعل إذا لم يرضع! أرأيتم تلك الحالة؟

وكيف يرتفع وينزل ويحاول ويمتص ويحرص وهكذا، فالضراعة مأخوذة من ذلك؛ فالواحد لا يرفع يده اللهم اغفر لي، ويمر منها كبعض الناس، بدون تضرع، بل اجعله دعاء ضراعة وتضرع والتمس الخير من عند الله لعله أن ينزل عليك، وبنفس الحرص والرغبة والشدة القلبية التي يفعلها هذا الصغير من الحيوان وهو يأخذ من الضرع، واطلب ذلك سواءً أكان مطراً أم غيثاً، أم رحمة أم نصراً أم رزقاً أم توفيقاً أم أي شيء .

تضرع إلى الله فبالضراعة يدفع الله تبارك وتعالى العذاب؛ ولهذا يقول سبحانه :وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ

بِالْعَذَابِ فَمَا

اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ [المؤمنون:٧٦] أي: لو أن الناس استكانوا لربهم

فما معنى الاستكانة ؟

الاستكانة : هي الطمأنينة والخضوع الكامل الذي يناسب الهون، الذين يمشون على الأرض هوناً أي: مستكينين- وتضرعوا إلى الله عز وجل؛ لكشف الله تعالى عنهم العذاب كائناً ما كان .

وليس الحال كحالنا اليوم : إذا نزل العذاب جرينا وراء الأسباب، وانتقلنا من سبب إلى سبب إلى سبب، حتى نضيع في أودية لا نهاية لها، والطريق سهل والاتصال بالله تبارك وتعالى ميسور؛ ونتضرع إليه فيكون كل ما نريد بإذن الله تبارك وتعالى من خيره وفضله.

(وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً) [الفرقان: ٦٤]

أي: وهاتان الحالتان في الصلاة؛

سُجَّداً : السجود فأقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد؛

وَقِيَاماً : القيام فأفضل الصلاة طول القنوت والقيام، وهو الذي يجعل الإنسان مثلما رأت تلك البنت أو الجارية ذلك الرجل كأنه خشبة .

فبالسجود وبالقيام وبالدعاء وبتدبر الآيات والتفكر فيها في القيام ترى العجب، وبالبكاء في السجود ترى العجب الآخر، سبحان الله العظيم!

ولهذا جاء عن بعض السلف في تدبر الآيات وفي قراءة آية واحدة من كتاب الله مواقف عجيبة جداً وكيف تفعل الآية في القلوب؛ فكيف بك إذا قرأ المئات من الآيات، حتى كان بعضهم يريد أن يصلي بعض الليل أو ثلثه، ولا يشعر إلا وقد طلع عليه الفجر، فإلى الفجر وهو ما يزال واقف لا يشعر بالوقت؛ لأنه يستغرق بعمق في هذه الآيات وفي معانيها.

وكما قرأ بعضهم قول الله تعالى :وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ [سبأ:٥٤]

فكيف حيل بينهم وبين ما يشتهون.

فيشتهي الإنسان في هذه الدنيا، المال والراحة والزوجة والبيت وهو في هذا التعب كله ويعمل فيه، فتأتي لحظة ثم يحال بينهم وبين ما يشتهون، ولو فكر الواحد كيف يحال بينهم في لحظة واحدة يسلب هذا كله الملك، والمال، والمنصب، والسلطان، والزوجة، والبيت وكل شيء فإذا

حيل بينك وبين ما تشتهي وبدأت تفكر: ماذا قدمت وماذا أمامك؟

فهذه هي العبرة، لو فكر الإنسان وتأمل، كيف أنه يحال بينه وبين ما يشتهي وبين ما تعب . فسنوات من عمرك وأنت تزين هذه العمارة، ومالك كله قضيته وأنت تتفنن في هذه الحديقة، وفي اختيار هذا المنزل، ثم يقال لك: ارجع إلى ما أترفت فيه، لماذا تركض؟

ولماذا تذهب؟

فحيل بينهم وبين ما يشتهون، أي: بنـــزول الموت وبنزول العذاب ينتهي كل شيء؛ ثم يحاسب عليها ويتمنى

أنه سلم منها –على الأقل– حتى يخفف عليه الحساب؛ لكنه يحاسب عليها، ويتمتع بها غيره؛ وهذا من ضيق الدنيا وخستها وحقارتها إذا قورنت بالآخرة.

مسألة: ما هي أسباب التضرع إلى الله ؟

الجواب :

ذكرنا أن الإنسان في كل وقت محتاج إلى أن يدعو الله، وأن يتضرع إليه، ولعلنا لو رجعنا إلى المعنى اللغوي للتضرع لأفادنا في معرفة المعنى الشرعي، فالتضرع: كلمة اشتقت من الضَرع، والضَرع معروف لذوات الخف من الحيوان، كالإبل والبقر التي يكون فيها ضَرع.

والتضرع أن يأتي صغير هذه الحيوان فيرتضع ويلتقم هذا الثدي، فتراه عند ارتضاعه يلح ويرتفع ويحاول بكل قوته أن يجذب هذا اللبن الذي لا يمكن أن يعيش إلا به، نعمة من الله وفضلاً، ففي هذه الصورة البيانية مثل هذا الضرع، من جهة أن أصل خروج المولود هو من هذه الأم، كما أن أصل نموه –بإذن الله تعالى– ناشئ عن هذه الأم، ثم هو لهذا لا يمكن أن يستغني عنها، فلو قطع عنه اللبن لما أمكن أن يعيش أبداً بهذا الشكل.

وكذلك أيضاً أصل الإنسان وجوده، هو من رحمة الله وفضله، ثم هو لذلك يحتاج أن يرفع يديه وأن يتضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ويلح في الدعاء، ويجتهد بحرص على ما يقيم حياته ويدفع عنه الشر والسوء، كما يجتهد ويلح ويحرص ذلك الحيوان عندما يرتضع من الثدي أو الضرع، ففي كل وقت وفي كل لحظة، نحن لا نستغني عن الله، ولهذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بقوله} :ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين .

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

فانظر إلى هؤلاء الكفار الذين وكلهم الله إلى أنفسهم –قديماً وحديثاً– واستدرجهم بالنعم فظنوا أنهم أقوى ما يكونون، فعندها يخذلهم الله عز وجل، فيفقدون قواهم ويكونون أحوج ما يكونون إليه، فيسقطون وإذا بهم لا شيء، وتذهب كل قوة إلا من عصمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحفظه بقوته، فأسباب التضرع كامنة في كل حركة من حركاتك، فأنت في كل يوم تحتاج إلى أن يرفع الله عنك البلاء، وأن يرزقك وأن يعطيك الصحة والعافية، وأن يوفقك لطاعته، فعليك أن تتمسك بدينه وألا تستغني عنه لحظة، ولذا فأسباب التضرع والدعاء قائمة .

➢من لوازم التضرع الابتعاد عن المعاصي :

مسألة : هل ينفعنا التضرع الآن ولا تزال المنكرات بيننا لم تتغير؟

الجواب :

هذا من ذاك، نريد أن نغير المنكر لا أن ندعوا الله ونُصِر على المنكر، لكن التضرع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستلزم الإقلاع عما نحن فيه من المنكر، ولا شك أن من يدعو الله صادقاً بقلب خالص، ويبتعد ويتجنب معاصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يقرب منها أن الله يستجيب له؛ لأن التضرع إلى الله لا يقصد به مجرد الدعاء فقط، بل يقصد به –أيضاً– الإقلاع عن الذنوب وترك المعاصي .

يجب أن نصلي الصلوات الخمس جماعة حيث ينادى بهن، وأن نتلافى التقصير، ونقبل على قراءة كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن ننكر المنكرات، بل يجب أن نحيي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيننا، في مجتمعاتنا وفي أسواقنا وفي مجالسنا وفي كل مكان .

وإنه لجدير بكل مؤمن أن يراجع نفسه مع كتاب الله، وأن ينظر فيما ابتلى الله تبارك وتعالى به الأمم من قبل، والشعوب من حولنا، وأن نعلم جميعاً أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا مفزع من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلا إليه، فلنكن صادقين في قولنا :﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥]

ولنكن صادقين في توكلنا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولنكن صادقين في اعتصامنا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولنكن صادقين في دعوى أننا نسير على عقيدة السلف ، وعلى منهج السلف الصالح

، وأننا متمسكون بعقيدة الحق وشريعة الحق، ولنصدق الله؛ يصدقنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولنتب إلى الله ولنجعل ما جاء أو استشرف أو استجد من الفتن سبباً لأن نكف عما حرم الله، وأن نتوب عما أجرمنا، وعما أسلفنا دولاً وأفراداً وجماعات، فهذا واجبنا جميعاً أن نعلم أن هذه المصائب والفتن والمحن، نذير من الله تعالى، فإن تبنا واستغفرنا وأصلحنا، دفعه الله تبارك وتعالى عنا بما يشاء.

➢وإذا لم نقلع عن الذنوب والمعاصي فيجب أن نتوقع الابتلاء والعذاب والمصيبة، ما دمنا في هذه الذنوب والمعاصي، التي لا أرى حاجة لأن أعددها وأذكرها فهي ملء السمع والبصر ولا تخفى على أحد منا، فذنوبنا هي السبب، فما وقع بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، كما أن أسباب النجاة بين أيدينا، وأن رحمة الله تبارك وتعالى بالمؤمنين ولله الحمد غير غائبة عنا، ولكن علينا أن نأخذ بهذه الأسباب ونتضرع إلى الله بصدق ، وإلا تعرضنا لعقوبة الأمن من مكر الله تعالى ما دمنا مقيمين على المعاصي، وتأمل قوله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ* أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[الأعراف:٩٧-٩٨]

أي: ما المانع وما الموجب وما المقتضي للغفلة والإعراض وقسوة القلب وعدم اللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والتضرع إليه ، أهو الأمن؟! فكيف يأمنون والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادر! والله تبارك وتعالى قوي! والله تعالى عزيز ذو انتقام! كيف يأمنون أن يأتيهم بأس الله بياتاً وهم نائمون !

وكم من أمةٍ جاءها ذلك البأس فأخذهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مصبحين، كما أخذ الله قوم لوط ﴿ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[هود:٨١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾[الحجر:٨٣] أو (مُشْرِقِينَ) هكذا أخذ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كثيراً من الأمم، أخذهم بياتاً أو مع الإشراق ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأعراف:٩٨].

وقد أخذ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضاً أمماً أخرى وأهلكها، وعذبها وهي ترى العذاب، ومن ذلك ما ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن قوم عاد ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾[الأحقاف:٢٤]

نعوذ بالله من القسوة ومن الغفلة- حتى لما رأوا العذاب قالوا: هذا عارض ممطرنا، فما ظنوه إلا استمراراً لهم في الخير واستمراراً للعطاء والنعمة، وما ظنوه إلا سيستمر، وهم لا يحسبونه استدراجاً ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[الأحقاف:٢٥] فكانوا بعد ذلك ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾[القمر:٢٠]

وهكذا كل أمة يجب عليها ألا تأمن من مكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾[الأعراف:١٠٠] لا يصح ولا يجوز لأي أحد أن ينسى، أو يغفل، أو يكف عن التضرع إلى الله والتوبة إليه، والأخذ بالأسباب الواقية من عذابه، والمؤدية إلى النجاة من انتقام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهكذا يجب على الناس أمماً وأفراداً.

أما من كان حاله غير ذلك، فإنما مثله مثل الذي قال : ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾[مريم:٧٧] فرد الله عليه : ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾

[مريم:٧٨] .

هل أعطانا الله تبارك وتعالى عهداً وميثاقاً أن يعذب الأمم ويبتليها ولا يبتلينا؟ لا والله، ومن أين لنا ذلك؟! فقد رأينا عِبَرَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورأينا أيام الله التي فعلها بالأمم التي قبلنا، ورأينا ما حدث في أوروبا في الحرب العالمية الثانية، وسمع الناس بذلك.

أقول: الأمة في مجموعها علمت بذلك، ثم رأى الناس ما حل بأهل لبنان مع ما كانوا فيه من الرخاء والنعمة، لكن لما طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد صب الله عليهم سوط عذاب، وجعل الفتنة فيما بينهم، وكان الهرج- القتل- حتى أن القاتل لا يدري فيما قَتل ولا المقتول فيما قُتل، ولا يخفى ذلك على أحد.

➢من التضرع القنوت في الصلاة :

مسألة : هل يكون التضرع أيضاً في القنوت في الصلوات كما قنت النبي ﷺ ؟

الجواب :

نعم، القنوت من التضرع، ولا بأس به -إن شاء الله- فإذا لم يُفعل جماعةً فنستطيع أن نفعله فُرَادَى، والدعاء فُرَادَى وفي جوف الليل والإنسان خال بربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أرجى أنواع الدعاء، وكل منا يدرك ذلك -ولله الحمد- فافعلوه، وهل يضيرنا في شيء؟!

بل هو والله خير لنا في الدنيا والآخرة، فهذا الدعاء خير لنا في معادنا وفي مآلنا بل نحتاجه، ونؤجر عليه، ونثاب عليه، كما في حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأن نُعطى ما دعونا أو نعطى من الخير مثله أو يُصرف عنا من الشر مثله، فالدعاء كله خير، وكله بركة، فإذا دعونا الله فلنستحي بطبيعة الحال أن نعصيه، بل يجب أن يجدنا حيث أمرنا، وأن لا يجدنا حيث نهانا، والله المستعان .

➤النجاة من عقوبة الله تكون بالدعاء والتضرع :

وإن مما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وجعله سبباً –بل هو من أعظم الأسباب– لاتقاء عذابه وسخطه، دعائه والتضرع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتوبة والاستغفار والإنابة، فنحن في هذه الأيام أحوج ما نكون إليها، وإن كنا محتاجين إليها في كل وقت وفي كل حين؛ لكن مع هذه الفتن ومع هذه الأحداث فنحن أحوج ما نكون إلى أن لا ننسى ذلك .

ولا سيما أن الذين أخاطبهم جلهم من طلبة العلم –ولله الحمد– وفيهم الدعاة والأئمة والخطباء، وبهم تتأثر الأمة –إن شاء الله– وينتشر الخير فيها، فيجب أن ننشر هذا الحق وهذا الخير، وأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا، وأن نجتهد في دفع هذا البلاء عن الأمة ببيان أسباب الوقاية منه –بإذن الله تبارك وتعالى– وهذا من أعظمها كما بين الله عز وجل ذلك، بل إن الله تبارك وتعالى جعل التضرع غاية كما ذكرنا في الآية السابقة وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤] وفي الآية الأخرى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[الأنعام:٤٢]

فالأخذ بالبأساء وهي: الحروب والضراء، وهي تعم الفتن والجدب والقحط وكل ما من شأنه أن يضار الناس، الغاية منها لعلهم يضرعون –أي: كي يضرعوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فإن الناس إن لم يعرفوا الله تبارك وتعالى في الرخاء فلا بد أن يتعرفوا إليه في الشدة، وإن من أعظم وأكثر الناس قسوة وأعظمهم غفلة الذين لا يتضرعون إلى الله لا في الرخاء ولا في الشدة، ولهذا قال عز وجل في الأنعام : ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأنعام:٤٣-٤٥]

فانظروا إلى إمهال الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى للأمم السابقة ففي أول الأمر أخذهم بالبأساء والضـــراء لعلهم يتضرعون فلما لم يتضرعوا وقست قلوبهم حلت ووقعت عليهم العقوبة، فلما نسوا مـــا ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، استدراجاً من الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لهم.

ومن هنا قال لنبيه وللمؤمنين :﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴾[آل عمـــران:١٩٦] لأن هذا فتح من الله؛ يفتح الله عليهم أبواب كل شيء ثم في النهاية ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَـــدِيدٌ ﴾[هود:١٠٢]

فيأخذهم بغتة؛ لأنه قد أنذرهم وقد خلت من قبلهم المثُلات وقد جاءتهم النذر، ولكنهم أعرضوا ونسوا ما ذكروا به، فعند ذلك يقطع دابرهم بأليم عقابه، نسأل الله العفو والعافية.

➤حال من تضرع ومن أبى التضرع :

﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾[الأنعام:٤٣] فلو أنهم تضرعوا إلى الله لكشف عنهم السوء، ولهذا استثنى الله تبارك وتعالى من الأمم قوم يونس يقول الله تعالى :﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾[يونس:٩٨]

فذكر المفسرون من السلف رحمهم الله في هذه الآية أن قوم يونس خرجوا إلـــى الصـــعدات، وجأروا إلى الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى، وخرجوا بأطفالهم ونسائهم ودوابهم، وقيل: إنهم ظلوا علـــى هذه الحالة أربعين ليلة وهم يستغيثون ويتضرعون ويدعون ويبكون ويستغفرون فكشـــف الله تبارك وتعالى عنهم العذاب في هذه الحياة الدنيا، وهذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ومن سعة رحمته.

أما الذين يصرون ويعاندون ويستكبرون على الله ولا يتضرعون إليه ولا ينيبون؛ فإنه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا ما بينه في سورة الأنعام وكما بينه أيضاً في آيات الأعراف الســـابقة، ويقول الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى فيها ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَـــاتٍ مِـــنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾[الأعراف:٩٦]

فهناك ذكر أنهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الأنعام:٤٤] وقـــال هنا : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَـــيْهِمْ بَرَكَـــاتٍ مِـــنَ السَّـــمَاءِ وَالْـــأَرْضِ ﴾[الأعراف:٩٦] وليس أبواب كل شيء؛ ولكن بركات، والبركة في أي أمر حلت فهي خير، أمـــا

الذي لا بركة فيه فلا خير فيه. وإن كان كثيراً ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف:٩٦]

(٢١) التواضع والتبذل في اللباس والهيئة :

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الترمذي) قال خرج النبي ﷺ للاستسقاء متبذلاً متواضعاً متخشِّعاً متضرعا .

[*]➢التواضع :

قال تعالى: (وَعِبَادُ الرّحْمَـَنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىَ الأرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً) [الفرقان / ٦٣]

[*] قال ابن كثير رحمه الله :

القول في تأويل قوله تعالى } : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا . { يقول تعالى ذكره } : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا { بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين ، ولا متجبرين ، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله .

[*] قال القرطبي رحمه الله :

قال ابن عباس : بالطاعة والمعروف والتواضع .

وقال الحسن : حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا . وقيل : لا يتكبرون على الناس . قلت : وهذه كلها معان متقاربة ، ويجمعها العلم بالله والخوف منه ، والمعرفة بأحكامه والخشية من عذابه وعقابه ؛ جعلنا الله منهم بفضله ومنه .

(حديث عِياضِ بن حمار في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد و لا يبغي أحد على أحد .

➢تعريف التواضع :

التواضع هو : عقد القلب على صَغار النفس المؤثر في عواطفه وميوله وجوارحه في مقابل اللَّه سبحانه وتعالى ، وفي مقابل رسله وأوليائه المعصومين، وفي مقابل المؤمنين.

➢فضل التواضع :

التواضع خلق حميد، وجوهر لطيف يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير وهو من أخصّ خصال المؤمنين المتّقين، ومن كريم سجايا العاملين الصادقين، ومن شِيَم الصالحين المخبتين. التواضع هدوء وسكينة ووقار واتزان، التواضع ابتسامة ثغر وبشاشة وجه ولطافة

خلق وحسن معاملة، بتمامه وصفائه يتميّز الخبيث من الطيب، والأبيض من الأسود والصادق من الكاذب ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله .

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله .

إن المتواضع يبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، كريم الطبع، جميل العشرة ، طلق الوجه، باسم الثغر رقيق القلب، متواضعا من غير ذلة، جواداً من غير سرف .

نعم.. فاقد التواضع عديم الإحساس، بعيد المشاعر، إلى الشقاوة أقرب وعن السعادة أبعد، لا يستحضر أن موطئ قدمه قد وطأه قبله آلاف الأقدام، وأن من بعده في الانتظار، فاقد التواضع لا عقل له، لأنه بعجبه وأنفته يرفع الخسيس، ويخفض النفيس، كالبحر الخضم تسهل فيه الجواهر والدرر، ويطفو فوقه الخشاش والحشاش. فاقد التواضع قائده الكبر وأستاذه العجب، فهو قبيح النفس ثقيل الطباع يرى لنفسه الفضل على غيره.

إن التواضع لله تعالى خُلُق يتولّد من قلب عالم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله. إن التواضع هو انكسار القلب للرب جل وعلا وخفض الجناح والذل والرحمة للعباد، فلا يرى المتواضع له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل للناس عليه، والحقوق لهم قبله. فما أجمل التواضع، به يزول الكِبَرُ، وينشرح الصدر، ويعم الإيثار، وتزول القسوة والأنانية والتشفّي وحب الذات.

➢أنواع التواضع :

التواضع نوعان هما :

(١) محمود، وهو ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم.

(٢) مذموم، وهو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه.

فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها .

➢أمورٌ من التواضع :

(١) اتّهام النفس والاجتهاد في علاج عيوبها وكشف كروبها وزلاتها {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا.وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا}

(٢) مداومة استحضار الآخرة واحتقار الدنيا، والحرص على الفوز بالجنة والنجاة من النار، وإنك لن تدخل الجنة بعملك، وإنما برحمة ربك لك.

(٣) التواضع للمسلمين والوفاء بحقوقهم ولين الجانب لهم، واحتمال الأذى منهم والصبر عليهم قال تعالى: (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) [الحجر / ٨٨]

(٤) معرفة الإنسان قدره بين أهله من إخوانه وأصحابه ووزنه إذا قُورن بهم

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : ما نقصت صدقة من مال و مــا زاد الله عبدا بعفو إلا عزا و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله .

(٥) غلبة الخوف في قلب المؤمن على الرجاء، واليقين بما سيكون يوم القيامة قال تعالى : {وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ} [الزمر /٤٧]

(٦) التواضع للدين والاستسلام للشرع، فلا يُعارض بمعقول ولا رأي ولا هوى .

(٧) الانقياد التام لما جاء به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، وأن يُعبد الله وفق ما أمر، وأن لا يكون الباعث على ذلك داعي العادة .

(٨) ترك الشهوات المباحة، والملذّات الكمالية احتساباً لله وتواضعاً له مع القدرة عليها، والتمكن منها

(حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتــى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها .

معنى قوله (حلل الإيمان) يعني ما يعطى أهل الإيمان من حلل الجنة

(٩) التواضع في جنب الوالدين ببرّهما وإكرامهما وطاعتهما في غير معصية، والحنو عليهما والبِشْرُ في وجههما والتلطّف في الخطاب معهما وتوقيرهما والإكثار من الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما

قال تعالى : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}. [الإسراء/ ٢٤]

(١٠) التواضع للمرضى بعيادتهم والوقوف بجانبهم وكشف كربتهم، وتذكيرهم بالاحتساب والرضا والصبر على القضاء

(١١) تفقّد ذوي الفقر والمسكنة، وتصفّح وجوه الفقراء والمحاويج وذوي التعفف والحياء في

الطلب، ومواساتهم بالمال والتواضع لهم في الحَسَب، يقول بشر بن الحارث: "ما رأيت أحسن من غني جالسٍ بين يدي فقير."

➢تواضع النبي صلى الله عليه وسلم

(حديث الأسود بن يزيد الثابت في صحيح البخاري) قال :سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ صنع في البيت؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، تعني خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة.

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم ، قال أصحابه وأنت ؟ فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة .

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : لو دُعِيتُ إلى ذراعٍ أو كُرَاعٍ لأجبت و لو أُهْدِيَ إليَّ ذراعٍ أو كُرَاعٍ لقبلت .

(حديث أنس في صحيح البخاري) قال : كانت ناقةٌ لرسول الله ﷺ تسمى العضباء وكانت لا تُسبق ، فجاء أعرابي على قَعُودٍ له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين فقالوا : سُبقت العضباء ! قال رسول الله ﷺ : إن حقا على الله تعالى أن لا يرفع شيئا من أمر الدنيا إلا وضعه .

﴿تنبيه﴾ :➢ وكلما زاد تواضع طالب العلم زاد مقدار الحكمة عنده وتعلم العلم ومتى تكبر قلَّت حكمته ومنع العلم

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته و إذا تكبر قيل للملك : دع حكمته .

(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ كان يخيط ثوبه و يخصف نعله و يعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم .

(حديث عائشة رضي الله عنهاالثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ كان يفلي ثوبه و يحلب شاته و يخدم نفسه .

(حديث عمر في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : لا تطروني لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله و رسوله .

(حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ كان يأتي ضعفاء المسلمين و يزورهم و يعود مرضاهم و يشهد جنائزهم .

(حديث أبي الدرداء رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود و الترمذي) أن النبي ﷺ قال : ابغوني الضعفاء فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم .

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ كان يجلس على الأرض و يأكل على الأرض و يعتقل الشاة و يجيب دعوة المملوك على خبز الشعير .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ كان يزور الأنصار ويسلّم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم".

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال :

كانت الأمة من إماء أهل المدينة، لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت.

(حديث أبي مسعود رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد .

(القديد) : هو اللحم المملح المجفف في الشمس

➢ويقابله التكبُّر :

والتكبر هو : التعالي على اللَّه سبحانه، وهذا كفر باللَّه، أو على رسوله أو الإمام، وهذا كفر بالرسول أو الإمام، أو على المؤمنين، وهذا هو التكبُّر المألوف بين المسلمين الذين لم يهذِّبوا أنفسهم، وهي معصية عظيمة.

وفرق التكبُّر عن الكِبر هو : أنّ الكِبْر مجرد تعاليه على غيره في نفسه. أمّا التكبُّر فهو : إظهار الكِبْر وإبرازه بجوارحه. وفرق الكبر عن العُجْب : أن الكِبْر يكون بالقياس إلى غيره، وهو اللَّه أو الرسول والإمام أو المؤمنون. والعُجْب ما يكون في الإنسان من رؤيته إلى نفسه بالعظمة والزهو والتبختر بذلك ولو من دون قياس بغيره، وهذا - أيضاً - من المعاصي العظيمة.

وقد ذم الله تعالى الكبر في كتابه في أكثر من موضع ، قال تعالى :

قال تعالى: (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) [الإسراء / ٣٧]

[*] قال ابن كثير رحمه الله :

يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبختر في المشية

(وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً) أي متبخترا متمايلا مشي الجبارين

(إِنّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ) : أي لن تقطع الأرض بمشيك

(وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك بل قد يجازى فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : بينما رجل يمشي في حُلَةٍ تُعْجِبْه نَفْسُه مُرَّجِلٍ رأسَه إذ خسف الله به فهو يتجلجلُ في الأرض إلى يوم القيامة .

وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض

وفي الحديث " من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله في نفسه كبير وعند الناس حقير حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والخنزير .

[*] قال القرطبي رحمه الله :

(وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً) هذا نهي عن الخيلاء وأمر بالتواضع . والمرح : شدة الفرح . وقيل : التكبر في المشي . وقيل : تجاوز الإنسان قدره . وقال قتادة : هو الخيلاء في المشي .وقيل : هو البطر والأشر .

(إِنّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ) : يعني لن تتولج باطنها فتعلم ما فيها ويقال : خرق الثوب أي شقه ، وخرق الأرض قطعها . والخرق : الواسع من الأرض . أي لن تخرق الأرض بكبرك ومشيك عليها

(وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) أي لن تساوي الجبال بطولك ولا تطاولك . " ولن تبلغ الجبال طولا " بعظمتك ، أي بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ ، بل أنت عبد ذليل ، محاط بك من تحتك ومن فوقك , والمحاط محصور ضعيف ، فلا يليق بك التكبر.

[*] قال الطبري رحمه الله :

(وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً) : ولا تمش في الأرض مختالا مستكبرا

(إِنّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ) : إنك لن تقطع الأرض باختيالك

(وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) بفخرك وكبرك

قال تعالى: (وَلاَ تُصَعِّرْ خَدّكَ لِلنّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) [لقمان / ١٨]

إن من نبذ خلق التواضع وتعالى وتكبَّر، إنما هو في حقيقة الأمر معتدٍ على مقام الألوهية، طالباً لنفسه العظمة والكبرياء، متناسياً جاهلاً حق الله تعالى عليه، من عصاة بني البشر، متجرِّئٌ على مولاه وخالقه ورازقه، منازع إياه صفة من صفات كماله وجلاله وجماله، إذ الكبرياء والعظمة له وحده.

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : العزُ إزاري والكبرياءُ ردائي فمن نازعني عذبته .

والعُجب من جملة أسباب الكبر، فإنَّ من أُعجب بنفسه تعالى على غيره. والسنة طافحةُ بذم العجب وتشنيع فعله والتنفير منه .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : بينما رجل يمشي في حلةٍ تُعْجِبْه نفْسُه مُرَّجِلٌ رأسَه يختالُ في مِشْيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجَلْجَلُ في الأرض إلى يوم القيامة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث منجيات : خشية الله تعالى في السر و العلانية و العدل في الرضا و الغضب و القصد في الفقر و الغنى و ثلاث مهلكات : هوى متبع و شح مطاع و إعجاب المرء بنفسه .

(حديث معاوية في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار .

[*]➢التبذّل فى اللباس والهيئة :

التبذل في اللباس والهيئة بالشعث والإغبار وهو أيضا من المقتضيات لإجابة الدعاء للحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال :كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك .

أشعث أغبر : علامة على الابتذال والتذلل فهو أشعث في لباسه أغبر في هيئته في شكله في شعره .

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الترمذي) قال خرج النبي ﷺ للاستسقاء متبذلاً متواضعاً متخشِّعاً متضرعا .

[*] وكان مطرف بن عبدالله قد حبس له ابن أخ فلبس خلقان ثيابه وأخذ عكازا بيده فقيل له ما هذا قال أستكين لربي لعله أن يشفعني في ابن أخي الثالث .

﴿تنبيه﴾ :➢ قد يوجد من لا يؤبه به لفقره وضعفه وذلته ؛ لكنه عزيز على الله تعالى لا يرد له سؤالاً ، ولا يخيب له دعوة فالعبرة بالصلاح لا بالقوة .

(٢٢) الرغبة والرهبة :

وقال تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ}[الأنبياء / ٩٠]

[*] قال ابن كثير رحمه الله : قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا "

[*] قال القرطبي رحمه الله:

أي يفزعون إلينا فيدعوننا في حال الرخاء وحال الشدة . وقيل : المعنى يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف ، لأن الرغبة والرهبة متلازمان .

[*] قال الطبري رحمه الله :

رغبا أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ورهبا يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته .

➢فالرغبة في الدعاء هي الاتجاه إلى الله خشوعا من الإنسان، ورفعا للأمر إليه دائما، وهذا ما يضمن الصلة الدائمة بين العبد وربه ..

فإذا أتى حسنة، دعا الله أن يتقبلها ..

وإذا أتى عملا صالحا، دعا الله أن يبارك فيه ..

وإذا أصابته شدة، دعا الله أن يخففها عنه..

وإذا جاءه خير شكر الله، ودعاه ألا يكون فتنة..

وإذا مشى خطوة، دعا الله أن يوفقه فيها ..

وإذا اتخذ قرار، دعا الله ألا يكون ظالما فيه ..

وهكذا هو يعيش مع الله في كل لحظة، رغبة في إرضائه، واتباع منهجه .

ثم يأتي المعنى الثاني وهو الرهبة .. أي الخوف من الله تعالى والإيمان بقدرته وقوته .. والدعاء هنا يجعل الداعي يذكر الحي القيوم القائم على ملكه، لا يتركه، ويجعل الداعي يعلم أن الله سبحانه لا تأخذه سنة ولا نوم .. ومن هنا فإنه يعرف يقينا أنه لا يستطيع أن يخدع الله، لأن المواجهة هنا ليست بين متساويين .. ولهذا فالذي يحاول أن يخدع الله فإنما يخدع نفسه .. لأن الله يملك كل القدرات بلا حدود ولا قيود .

وهذه الرهبة تجعل العبد لا يخالف منهج الله .. فهو يخشى الله حينما توسوس به نفسه من شر، فيستعيذ به .. هذه هي الرهبة هي قمة أخرى من قمم الإيمان .. تجعل الإنسان يرقب نفسه في السر والعلانية، ويعلم أن ما يخفيه في السر يعلمه الله .. ويؤمن بأنه لا يستطيع أن يخدع الله ..

ولذلك فإن الذين يخشون الناس ولا يخشون الله إنما يعتقدون أنهم بخداعهم البشر هم أذكى منهم، وأنهم حصلوا على فوز كبير .. بينما هم في الحقيقة قد عموا عن أن الله سبحانه وتعالى يعلم سرهم وجهرهم.

(٢٣) الدعاء في كل الأحوال في الشدة والرخاء، وفي المنشط والمكره:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد و الكرب فليكثر الدعاء في الرخاء .

﴿تنبيه﴾ : إن من أهم أسباب رد الدعاء على صاحبه سوء حال الداعي فالكثير منا لا يدعو الله ولا يلجأ ولا يستغيث ولا يستنصر إلا في الشدة والضراء وعند الرخاء والسرور ننسى الله ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .

والمعنى: من أحب أن يستجيب الله له عند الشدائد، وهي الحادثة الشاقة، والكُرَب: وهي الغم الذي يأخذ النفس، فليكثر الدعاء في حالة الصحة والفراغ والعافية، لأن من شيمة المؤمن أن يلجأ إلى الله تعالى ويكون دائم الصلة به، ويلتجئ إليه قبل الاضطرار[٥٨]. قال الله تعالى في

---

(٥٨) انظر: تحفة الأحوذي ٩/٣٢٤.

يونس عليه الصلاة والسلام حينما دعاه فأنجاه واستجاب له: {فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}[٥٩].

وقد حرص السلف رضوان الله عليهم على الدعاء في سائر شؤونهم فقد كانوا يسألون الله في كل شيء حتى العلف لدوابهم والملح في الطعام "

وكثير من الناس لايدعو الله إلا في الشدائد والأزمات، وهذا مسلك خطأ والمشروع للمؤمن أن يدعو الله في السراء والضراء وإذا كان دائم الاتصال بالله أجيبت دعوته في الشدائد .

➢هذا يونس بن متّى نبي الله يسقط في لجج البحار فيبتلعه الحوت فهو في ظلمة جوف الحوت في ظلمة جوف البحر في ظلمة الليل، في ظلمات ثلاث، فلا أحد يعلم مكانه، ولا أحد يسمع نداءه، ولكن يسمع نداءه من لا يخفى عليه الكلام، ويعلم مكانه من لا يغيب عنه مكان، فدعا وقال وهو على هذه الحال: (وَذَا النّونِ إِذ ذّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنّ أَن لّن نّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىَ فِي الظّلُمَاتِ أَن لاّ إِلَـَهَ إِلاّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ) [الأنبياء / ٨٧]

فسمعت الملائكة دعائه، فقالت: صوت معروف في أرض غريبة، هذا يونس لم يزل يرفع له عمل صالح ودعوة مستجابة.

﴿تنبيه﴾ : ➢ هذا الدعاء من أعظم أنواع الدعاء، لاشتماله على الآتي :

أولاً: على توحيد الله (لا إله إلا أنت)

وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وأعظم وقربة.

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه عما لا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظيم شأنه.

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينبغي له أن يكون كذلك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧]

➢فيجئ الجواب الإلهي له:

(فَلَوْلاَ أَنّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

[الصافات ١٤٣ ، ١٤٤]

➢أتاه الجواب بالنجاة (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجّيْنَاهُ مِنَ الْغَمّ وَكَذَلِكَ نُنجِـي الْمُؤْمِنِينَ)

[٥٩] سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣، ١٤٤.

[الأنبياء / ٨٨]

[*] قال الحسن البصري:

"ما كان ليونس صلاة في بطن الحوت، ولكن قدم عملاً صالحًا في حال الرخاء فذكره الله في حال البلاء، وإن العمل الصالح ليرفع صاحبه فإذا عثر وجد متكأً".

﴿تنبيه﴾: ⋖ هنا نذكر قول النبي ﷺ وفعلُ المعروف يقي مصارع السوء .

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :(صدقةُ السر تُطفِئُ غضب الرب ، وصلةُ الرحم تزيدُ في العمر ، وفعلُ المعروف يقي مصارع السوء)

هناك فرق بين من عرف الله في الرخاء ومن ضيعه، فرق بين من أطاع الله في الرخاء ومن عصاه.

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته.

أذكرك أخي خبر الثلاثة من بني إسرائيل الذين قص النبي عليه السلام قصتهم، وأخبر خبرهم، يوم أن آواهم المبيت إلى غار فتدهدهت عليهم صخرة عظيمة أغلقت فم الغار، فإذا الغار صندوق مغلق محكم الإغلاق، مقفل موثق الإقفال.

إن نادوا فلن يسمع نداؤهم، وإن استنجدوا فلا أحد ينجدهم، وإن دفعوا فسواعدهم أضعف وأعجز من أن تدفع صخرة عظيمة سدت باب هذا الغار، وكانت كربة، وكانت شدة، فلم يجدوا وسيلة يتوسلون بها في هذه الشدة إلا أن يتذكروا معاملتهم في الرخاء، فدعوا الله في الشدة بصالح أعمالهم في الرخاء. وإليك الحديث : ☜

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، قال: فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه.

فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى، ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي أبواي فيشربان، ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة، فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما، والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما، حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة نرى منها السماء، قال: ففرج عنهم.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته، وأبى ذلك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته، حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء فقال: يا عبد الله أعطيني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أتستهزئ بي؟ قال: فقلت: ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم).

﴿تنبيه﴾ :⮜ انظر إلى حال هؤلاء الثلاثة :

دعا أحدهم ببره والديه، يوم أتى فوجدهما نائمين، وطعامهما قدح من لبن في يده، وصبيته يتضاغون من الجوع، وكان بين خيارين إما أن يوقظ الوالدين من النوم، وإما أن يطعم الصبية!! فلم يختر أيًا من هذين الخيارين، ولكن اختار خيارًا ثالثًا وهو أن يقف والقدح على يده والصبية يتضاغون عند قدميه، ينتظر استيقاظ الوالدين الكبيرين، والوالدان يغطان في نوم عميق حتى انبلج الصبح وأسفر الفجر فاستيقظا، وبدأ بهما وأعرض عن حنان الأبوة وقدم عليه حنان البنوة على الأبوة فشرب أبواه وانتظر بنوه.

((اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه)).

ثم دعا الآخر، فتوسل إلى الله بخشيته لله ومراقبته يوم أن قدر على المعصية، وتمكن من الفاحشة ووصل إلى أحب الناس إليه، ابنة عمه، بعد أن اشتاق إليها طويلاً وراودها كثيرًا وحاول فأعيته المحاولة، حتى إذا أمكنته الفرصة واستطاع أن يصل إلى شهوته وينال لذته خاطبت فيه تلك المرأة مراقبة الله فقالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فارتعد القلب واقشعر الجلد، ووجفت النفس وتذكر مراقبة الله تعالى فوقه، فقام عنها، وهي أحب الناس إليه وترك المال الذي أعطاها.

((اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه)).

ودعا الثالث فتوسل بعمل صالح قربه، وهو الصدق والأمانة حيث استأجر أجراء فأعطاهم أجرهم، وبقي واحد لم يأخذ أجره فنمّاه وضارب فيه، فإذا عبيد وماشية وثمر.

ثم جاء الأجير بعد زمن طويل يقول: أعطني حقي.

لقد كان يستطيع أن يقول: هذا حقك أصوعٌ من طعام، ولكنه كان أمينًا غاية الأمانة، نزيهًا غاية النزاهة، فقال: حقك ما تراه، كل هذا الرقيق، وكل هذه الماشية، كلها لك، فكانت مفاجأة لم يستوعبها عقل هذا الأجير الفقير، فقال: "اتق الله ولا تستهزء بي" فقال: يا عبد الله إني لا أستهزء بك، إن هذا كله لك، فاستاقه جميعًا، ولم يترك له شيئاً.

((اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه)).

وتنامت دعواتهم ، وتنامت مناجاتهم، فإذا الشدة تفرج والضيق يتسع، وإذا النور يشع من جديد فيخرجون من الغار يمشون٦٠.

فيامن يريد جواب دعاءه أصلح حالك في الرخاء مع ربك يكن معك في حال شدتك .

(٢٤) اختيار الاسم المناسب من أسماء الله الحسنى، أو الصفة المناسبة حال الدعاء:

كأن يقول: يا رحيم ارحمني، يا كريم أكرمني، يا شافي اشفني، رب هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب وهكذا.

ومن السنة الصحيحة ما يدل على ذلك ، منها ما يلي :

(حديث أبي بكرٍ الصديق في الصحيحين) أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي قال : قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرةً من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

(حديث عائشةَ في الصحيحين) قالت كان رسولُ الله ﷺ إذا أتى مريضاً أو أُتِيَ به إليه قال : أذْهِب البأس ربِ الناس اشفِ أنت الشافي لاشفاء إلا شفاءك شفاءاً لايُغادرُ سقماً .

(٢٥) ألا يحجر رحمة الله في الدعاء :

والمقصود بالتحجير تخصيص أناس معينين ، واقتصار الدعاء لهم دون غيرهم كأن يقول: اللهم اسق مزرعتي وحدها، أو اللهم أصلح أولادي دون غيرهم، أو ربِّ ارزقني وارحمني دون سواي ، فرحمت الله تعالى قريب من المحسنين ، فلا يقول : اللهم اغفر لي ولا تغفر لأحد معي .

---

٦٠ رواها البخاري ح (٢٢٧٢)، ومسلم ح (٢٧٤٣)

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) قال :قام رسول الله"في صلاة، وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلَّم النبي"قال للأعرابي: لقد حجَّرتَ واسعًا _ يريد رحمة الله .

أو يقول : اللهم لا تغفر لفلان من الناس ، فرحمت الله وسعت كل شيء ، ورحمته سبحانه سبقت غضبه ، بل ربما أدى ذلك إلى خطورة عمل من قال به ، فقد يوصله ذلك إلى أن يتآلى على الله تعالى وهذا أمرٌ خطير وشرٌ مستطير قد يكون سبب في إحباط اللهع تعالى عمل المتألي على الله تعالى إذا كان أقسم على الله تعالى عن عُجب والعياذ بالله تعالى من ذلك .

(حديث جندب بن عبد الله في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ! فقال الله تعالى من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان ! إني قد غفرت له وأحبطتُ عملك .

(٢٦) أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة:

أن يسأل الله كل صغيرة وكبيرة:

وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الناس، فتراهم لا يلجأون إلى الله ولا يسألونه إلا إذا نزلت بهم عظائمُ الأمور، وشدائدها.

أما ما عدا ذلك فلا يسألونه؛ لظنهم أنه أمر يسير لا داعي لسؤال الله من أجله.

وهذا خطأ؛ فاللائق بالمسلم أن يسأل ربه كل صغيرة؛ فلو لم ييسر الله أكل الطعام _ مثلاً _ لما استطاع الإنسان أكله، ولو لم ييسر لبس النعل لما استطاع الإنسان لبسه .

قال": سلوا الله كل شيء، حتى الشسع[٦١]، فإن الله _ تعالى _ لو لم ييسره لم ييسر .[٦٢]

فقوله: حتى الشسع إشارة أن ما فوقه أولى وأولى.

(٢٧) يدعو لوالديه مع نفسه:

أوصى الله تعالى ببر الوالدين في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ، بل وقرن حقهما بحقه مما يدل على فضل بر الوالدين وَعِظَمِ حقهما

(٦١) الشسع: أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الأصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل. انظر لسان العرب، ٨/١٨٠.

٦٢ أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٦) باب ما يقول إذا انقطع شسعه، والترمذي ٤/٢٩٢ الدعوات، وضعفه الشيخ الألباني في الضعيفة (١٣٦٢)، ولكن الحديث صحيح من قول عائشة موقوفًا عليها _ رضي الله عنها _، انظر مسند أبي يعلى (٤٥٦٠) ٨/٤٥، وعمل اليوم والليلة (٣٥٧)، قال الهيثمي في الحديث: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبيد الله وهو ثقة. المجمع ١٠/١٥٠.

فقال تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى)(النساء: من الآية٣٦)

وقال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)

(الإسراء: من الآية٢٣)

➢وندب الله تعالى إلى الدعاء للوالدين حينما يدعو الإنسان لنفسه في غير ما موضع في كتابه العزيز منها ما يلي :

وقال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم /٤١]

وقال تعالى إخباراً عن نوح عليه الصلاة والسلام: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا} [نوح /٢٨]

إن بر الوالدين يعنى الإحسان إليهما بالمال والجاه والنفع البدني وهو واجب ، ولا شك إن من أعظم أمور البر للوالدين الدعاء لهما وخاصةً بعد موتهما ولذا ندب النبي إلى الدعاء لهما بعد موتهما وبين أن الدعاء للوالدين بعد موتهما من الأمور التي يصل ثوابها لميت بعد موته كما في الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٌ صالحٌ يدعو له .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إن الرجل لتُرْفَع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا ؟ فيقال: باستغفار ولدك لك .

مسألة : هل الدعاء للوالدين بعد موتهما أفضل أم الصدقة ؟

دلت السنة الصحيحة بما لا يدع مجالاً للشك أن أنفع شيء للوالدين بعد موتهما هو الدعاء لهما ، فالدعاء لهما بعد موتهما أنفع من سائر أعمال البر من الصدقة وغيرها .

[*] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء بمقام التحديث عن العمل فكان هذا دليلا على أن الدعاء للوالدين بعد موتهما أفضل من الصدقة عنهما ، وأفضل من العمرة لهما وأفضل من قراءة القرآن لهما وأفضل من الصلاة لهما لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يعدل

عن الأفضل إلى المفضول ، بل لابد أن يبين عليه الصلاة والسلام ما هو الأفضل ، ويبين جواز المفضول ، وقد بين في هذا الحديث ما هو الأفضل .

أما بيان جواز المفضول ، ففي الحديث الآتي :

(لحديث عائشة الثابت في الصحيحين) أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال * يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر إن تصدقت عنها قال نعم .

﴿تنبيه﴾ : يتضح لنا من هذا الحديث فائدتان عظيمتان هما :

[١] أن الدعاء للوالدين من أعظم أمور البر بهما

[٢] أن الدعاء للوالدين بعد موتهما أفضل من التصدق عنهما وأفضل من الحج والعمرة عنهما ما داما قد أديا الفريضة من حجٍ أو عمرة ، ومن هنا يتضح لنا القاعدة الذهبية التي ذكرها الحافظ بن حجر في الفتح وهي :﴿ اتباع السنة أولة من كثرة العمل ﴾

(٢٨) أن يدعو لإخوانه المؤمنين :

فهذا من مقتضيات الأخوة، ومن أسباب إجابة الدعوة؛ قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [محمد / ١٩]

وذكر عن نوح ـ عليه السلام ـ قوله قال تعالى: (رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) [نوح / ٢٨]

(حديث عبادة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمنٍ حسنة .

ويحسن أن يُخص بالدعاء ـ الوالدان، والعلماء، والصالحون، والعبَّاد، ومن في صلاحهم صلاح لأمر المسلمين كأولياء الأمور وغيرهم...

ويحسن به ـ أيضًا ـ أن يدعو للمستضعفين والمظلومين من المسلمين، وأن يدعو على الظالمين الذين في هلاكهم نصر للإسلام والمسلمين، وراحة للمستضعفين والمظلومين.

(٢٩) أن يبدأ الداعي بنفسه:

قال تعالى (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ) [الحشر / ١٠]

(حديث أبيٍّ بن كعب رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ "كان إذا ذكر أحدًا فدعا له بدأ بنفسه.

وهذا ليس بلازم لمن أراد أن يدعو لغيره كما هو وارد في كثير من الأدعية، حيث يدعو

الإنسان لغيره دون نفسه.

وقد يقال: إذا أراد الدعاء لنفسه ولغيره فليبدأ بنفسه ثم يُثَنِّي بغيره، وإذا أراد الدعاء لغيره فَحَسْب فلا يلزم أن يبدأ بنفسه، كما مر في دعاء النبي"لعبيد بن عامر ؛ حيث دعا لعبيد دون أن يدعو لنفسه.

(٣٠) يترصد للدعاء الأوقات الشريفة :

كيوم عرفة من السنة ن ورمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، وقد ثبت في السنة الصحيحة بان فضل هذه الأوقات الشريفة وإليك بعض ما ورد في هذا :

➢فضل يوم عرفة :

(حديث عائشة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة .

(حديث أبي قتادة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال في يوم عرفة : أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والمستقبلة .

➢فضل رمضان :

(حديث أبي هريرة في صحيحي الترمذي وابن ماجة) أن النبي ﷺ قال إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين و مردة الجن و غلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب و فتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب و ينادي مناد كل ليلة : يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر و لله عتقاء من النار و ذلك كل ليلة .

➢فضل يوم الجمعة :

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها

➢فضل ساعة السحر :

قال الله تعالى: (وَبِٱلْأَسْحَـٰرِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات /١٨]

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : ينزل ربنا تبارك و تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له .

(حديث عَن أبي أُمَامَةَ الباهلي رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قَالَ: « قِيلَ لرَسُولَ الله ﷺ أَيّ الدّعَاءِ أسْمَعُ؟ قال: جَوْف اللّيْلِ الاخِرُ، وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ » .

➢فضل الدعاء بين الآذان والإقامة :

(حديث أنس في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : لا يُردُ الدعاء بين الآذان والإقامة .

➢فضل الدعاء في السجود :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء .

(٣١) التأمين على الدعاء من المستمع:

كما في قصة دعاء موسى وهارون _ عليهما السلام _ على فرعون وآله.

قال المفسرون: كان موسى يدعو، وهارون يؤمن.[٦٣]

ولهذا قال _ تعالى _:[قد أجيبت دعوتكما]يونس،٨٩.

(٣٢) تجنب الدعاء على الأهل، والمال، والنفس :

لأن الدعاء يقصد منه جلب النفع ودفع الضر، والدعاء على الأهل، والمال، والنفس _ لا مصلحة وراءه، بل هو ضرر محض على الداعي نفسه؛ فماذا سيجني من فساد أهله، وماله، ونفسه ؟

(حديث جابر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم .

(٣٣) ألا يتكلف السجع:

ذلك أن حال الداعي حال ذلة وضراعة، والتكلف لا يناسب ذلك.

قال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار، لا بلسان الفصاحة والانطلاق .[٦٤]

[*] قال الخطابي : ويكره في الدعاء السجع، وتكلف صفة الكلام له .[٦٥]

(٦٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٤١١.
(٦٤) إحياء علوم الدين، ١/٣٠٦.
(٦٥) شأن الدعاء ص١٧.

➢فصل الخطاب في مسألة السجع :

السجع المذموم في الدعاء ، هو المتكلف ، لأنه يذهب بالخشوع والخضوع والإخلاص ، ويلهي عن الضراعة والافتقار وفراغ القلب ،

(حديث عِكْرِمَةَ رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ ، يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الاجْتِنَاب " .

فلا ينبغي للداعي أن يتكلف السجع ، وصنعة الكلام ، ويحاول أن يأتي بكلمات لا يفهمها أغلب الناس ، بل يرفق بالناس ويأتي بدعاء مفهوم معلوم ، لا تعقيد فيه ولا غموض ، ولا يحتاج إلى فك لرموزه ،

وأما ما يحصل من ذلك بلا تكلف وإنما كان ناشئاً عن حفظ أو فصاحة وإعمال فكر ونحو ذلك فلا بأس به بل ربما كان حسناً ، فلقد ثبت مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في الحديث الآتي :

(حديث عَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ : " اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسَابِ ، هَازِمَ الْأَحْزَابَ ، اهزمهم وانصرنا عليهم " ، فهذا السجع كان يصدر من غير قصد ، ولأجل هذا جاء في غاية الانسجام .

والسجع هو الكلام المقفى بدون وزن ، والمنهي عنه من السجع هو التكلف فيه؛ لأنه ينافي الخشوع والخضوع ـ كما مر ـ.

(٣٤) الإعراب بلا تكلف:

فالإعراب عماد الكلام، وجماله، ووشيه؛ فيحسن بالعبد وهو يناجي ربَّه أن يُعْرِب عما يقول قدر المستطاع، خصوصًا إذا كان إمامًا يدعو والناس يُؤَمِّنون خلفه، على ألا يَصِلَ ذلك إلى حد التكلف، وألا يجعل همته مصروفة إلى تقويم لسانه؛ لأن ذلك يذهب الخشوع الذي هو لب الدعاء.

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ينبغي للداعي إذا لم تكن عادته الإعراب ألا يتكلف الإعراب،

قال بعض السلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع.

وهذا كما يكره تكلف السجع في الدعاء، فإذا وقع بغير تكلف فلا بأس؛ فإن أصل الدعاء من القلب، واللسان تابع القلب، ومن جعل همته في الدعاء تقويم لسانه أضعف توجه قلبه .[٦٦]

(٣٥) أن تلقي باللوم على نفسك :

وهي من أهمها، فقد يكون سبب عدم الإجابة وقوعك أنت في بعض المعاصي، أو التقصير وإخلالك بالدعاء أو تعديك فيه، فمن أعظم الأمور أن تتهم نفسك وتنسب التقصير وعدم الإجابة لنفسك، فهذا من أعظم الذل والافتقار لله .

[*] قال ابن رجب رحمه الله يقول:

إن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة يقول لها إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خيرا لأُجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه، فلذلك يسرع إليه حين إذ إجابة الدعاء، وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر. انتهى كلامه.

(٣٦) الالتزام بالأدعية المأثورة :

وذلك لأن النبي ﷺ الأعلم بربه جل وعلا والأتقى لله والأخشى لله ، ولآنه ﷺ بعث بجوامع الكلم :

(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ، يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :

بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي .

---

(٦٦) مجموع الفتاوى، ٢٢/٤٨٩.

كيفية الدعاء بأسماء الله الحسنى

مسألة : كيف ندعو الله بأسماء الله الحسنى ؟

قال تعالى : وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْالَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْيَعْمَلُونَ " [الأعراف/ ١٨٠]

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة .

[*] قال محمد بن صالح العثيمين –رحمه الله -

ندعو الله بأسماء الله الحسنى بأن تقدمها بين يدي دعائك متوسلًا بها إلى الله، أو أن تختم بها دعاءك، مثال الأول: أن تقول: اللهم يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، وما أشبه ذلك. ومثال الثاني أن تقول: رب اغفر لي و ارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

(حديث أبي بكرٍ الصديق في الصحيحين) أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي قال : قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرةً من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

(حديث عائشةَ في الصحيحين) قالت كان رسولُ الله ﷺ إذا أتى مريضاً أو أُتِيَ به إليه قال : أذْهِب البأس ربِ الناس اشفِ أنت الشافي لاشفاء إلا شفاءك شفاءاً لايُغادرُ سقماً .

وكما يجوز التوسل إلى الله–تعالى–بأسمائه عند الدعاء؛ فإنه يجوز أن يتوسل الإنسان بصفات الله عند الدعاء، كما في الأحاديث الآتية :

(حديث عمار ابن ياسر في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء اللهم بعلمك الغيب و قدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي و توفني إذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم و أسألك خشيتك في الغيب و الشهادة و أسألك كلمة الحق في الرضا و الغضب و أسألك القصد في الفقر و الغنى و أسألك نعيما لا ينفد و قرة عين لا تنقطع و أسألك الرضا

بالقضاء و أسألك برد العيش بعد الموت و أسألك لذة النظر إلى وجهك و الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة و لا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان و اجعلنا هداة مهتدين

(حديثُ جابر في صحيح البخاري) قال كان رسولُ الله يُعلمُنا الاستخارة في الأمورِ كلها كالسورةِ من القرآن ، إذا همَّ أحدكم بالأمرِ فليركع ركعتين من غيرِ الفريضةِ ثم يقول : اللهم إني أستخِيرُك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدرُ ولا أقدرُ وتعلمُ ولا أعلمُ وأنت علاَّمُ الغيوب ، اللهم إن كنت تعلمُ أن هذا الأمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري _ أو قال عاجل أمري وآجله _ فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمرَ شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فاصرفْه عني واصرفني عنه ثم ارضِني به ، ويُسَمِّي حاجته .

فالتوسل إلى الله تعالى في الدعاء بأسمائه أو بصفاته سواء كان ذلك على سبيل العموم أو على سبيل الخصوص هو من الأمور المطلوبة، ومن التوسل بأسماء الله على سبيل العموم ما جاء في الحديث الآتي :☜

(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة)أن النبي ﷺ قال : ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكلِ اسمٌ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدٌ من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونورَ بصري وجلاء حزني وذهاب همِّي إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكانه فرجاً .

☜فإنه ما دعا به داعٍ مهموم أو مغموم إلا فرج الله به عنه، ففيه التوسل بأسماء الله عامة اسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، لكنه لم يعددها.

﴿تنبيه﴾ :➢ يجب على الإنسان حينما يدعو الله بأسماء الله الحسنى أن يختار الإسم الذي يُلائم حاله، فالمريض يدعو الله به ، فإذا كان مريضا قال : اشف أنت الشافي ، وإذا سأل مغفرة الذنوب قال يا غفور اغفر لي ، وهكذا ، وهاك من السنة الصحيحة ما يدل على ذلك : ☜

(حديث أبي بكرٍ الصديق في الصحيحين) أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاءاً أدعو به في صلاتي قال : قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرةً من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .

(حديث عائشةَ في الصحيحين) قالت كان رسولُ الله ﷺ إذا أتى مريضاً أو أُتِيَ به إليه قـال : أذْهِب البأس ربِ الناس اشفِ أنت الشافي لاشفاء إلا شفاءك شفاءاً لايُغادرُ سقماً .

مسألة : ما معنى من أحصاها دخل الجنة ؟

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبـي ﷺ قـال :إن لله تسـعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة .

➢معنى من أحصاها دخل الجنة :

[*] قال ابن القيم في كتاب بدائع الفوائد :

ومراتب الإحصاء ثلاث :

المرتبه الأولى : إحصاء ألفاظها وعددها

)هو الله _ الرحمن – الرحيم – الملك – القدوس(............... _

إلى أخر الأسماء الثابتة في كتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم

المرتبة ألثانيه من مراتب الإحصاء :

فهم معانيها : وهذا أيضا يندرج تحت معنى من أحصاها إذا الإحصاء لا يتوقف عند الحفظ فحسب، هذه مرتبه من المراتب ، ثم يجب علينا الفهم لهذه الأسماء فما معنى الملك – القدوس ما معنى الرحمن ، هذا يندرج تحت من حفظها وفهم معانيها

المرتبة الثالثة: هي دعاء الله بها بالأسماء والصفات امتثالا لأمره جل وعلا لقوله تعالى (وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا)

فيكون معنى أحصاها أي ➢(حفظها وفهم معانيها ودعا الله بها عز وجل)

مسألة : هل أسماء الله الحسنى محصورة في تسعةً وتسعين اسما ؟

القول الصحيح الذي دلت عليه السنة الصحيحة وتجتمع فيـه الأدلـة أن أسـماء الله غيـر محصورة في تسعة وتسعين اسما.

[*] قال الإمام النووي رحمه الله تعليقاً على قول النبي " إن لله تسعة وتسعين اسماً مائـة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر "متفق عليه.

قال رحمه الله : " واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه والله ، فليس معناه : أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين ، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة ، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ، ولهذا جاء في الحديث الآخر : " أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك " .

[*] قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

أسماء الله غير محصورة بعدد معين ؛ لقوله ﷺ في الدعاء المأثور (أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)

(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة)أن النبي ﷺ قال : ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكلِ اسمٌ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدٌ من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونورَ بصري وجلاء حزني وذهاب همِّي إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكانه فرجاً .

وما استأثر الله بعلمه فلا سبيل إلى حصره والإحاطة به . والجمع بين هذا وبين قوله ﷺ الثابت في الصحيحين عن أبي هريرة : (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة). أن معني هذا الحديث : إن من أسماء الله تسعة وتسعين اختصت بان من أحصاها دخل الجنة ، فلا ينافي أن يكون له أسماء أخرى غيرها ، ونظير ذلك أن تقول : عندي خمسون درعا أعددتها للجهاد ، فلا ينافي أن يكون عندك دروع أخرى. ومعني إحصاء أسماء الله أن يعرف لفظها ومعناها ، ويتعبد لله مقتضاها.

وهذا الحديث ثابت في السلسلة الصحيحة :

(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة)أن النبي ﷺ قال : ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكلِ اسمٌ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدٌ من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونورَ بصري وجلاء حزني وذهاب همِّي إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكانه فرجاً .

مسألة : ما هو منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته ؟

منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته :

طريقتهم إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

التحريف :التحريف لغة : التغيير ، واصطلاحا : تغيير لفظ النص أو معناه .مثال تغيير اللفظ تغيير قوله تعالى : (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيما)(النساء: من الآية١٦٤) . من رفع الجلالة إلى نصبها فيكون التكليم من موسى لا من الله .ومثال تغيير المعني : تغيير معني استواء الله على عرشه من العلو والاستقرار إلى الاستيلاء والملك ؛ لينتفي عنه معني الاستواء الحقيقي .

التعطيل لغةً : الترك والتخلية

و التعطيل اصطلاحا : إنكار ما يجب لله من الأسماء والصفات ، أما كليا كتعطيل الجهمية ، وأما جزئيا كتعطيل الأشعرية الذين لم يثبتوا من صفات الله إلا سبع صفات، مجموعة في قوله : حي عليم قدير والكلام له

إرادة وكذاك السمع والبصر

➢التكييف والتمثيل والفرق بينهما :

التكييف إثبات كيفية الصفة كان يقول : استواء الله على عرشه كيفيته كذا وكذا ، والتمثيل إثبات مماثل للشيء كان يقول : يد الله مثل يد الإنسان .

والفرق بينهما أن التمثيل ذكر الصفة مقيدة بمماثل ، والتكييف ذكرها غير مقيدة به .

حكم هذه الأربعة المتقدمة :

كلها حرام ومنها ما هو كفر أو شرك،ومن ثم كان أهل السنة والجماعة متبرئين من جميعها .

الواجب في نصوص الأسماء والصفات :

الواجب إجراؤها على ظاهرها وإثبات حقيقتها لله على الوجه اللائق به ؛ وذلك لوجهين :

(١) إن صرفها عن ظاهرها مخالف لطريقة النبي ﷺ وأصحابه .

(٢) أن صرفها إلى المجاز قول على الله بلا علم وهو حرام .

أسماء الله وصفاته توقيفية، وهي من المحكم من وجه ومن المتشابه من وجه .

أسماء الله وصفاته توقيفية ، والتوقيفي ما توقف إثباته أو نفيه على الكتاب والسنة ، بحيث لا يجوز إثباته ولا نفيه إلا بدليل منهما،فليس للعقل في ذلك مجال لأنه شيء وراء ذلك.

وأسماء الله وصفاته من المحكم في معناها ؛ فان معناها معلوم ، ومن المتشابه في حقيقتها ؛ لان حقائقها لا يعلمها إلا الله . والمحكم ما كان واضحا وعكسه المتشابه .

كيف يتم الإيمان بأسماء الله ؟

إذا كان الاسم متعديا فتمام الإيمان به إثبات الاسم وإثبات الصفة التي تضمنها ، وإثبات الأثر الذي يترتب عليه ، مثل : (الرحيم) فتثبت الاسم وهو الرحيم ، والصفة وهي الرحمة ، والأثر وهو انه سبحانه يرحم بهذه الرحمة .

وان كان الاسم لازما فتمام الإيمان به إثباته وإثبات الصفة التي تضمنها ، مثل : (الحي) تثبت الاسم وهو الحي والصفة وهي الحياة . وعلى هذا فكل اسم متضمن لصفة ولا عكس .

ما هو اسم الله الأعظم ؟

الراجح من أقوال العلماء أن اسم الله الأعظم مؤلَّف من عدة أسماء، بناء على الأحاديث الواردة فيه كما في الأحاديث الآتية :

(حديث بُريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحدُ الصمد الذي لم يلد ولم يُولد ولم يكن له كفواً أحد فقال : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى .

[*] وقال الحافظ ابن حجر :

وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك .

(حديث أنس في صحيح السنن الأربعة) قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول :اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها الثابت في صحيحي أبي داوود و الترمذي) أن النبي ﷺ قال :اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الــرحيم) وفاتحة آل عمران: (آلم الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

(حديث أبي أمامة رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود و الترمــذي) أن النبــي ﷺ قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن البقرة وآل عمران وطه). قال القاسم فالتمستها فإذا هي آية الحي القيوم .

[*]أوقات فاضلة يستجاب فيها الدعاء :

أولاً أوقات فاضلة يستجاب فيها الدعاء جملة :

(١) ليلة القدر:

(٢) العشر الأوائل من ذي الحجة :

(٣) الدعاء في جوف الليل ووقت السحر:

(٤) دبر الصلوات المكتوبة :

(٥) بين الأذان والإقامة:

(٦) عند النداء للصلوات المكتوبة:

(٧) عند زحف الصفوف والتحامها في المعركة:

(٨) عند نزول الغيث :

(٩) ساعة من الليل :

(١٠)الساعة التي في يوم الجمعة :

(١١) عند شرب ماء زمزم:

(١٢) في السجود:

(١٣) الدعاء يوم عرفة:

(١٤) في شهر رمضان :

➢ثانياً أوقات فاضلة يستجاب فيها الدعاء تفصيلاً :

(١) ليلة القدر:

(حديث عائشة الثابت في صحيح الترمذي) قالت : (قُلْتُ يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةَ القَدْرِ مَاذا أقُولُ فِيهَا؟ قال: قُولِي اللّهُمّ إِنّكَ عَفُوّ تُحِبُ العَفْوَ فاعْفُ عَنّي)

(٢) العشر الأوائل من ذي الحجة :

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال :(ما من أيامٍ العملُ الصالح فيها أحبُ إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهادُ في سبيل الله إلا أحدُ خرج يجاهد بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء)

ومن أعظم الأعمال الصالحة التوجه إلى الله تعالى بالدعاء ، فالعشر من ذي الحجة أيام فاضلة ، وهي أفضل أيام العام على الإطلاق .

﴿تنبيه﴾ :➢ واختلف أهل العلم في أيهما أفضل : العشر الأول من ذي الحجة ، أم العشر الأواخر من رمضان ؟

فالعشر الأول من ذي الحجة فيها عدة مزايا : فيها يوم عرفة ، يكفر الله به ذنوب سنتين ، سنة ماضية ، وسنة قادمة ، وفيها الحج ، وبه يكفر الله جميع خطايا الإنسان ، وفيها يوم النحر ، وفيه أيام منى ، وفيها المبيت بالمزدلفة ، وفيها الحلق والتقصير ، وفيها ذبح الأضاحي والهدي تقرباً إلى الله تعالى .

أما أيام العشر الأواخر من رمضان ، ففيها ليلة القدر ، وأن الله تعالى يعتق فيها رقاب عباده من النار .

فأقول اختلف العلماء في هذه المسألة إلى قولين :

القول الأول : أن الأيام العشر الأول من ذي الحجة أفضل لما تقدم .

القول الثاني : أن الأيام العشر الأواخر من رمضان أفضل لما تقدم .

ولعل أفضل الأقوال ، ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حيث قال : " أيام العشر من ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان ، وليالي العشر من رمضان أفضل من ليالي العشر من ذي الحجة " . والعلم عند الله تعالى ، وإن كنت أرى رجحان القول الأول ، وهو أن العشر من ذي الحجة أفضل من العشر من رمضان لما ذكر من مزايا .

(٣) الدعاء في جوف الليل ووقت السحر:

قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: (وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [الذاريات / ١٨]

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : ينزل ربنا تبارك و تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له .

(٤) دبر الصلوات المكتوبة :

(حديث عَن أبي أُمَامَةَ الباهلي رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قَالَ: « قِيلَ لرَسُولَ الله ﷺ أَيّ الدّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قالَ: جَوْف اللّيْلِ الاَخِرُ، وَدُبُرَ الصّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ » .

وأوصى _ عليه الصلاة والسلام _ معاذاً أن يقول في دبر كل صلاة: اللهم أعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

(حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود و النسائي) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال يا معاذ والله إني لأحبك والله إني لأحبك فقال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

هذا وقد اختلف في قوله دبر كل صلاة هل هو قبل السلام أو بعده؟.

[*] قال ابن القيم : دُبُرُ الصلاة يحتمل قبل السلام وبعده، وكان شيخنا _ يعني ابن تيمية _ يرجح أن يكون قبل السلام، فراجعته فيه فقال: دبر كل شيء منه، كدبر الحيوان .(٦٧)

[*] قال الشيخ محمد ابن عثيمين : الدبر هو آخر كل شيء منه، أو هو ما بعد آخره .(٦٨)

ورجح أن الدعاء دبر الصلوات المكتوبة أنه قبل السلام .

وقال: ما ورد من الدعاء مقيدًا بدبر فهو قبل السلام .

وما ورد من الذكر مقيدًا بدبر فهو بعد الصلاة؛ لقوله _ تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِكُمْ) [النساء / ١٠٣]

(٥) بين الأذان والإقامة:

(حديث أنس الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال : لا يردُ الدعاء بين الأذان والإقامة .

(٦) عند النداء للصلوات المكتوبة:

(٦٧) زاد المعاد ١/٣٠٥.

(٦٨) من إملاءات شيخنا محمد ابن عثيمين في درس زاد المعاد.

(حديث سهل بن سعد الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا .

(٧) عند زحف الصفوف والتحامها في المعركة:

(حديث سهل بن سعد الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :ثنتان لا تردان : الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا .

(٨) عند نزول الغيث :

(حديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء و تحت المطر .

(٩) ساعة من الليل :

(حديث جابر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة .

(١٠)الساعة التي في يوم الجمعة :

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها .

﴿تنبيه﴾ : وقد اختلف العلماء في تحديد وقتها، فقيل: إنها وقت دخول الخطيب، وقيل: إنها بعد العصر، ورجح هذا القول ابن القيم .[٦٩]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : "وعندي أن ساعة الصلاة ساعة تُرجى فيها الإجابة أيضاً، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر فهي ساعة معينة من اليوم، لا تتقدم ولا تتأخر. وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيراً في الإجابة. فساعة اجتماعهم ساعة تُرجى فيها الإجابة وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها..."[٧٠].

(١١) عند شرب ماء زمزم:

(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح ابن ماجة):أن النبي ﷺ قال : ماء زمزم لما شُرب له.

---

(٦٩) انظر زاد المعاد لابن القيم، ١/٣٧٨_٣٩٦.

(٧٠) زاد المعاد بتحقيق الأرناؤوط ٢/٣٩٤.

(١٢) في السجود:

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء .

(١٣) الدعاء يوم عرفة في عرفة للحاج :

(حديث عبد الله ابن عمرو الثابت في صحيح الترمذي) أن النبيّ ﷺ قال : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(١٤) في شهر رمضان :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة و غلقت أبواب جهنم و سلسلت الشياطين)

(١٥) عند الدعاء بـ"دعوة ذي النون":

فهذا سيدنا يونس عليه السلام ألقي في اليم فالتقمه الحوت وأسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه ، فالتجأ إلى الله { أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فأنجاه الله ، حتى إذا خرج إلى شاطئ السلامة، تلقفته يد الرحمة الإلهية والعناية الربانية فأظلته تحت شجرة اليقطين .

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [الأنبياء:٨٧-٨٨].

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :" ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أو بَلاَءٌ مِنْ أمْرِ الدُّنْيا دَعَا بِهِ فَفُرِّجَ عنه؟ دُعَاءُ ذِي النُّوْنِ: لاَ إِلَهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" .

- وذو النون: هو نبي الله يونس عليه السلام .
- والنون: الحوت.

(١٦) بعد زوال الشمس قبل الظهر:

(حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبـــي ﷺ كـــان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: "إنـها ساعة تفتح فيها أبـــواب الســـماء، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح .

[*]➢أحوال وأوضاع يستجاب فيها الدعاء

➢أولاً : أحوال وأوضاع يستجاب فيها الدعاء جملةً :

(١) دعاء المسلم عقب الوضوء:

(٢) عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها :

(٣) عند رفع الرأس من الركوع وقول سمع الله لمن حمده :

(٤)عند التأمين في الصلاة:

(٥) بعد الصلاة على النبي"في التشهد الأخير :

(٦) عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر ٠

(٧) عند صياح الديكة:

(٨) في حالة إقبال القلب واشتداد الإخلاص :

(٩) عند الدعاء بـــ:،لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

(١٠) عند الدعاء حال المصيبة بـــ:،إنا لله وإنا إليه راجعون اللهـــم أجرنـــي فـــي مصـــيبتي وأخلف لي خيرًا منها :

(١١) في حال دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب :

(١٢) دعاء الناس بعد وفاة الميت :

(١٣) دعوة المضطر :

(١٤) دعوة المظلوم :

(١٥) دعوة الوالد على ولده:

(١٦) دعوة المسافر:

(١٧) دعاء الوالد لولده:

(١٨) دعوة الصائم:

(١٩) دعاء الولد الصالح لوالديه:

(٢٠) دعاء الغازي في سبيل الله :

(٢١) دعاء الحاج :

(٢٢) دعاء المعتمر :

(٢٣) الدعاء عند المريض :

(٢٤) الدعاء عند التَّعَارّ من الليل، وقول الدعاء الوارد في ذلك:

(٢٣) من بات طاهرا على ذكر الله :

(٢٤) عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة .

(٢٥) عند دعاء الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

➢ثانياً : أحوال وأوضاع يستجاب فيها الدعاء تفصيلا :

(١) دعاء المسلم عقب الوضوء:

(حديث عمر في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : ؟ ما من أحدٍ يتوضأ فيبلغ أو يسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء .

(حديث عمر صحيحي أبي داوود الترمذي) أن النبي ﷺ قال : من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله اللهم اجعلني من التوابين و اجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

(٢) عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها :

عند قراءة الفاتحة واستحضار ما يقال فيها :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام فقيل لأبي هريرة رضي الله عنه إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد !< الحمد لله رب العالمين >! قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال !< الرحمن الرحيم >! قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال !< مالك يوم الدين >! قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال !< إياك نعبد وإياك نستعين >! قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال !<

اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين >! قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل .

*[معنى خداج أي فاسدة]

(٣) عند رفع الرأس من الركوع وقول سمع الله لمن حمده:

(حديث رِفاعة بن رافعٍ الزُرْقِي الثابت في صحيح البخاري) قال : كنا نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فلما انصرف قال : من المتكلم ؟ قال أنا ، قال : رأيت بضعةً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أوَّل .

(حديث أبي سعيد الثابت في صحيح مسلم) قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال : ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

(٤)عند التأمين في الصلاة:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

(٥) بعد الصلاة على النبي"في التشهد الأخير :

(حديث ابن مسعود الثابت في صحيح الترمذي) قال كنت أصلي و النبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه ، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على رسول الله ﷺ ثم دعوت لنفسي فقال النبي ﷺ : سل تُعطه سل تُعطه .

(٦) عند اجتماع المسلمين في مجالس الذكر .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إن لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجاتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم و هو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ فيقولون : يسبحونك و يكبرونك و يحمدونك و يمجدونك فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا و الله ما رأوك فيقول : كيف لو رأوني ؟ فيقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة و أشد لك تمجيدا و أكثر لك تسبيحا فيقول : فما يسألوني ؟ فيقولون : يسألونك الجنة فيقول : و هل رأوها ؟ فيقولون : لا و الله يا رب ما رأوها فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟

فيقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا و أشد لها طلبا و أعظم فيها رغبة قال : فمم يتعوذون ؟ فيقولون : من النار فيقول الله : هل رأوها ؟ فيقولون : لا و الله يا رب ما رأوها فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا و أشد لها مخافة فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة ! فيقول : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم .

(٧) عند صياح الديكة:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطانا).

(٨) في حالة إقبال القلب واشتداد الإخلاص :

كما في قصة أصحاب الغار.

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال،

فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

(٩) عند الدعاء بـ:،لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين :

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : دعوة ذي النون إذ دعا بها و هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

➢وذو النون: هو نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ،

➢والنون: الحوت.

فهذا سيدنا يونس عليه السلام ألقي في اليم فالتقمه الحوت وأسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه ، فالتجأ إلى الله { أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فأنجاه الله ، حتى إذا خرج إلى شاطئ السلامة، تلقفته يد الرحمة الإلهية والعناية الربانية فأظلته تحت شجرة اليقطين .

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [الأنبياء:٨٧-٨٨].

[*] قال القرطبي في تفسير هذه الآية:

وفي الخبر في هذه الآية شرط الله لمن دعاه أن يجيبه كما أجابه، وينجيه كما أنجاه، وهو قوله:[وكذلك ننجي المؤمنين] (٧١)

[*]وقال ابن كثير في قوله تعالى :[وكذلك ننجي المؤمنين]: أي إذا كانوا في الشدائد، ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء؛ فقد جاء الترغيب به في الدعاء به عند سيد الأنبياء .(٧٢)

﴿تنبيه﴾ : ➢ هذا الدعاء من أعظم أنواع الدعاء، لاشتماله على الآتي :

---

(٧١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٣٣٤.

(٧٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٨٧

أولاً: على توحيد الله (لا إله إلا أنت)

وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وقربة.

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه عما لا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظيم شأنه.

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينبغي له أن يكون كذلك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧]

(١٠) عند الدعاء حال المصيبة بـ:،إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرًا منها :

(حديث أم سلمة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول !< إنا لله وإنا إليه راجعون >! اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيرا منه رسول الله ﷺ .

فالاسترجاع ملجأ وملاذ لذوي المصائب، ومعناه باختصار: إن لله توحيد وإقرار بالعبودية والملك، وإن إليه راجعون إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا.

إذا فالأمر كله لله، ولا ملجأ منه إلا إليه، والله عز وجل يقول: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة ١٥٥: ١٥٧]

[*] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:

قال عمر: نعم العدلان، ونعمت العلاوة،[أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة] فهذان العدلان.

و[أولئك هم المهتدون]فهذه العلاوة، وهي ما توضع بين العدلين، وهي زيادة في الحلم، فكذلك هؤلاء، أُعطوا ثيابهم، وزيدوا أيضاً .[٧٣]

(١١) في حال دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب :

---

(٧٣) تفسير ابن كثير ١/١٨٨.

(حديث أبي الدرداء الثابت في صحيح مسلم) النبي ﷺ قال: دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل .

فلا تنسنا أخي الحبيب بدعوة منك في ظهر الغيب، واعلم بأن الله جل وعلا سيستجيب منك هذه الدعوة وسيعطيك مثلها بموعود النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٢) دعاء الناس بعد وفاة الميت :

(حديث أم سلمة الثابت في صحيح مسلم) قالت دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون ثم قال اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبة في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره ونور له فيه .

(١٣) دعوة المضطر :

فالله _ تبارك وتعالى _ يجيب المضطر إذا دعاه ولو كان مشركًا، فكيف إذا كان مسلمًا عاصيًا مفرطًا في جنب الله ؟

بل كيف إذا كان مؤمنًا برًّا تقيًّا ؟

قال تعالى: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل / ٦٢]

[*] قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة:

أي من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه؟.[٧٤]

[*] قال البغوي : المضطر: المكروب المجهود .[٧٥]

[*] وقال الزمخشري: المضطر: الذي أحوجه مرض، أو فقر، أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجأ والتضرع إلى الله .[٧٦]

[*] وقال القرطبي : ضَمِنَ الله _ تعالى _ إجابة المضطر إذا دعاه، وأخبر بذلك عن نفسه. والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجأ ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه،

(٧٤) تفسير ابن كثير ٣/٣٥٨.
(٧٥) معالم التنزيل للبغوي ٦/١٧٣.
(٧٦) الكشاف للزمخشري ٣/١٤٩.

وللإخلاص عنده _ سبحانه _ موقع وذِمَّة، وُجِدَ من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر .(٧٧)

أَلم تر حال المشركين في الجاهلية الأولى كيف يتخلّون عن آلهتهم ويَدْعُون الله مخلصين له الدين وذلك إذا ركبوا في الفلك ، واضطربت بهم الأمواج ، كما في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

[يونس / ٢٢].

والمشركون ما كانوا يفزعون لآلهتهم عند الشدائد ، بل كانوا يلجئون إلى الله ، إذ النفوس جُبلت على الالتجاء لله وحده عند حصول المكروه ؛ إلا ما يكون من بعض مشركي زماننا ! فإن ملجأهم ومفزعهم (الولي) أو (القطب) ، فأبو جهل أفقهُ من هؤلاء !!

تأمّل قول الله تبارك وتعالى : (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

[لقمان / ٣٢]

[*] قال ابن القيم – رحمه الله – :

التوحيد مَفْزَعُ أعدائه وأوليائه ؛ فأما أعداؤه فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها :(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

[العنكبوت / ٦٥]

، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ، ولذلك فزع إليه يونس فنجّاه الله من تلك الظلمات ، وفزع إليه أتباع الرسل فَنَجَوا بِهِ [٧٨] مما عُذِّبَ به المشركون في الدنيا ، وما أُعِدّ لهم في الآخرة ، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه ؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل . هذه سنة الله في عباده . فما دُفِعَتْ شدائد الدنيا بمثل التوحيد [٧٩] .

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :لا يغني حذر من قدر و الدعاء ينفع مما نزل و مما لم ينزل و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة .

---

(٧٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/٢٢٣.

٧٨ – أي بالتوحيد .

٧٩ – الفوائد (ص ٧٩) .

وهذا الحديث يوضح أن الوقاية من المصائب تكون بالدعاء بينما لا ينجح الحذر في رد هـذه المصائب ولكن مع اعتبار قول الله (وخذوا حذركم)

➢جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال يا أبى الدرداء لقد احترق بيتك فقال ما احترق ولم يكن الله ليفعل ذلك ، بكلمات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها فى أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح . وقد قلتها اليوم .

(اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شىء قدير و أن الله قد أحاط بكل شىء علما ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم (ثم قال انهضوا بنا ، فقام وقاموا معه فانتهوا إلى داره وقد احترق ما حولها ، ولم يصبها شىء)[٨٠].

إلهي ...

بك استجير ومن يجير سواكا	فأجرضعيفاً يحتمي بحماكا
إني ضعيف استعين على قوى	ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا
أذنبت يا ربي وآذتني ذنوبٌ	مالها من غافر إلا كا
أنا كنت يا ربي أسير غشاوةٍ	رانت على قلبي فضل سناكا
واليوم يا ربي مسحت غشاوتي	وبدأت بالقلب البصير أراكا
يا غافر الذنب العظيم وقابلاً	للتوب قلب تائبٌ ناجاكا

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ)

من الذي يفزع إليه المكروب ويستغيث به المنكوب وتصمد إليه الكائنات وتسأله المخلوقـات وتلهج بذكره الألسن وتؤلهه القلوب إنه الله لا اله إلا هو، وحق علينا أن ندعوه في الشـدة والرخاء والسراء والضراء ونفزع إليه في المُلمات ونتوسل إليه في الكربات وننطـرح علـى عتبات بابه سائلين باكين ضارعين منيبين حينها يأتي مدده ويصل عونه ويسرع فرجه ويحل فتحه

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ)

---

[٨٠] - انظر الوابل الصيب لابن القيم ، الأذكار للنووى.

فينجي الغريق ويرد الغائب ويعافي المبتلى وينصر المظلوم ويهدي الضال ويشــفي المــريض ويفرج عن المكروب .

إذا نزلت بك النوازل وألمَّت بك الخطوب فالهج بذكره واهتف باسمه واطلب مدده واسأله فتحه ونصره مرغ الجبين لتقديس اسمه لتحصل على تاج الحرية وأرغم الأنف في طين عبوديته لتحوز وسام النجاة مد يديك وارفع كفيك أطلق لسانك أكثر من طلبه بالغ في سؤاله ألح عليه الزم بابه انتظر لطفه ترقب فتحه اشد باسمه أحسن ظنك فيه انقطع إليه تبتل إليه تبتيلا حتى تسعد وتفلح..

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)

يا له من رب رحيم ودود لطيف شكور.....يتودد إلى عباده وهو الغني عنهم .... يأمرك بأن تدعوه وهو الغني عن دعائك

إنه الملك _جل وعلا_ الذي يفزع إليه المكروب ويستغيث به المنكوب وتلجا إليه كل المخلوقات.

➢فاذا نزلت بك النوازل وأحاطت بك المصائب وألمَّت بك الخطوب فما عليك إلا أن ترفع أكف الضراعة لتطلب منه العون والمدد وتمرغ الجبين لتبل الحصى بدموع التوبة والندم وتتخلع من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته وتقول بلسان الحال والمقال :اللهم إني أبرا من الثقة إلا بك ومن الأمل إلا فيك ،ومن التسليم الا لك،ومن التوكل الا عليك،ومن الرضا الا عليك ومن الامل الا فيك ومن الصبر إلا على بابك ،ومن الذل إلا في طاعتك ،ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم,ومن الرجاء إلا في يديك الكريمتين..

_إذا نزلت بك المصائب فقل :يا الله

_إذا خانك الرفيق والصديق فقل :يا الله

_إذا ضاع المال والعيال فقل :يا الله

_إذا اجتمع عليك أهل الأرض فقل :يا الله

الزم بابه ....وتبتل إليه.....وترقب فتحه ونصره....وارفع إليه اكف الضراعة ....وأحسن الظن به ...واطلب منه العون والمدد.

فهو الذي يشفي المريض ويعافي المبتلى ويسد الدين عن المديون وينصر كل مظلوم ويهدي

كل ضال ومحروم ويرد الغائب ويفك اسر المسجون.

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ)

يا صاحب الهم إن الهمَّ مُنْفَرِج

أبشر بخير فـــان الفارجَ الله

اليأس يقطع أحيانا بصاحبـــه

لا تيأسن فـــان الكافي الله

إذا بُلِيْتَ فاتق بالله وارضَ بـــه

فان الذي يكشف البلوى هو الله

الله يحدث بعد العسر ميســـرة

لا تعجـــزن فـــان الصانـــع الله

والله ما لك غير الله من احـــد

فحسبك الله فـــي كـــل لـــك الله

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ)

عندما تغلق جميع الأبواب بوجهك!!!!!

عندما لا يوجد أي منفذ لحل المعضلة!!!!!

عندما تغدوا مضطرا ولا حيلة لك!!!!!

عندما لا تستطيع فتح الأقفال وإزالة الحواجز عن طريقك!!!!!

ألا نعرف كلنا بان هناك نور يشرق وبصيص أمل ينتظرنا ويفتح لنا أبواب الرحمة الإلهية بوجه المتحيرين ألا وهو الله عز وجل،،،،،،

هذه حقيقة يدركها الكل حتى المشركين لأن وجود الله عز وجل موجود بالفطرة وفي النفس الإنسانية !!!!لا ترى عند تتلاطم أمواج البحر ينسى الإنسان كل شيء ويتوجه نحو الله عز وجل؟؟؟؟؟

وهذه حالة الاضطرار التي يعيشها الإنسان يكون مغمضاً عينيه عن عالم الماديات ويكون قلبه وروحه بين يدي الله عز وجل وكل شيء له ومنه فعند تحقق هذا الإدراك يكون الإنسان في حالة الاضطرار ويوفر لنفسه شرط من شروط استجابة الدعاء!!!!!

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ)

وهاك قصصاً تبكي الصخور لمن استجاب الله تعالى لهم حال الاضطرار :

[*] يقول الشيخ على الطنطاوي :

« أسرد عليكم قصة أسرة أمريكية فيها ستة أولاد، أبوهم فلاح متين البناء قويّ الجسد ماضي العزم، وأمهم امرأة عاقلة مدبّرة حازمة، فتربى الأولاد على الصبر والاحتمال حتى صاروا رجالاً قبل أوان الرجولة.وخرج الصغير يومًا يلعب، وكان في الثالثة عشرة، فقفز من فوق صخرة عالية قفزة وقع منها على ركبته، وأحس بألم فيها، ألم شديد لا يصبر عليه ولد مثله، ولكنه احتمله وصبر عليه، ولم يخبر أحدًا وأصبح فغدا على مدرسته يمشي على رجله، والألم يزداد وهو يزداد صبرًا عليه، حتى مضى يومان فظهر الورم في رجله وازرقّ، وعجز أن يخطو عليها خطوة واحدة، فاضطربت أمه وجزع أبوه وسألاه عن خبره؟ فأخبرهما الخبر فأضجعوه في فراشه وجاءوا بالطبيب فلما رآها علم أنه قد فات أوان العلاج وأنها إن لم تُقطع فورًا مات الولد من تسمم الدم، فانتحى بأبيه ناحية وخبّره بذلك همسًا، يحاذر أن يسمع الولد قوله، ولكنّ الولد سمع، وعرف أنها ستقطع رجله، فصرخ: لا، لا تقطعوا رجلي، لا تقطعوا رجلي، أبي أنقذني، حاول أن يقفز على رجل واحدة ويهرب منهم فأمسك به أبوه وردَّه إلى فراشه، فنادى أمه نداء يقطع القلوب: أمي، أمي، أنقذيني، أمي ساعديني، لا يقطعوا رجلي، ووقفت الأم المسكينة حائرة تحس كأن كبدها تتمزق؛ قلبها يدعوها إلى نجدة ابنها ويفيض حنانًا عليه وحبًا له، وعقلها يمنعها ويناديها أن تفتدي حياته برجله، ولم تدر ماذا تصنع؟

فوقفت وقلبها يتفطر ودمعها يتقاطر، وهو ينظر إليها نظر الغريق إلى من ظن أنه سينقذه، فلما رآها لا تتحرك، يئس منها، كما يئس من أبيه من قبل، وجعل ينادي أخاه [إِدغار] بصوت يختلط فيه النداء بالبكاء والعويل: إدغار إِدغار، أين أنت يا إِدغار؟أسرع فساعدني ،إنهم يريدون أن يقطعوا رجلي،إدغار إدغار، وسمع أخوه إدغار ـ وهو أكبر منه بقليل ـ صراخه، فأقبل مسرعًا، فشد قامته ونفخ صدره، ووقف دون أخيه متنمِّرًا مستأسدًا، وفي عينيه بريق من عزيمة لا تُقهر، وأعلن أنه لن يدع أحدًا يقترب منه، وكلمه أبوه، ونصحته أمه، وهو يزداد حماسة، وأخوه يختبئ وراءه ويتمسك به، فيشدّ ذلك من عزمه، وحاول أبوه أن يزيحه بالقوّة، فهجم على أبيه وعلى الطبيب الذي جاء يساعده، واستأسد واستيأس، والإنسان إذا استيأس صنع الأعاجيب.ألا ترون الدجاجة إذا هجم أحد على فراخها كيف تنفش ريشها وتقوم دون فراخه؟ والقطة إذا ضويقت كيف تكشِّر عن أنيابها وتبدي مخالبها؟ إن الدجاجة تتحول

صقرًا جارحًا، والقطة تغدو ذئبًا كاسرًا، و [إدغار] صار رجلا قويًا، وحارسًا ثابتًا، يتزحزح الجدار ولا يتزحزح عن مكانه. وتركوه آملين أن يملَّ أو يكلَّ، فيبعد عن أخيه ولكنه لم يتزحزح، وبقي يومين كاملين واقفًا على باب غرفة أخيه يحرسه، لم يأكل في اليومين إلا لقيمات، قربوها إليه، ولم ينم إلا لحظات، والطبيب يجئ ويروح، ورجل الولد تزداد زرقة وورمًا، فلما رأى الطبيب ذلك نفض يده وأعلن أنها لم تبق فائدة من العملية الجراحية وأن الولد سيموت وانصرف، ووقفوا جميعًا أمام الخطر المحدق.

ماذا يصنع الناس في ساعة الخطر؟!

إن كل إنسان مؤمنًا كان أو كافرًا يعود ساعة الخطر إلى الله؛ لأن الإيمان مستقر في كل نفس حتى في نفوس الكفار، ولذلك قيل له :[كافر]، والكافر في لغة العرب [الساتر] ذلك أنه يستر إيمانه ويغطيه، بل يظن هو نفسه أن الإيمان قد فقد من نفسه، فإذا هزّته الأحداث ألقت عن غطاءه فظهر.قريش التي كانت تعبد هُبل واللات والعزى، إنما كانت تعبدها ساعة الأمن، تعبدها هزلا منها، فإذا جدَّ الجدُّ، وركب القرشيون السفينة، وهاج البحر من حولها بموج كالجبال، وصارت سفينتهم بيد الموج كريشة في كفّ الرياح، وظهر الخطر، وعمّ الخوف، بدأ الإيمان الكامن في أعماق النفس، فلم تَدْعَ اللات والعزى ولا هاتيك

[المَسْخرات]، ولكن دعت الله رب الأرض والسماوات، وعندما تغرق السفينة وتبقى أنت على لوح من الخشب بين الماء والسماء، لا تجد ما تصنع إلا أن تنادي: يا الله. هذا فرعون الذي طغى وبغى، وتكبّر وتجبر، حتى قال أحمق مقالة قالها إنسان قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ... [النازعات:٢٤] لما أدرك الغرقُ فرعونُ قال: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ... [يونس:٩٠].

وعندما تضل في الصحراء، ويحرق العطش جوفك، وترى الموت يأتيك من كل مكان، لا تجد ما تصنع إلا أن تنادي: يا الله!، وعندما تتعاقب سنوات القحط، ويمتد انقطاع المطر. وفي غمرة المعركة العابسة التي يرقص فيها الموت، وعندما يشرف المريض ويعجز الأطباء يكون الرجوع إلى الله. هنالك ينسى الملحد إلحاده، والماديُّ ماديته، والشيوعيّ شيوعيّته ويقول الجميع: يا الله !.لما ذهب الطبيب واستحكم اليأس وملأ قلوب الجميع: قلب الولد الخائف، وأخيه المستأسد المتنمّر، وأبيه وأمه، واستشعروا العجز، ولم تبق في أيديهم حيلة، وبلغوا

مرتبة [المضطر]، مدّوا أيديهم إلى الله يطلبون منه الشفاء وحده، ويطلبونه بلا سبب يعرفونه. لأنها قد تقطعت بهم الأسباب،

➢والله الذي يشفي بسبب الدواء والطبّ، قادر على أن يشفي بلا طب ولا دواء. مدّوا أيديهم وجعلوا يقولون: يا الله!! يدعون دعاء المضطر، والله يجيب دعوة المضطر ولو كان فاسقًا، ولو كان كافرًا، ما دام قد التجأ إليه، واعتمد عليه، ووقف ببابه، وعلق أمله به وحده، يُجيب دعوته إن طلب الدنيا، أما الآخرة فلا تُجاب فيها دعوته لأنه كافر لا يؤمن بالآخرة.هؤلاء كفار قريش لما دعوا الله مخلصين له الدين استجاب دعاءهم ونجاهم إلى البر، بل هذا شرّ الخلق إبليس لمّا دعا دعاء المضطر، قال: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [...الحجر:٣٦]، قال له: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ ... [الحجر:٣٧].ولو أمعنتم النظر في أسلوب القرآن لوجدتم أن الله لم يخبر في القرآن إخبارًا أنه يجيب دعوة المضطر، لأن ذلك مشاهد معلوم، ولكن ذكره حجة على المشركين فقال: ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ... [النمل: ٦٠ - ٦٢].

➢يا أيها القراء إنهم لما دعوا نظروا فإذا الورم بدأ يخف والزُّرقة تمحى والألم يتناقص، ثم لم يمض يومان حتى شفيت الرجل تمامًا، وجاء الطبيب فلم يكد يصدق ما يراه!!.

ستقولون هذه قصة خيالية أنت اخترعتها وتخيلتها، فما قولكم إن دللتكم على صاحبها، إن هذا الولد صار مشهورًا ومعروفًا في الدنيا كلها، وهو الذي روى القصة بلسانه، هذا الولد هو: أيزنهاور القائد العام لجيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، ورئيس أمريكا بعد ذلك!!.وقد وقعت لي أنا حوادث رأيتُها وعشتُها، أو وقعت لمن كان حولي سمعتُها وتحققت منها. سنة ١٩٥٧، مرضت مرضة طويلة لخيانة من طبيب شاب شيوعي، وضع لي جرثومة يسمونها العصيّات الزرقاء، قليلة نادرة في بلادنا، وكانت شكواي من حصاة في الكلية أقاسي من نوباتها آلامًا لا يعرف مداها إلا من قاساها، فانضممت إليها أمراض أخرى لم يكن لي عهد بها، وقضيت في المستشفى؛ مستشفى الصحة المركزي الكبير في دمشق، ثم في

مستشفى كلية الطب بضعة عشر شهرًا، أقيم فيه، ثم أخرج منه ثم أعود إليه، وكانوا كل يوم يفحصون البول مرتين، وينظرون ما فيه،

فلما طال بي الأمر، وضاق مني الصدر، توجهت إلى الله فسألته إحدى الراحتين، الشفاء إن كان الشفاء خيرًا لي، أو الموت إن كان في الموت خيرٌ لي ـ وكان يدعو لي كثير ممن يحبني وإن كنت لا أستحق هذا الحب من الأقرباء ومن الأصدقاء ـ فلما توجهت ذلك اليوم إلى الله مخلصًا له نيتي، واثقًا بقدرته على شفائي، سكن الألم، وتباعدت النوبات، وفحصوا البول كما كانوا يفحصونه كل يوم، فإذا به قد صفا، وزال أكثر ما كان فيه وعجب الأطباء واندهشوا، اجتمعوا يبحثون .

فقلت لهم: لا تتعبوا أنفسكم فهذا شيء جاء من وراء طِبِّكم، إن الله الذي أمرنا أن نطلب الشفاء من الطب ومن الدواء، قادر على أن يشفي بلا طب ولا دواء.

ولما قدمت المملكة سنة ١٣٨٢هـ أقمت سنة في الرياض، ثم جئت مكة فلبثت فيها إلى الآن، كان معنا فيها رجل من الشام لا أسميه، كان مقيمًا في الرياض هو وأمه، فعرض له عمل اقتضى سفره إلى لبنان، كرهت أمه هذا السفر لئلا تبقى وحدها، فلما حلّ موعده حمل ثقله [أي حقائبه وأشياءه] إلى المطار فسلمه إلى الشركة وذهب إلى بيته على أن يأتي الفجر ليسافر.ورجا أمه أن توقظه قبيل الفجر، فلم توقظه حتى بقى لموعد قيام الطيارة ثلاث أرباع الساعة، فقام مسرعًا وأخذ سيارة وحثَّ السائق على أن يبلغ به المطار ويضاعف له الأجر، وجعل يدعو الله أن يلحق بالطيارة قبل أن تطير، ولما وصل وجد أنه لا يزال بينه وبين الموعد ربع ساعة، فدخل المقصف وقعد على الكرسي فنام، ونودي من المكبر على ركاب الطائرة أن يذهبوا إليها، فلم يسمع هذا النداء وما صحا حتى كانت الطيارة قد علت في الجو، وكنت معه، فجعل يعجب كيف دعا الله بهذا الإخلاص دعاء المضطر ولم يستجب له؟.

وجعلت أهون الأمر عليه، وأقول له: إن الله لا يردّ دعوة داعٍ مخلص مضطر أبدًا، ولكن الإنسان يدعو بالشر دعاءه بالخير، والله أعلم بمصلحته منه، وأهمّ الغضب والحزن عن إدراك ما أقول.

أفتدرون ماذا كانت خاتمة هذه القصة؟

لعل منكم من يذكر طيارة شركة الشرق الأوسط التي سقطت تلك السنة، وهلك من كان فيها؟ هذه هي الطيارة التي حزن على أنها فاتته.إن الإنسان قد يطلب من الله ما يضره، ولكن الله

أرحم به من نفسه، وإذا كان الأب يأخذ ولده الصغير إلى السوق فيرى اللعبة فيقول :أريـدها، فيشتريها له، ويبصر الفاكهة الجميلة، فيوصله إليه، ويطلب الشُّكولاته فيشتري له ما يطلبـه فإذا مرَّ على الصيدلية ورأى الدواء الملفوف بالورقة الحمراء، فأعجبه لونـه، فطلبـه، هـل يشتريه له وهو يعلم أنه يضره؟ إذا كان الأب وهو أعرف بمصلحة ولده لا يعطيه كل ما يطلب لأنه قد يطلب ما لا يفيده، فالله أرحم بالعباد من آبائهم ومن أمهاتهم ومن ذويهم] .... « كتاب الباب الذي لا يغلق في وجه سائل ص ١ – ٢٠: الشيخ على الطنطاوي

➢ هـذه قصـه واقعيـه حـدثت فـي وقتنـا الحاضـر لمعلمـة فـي مكـه المكرمـه ٠

كان هناك مجموعه من المعلمات تعاقدنا مع سائق يوصلهن من منازلهن للمدرسـه والعكـس وكان هذا السائق يعرف وقت صرف الرواتب وفي يوم ركبنا المعلمات معـه ويعـرف أنهـن استلمن رواتبهن فأخذ السائق بتوصيل المعلمات واحد تلو الأخرى وبقيت معلمه واحده تنظـر دورها أن يوصلها الى منزلها ولكنها تفاجأت أن السائق غير من طريق البيت واخذ يتجه إلى طريق جدة أخذت المعلمه تناديه يافلان يا فلان هذا ليس طريق المنزل لكن لم يرد عليها وبعد محاولات فاشله لاستعطافه أيقنت انه طمع فيها ، أثناء قيادته السياره سجدت المعلمه علـى أرضـيـة السـيـاره وأخـذت تـدعو يامغيـث ٠٠٠٠٠٠٠ وخرجـت هـذه الـدعوه مـن قلـب مكـروب!!!

وفجـــــــــأه!!!!

ضرب السائق فرامل لأن هناك سياره اعترضته رفعت المعلمه رأسها تخيلوا مـن كـان فـي السـيـاره المعترضـه

إنه أبوها وأخوها فرحت لوهله ثم انتابها خوف لوجودها في هذا المكان مـع السـائق مـاذا سـيقول أباهـا وأخاهـا عنهـا!!!

وفتح أبوها الباب واخذ بيد ابنته إلى السياره و انطلق مباشره دون التكلم مع السائق ولا مع ابنتـه ودارت الأفكـار بـرأس المعلمه ؟؟ وصلوا إلى البيت نزلت المعلمه مسرعه نحو أمها حتى تشرح لهـا الوضـع قبـل دخول والدها تفأجأت بوجود والدها و اخوها على مائدة الغداء أماه م م م متى كيف اشـلون كـانو فـي السـياره يامههههـه وانـا سـبقتهم فـي الـدخول أجابت الأم هم موجودون منذ ساعتين . ؟؟؟؟؟؟؟؟؟ إذن من الذين كانوا فـي السـياره ؟؟؟

هـــــــــــــل تعرفـــــــــــــون مـــــــــــــن هــــــــــــم؟؟

إنهم الملائكة ومن رحمة الله بها انه جعلهم على صورة والدها واخوهــا حتــى لا تخــاف . يــــــــــا الــــــــله انك أرحم بنا من امهاتنا.

➢(وهذه قصةٌ مُبْكِيَة)

هذة قصة حقيقية حصلت أحداثها ما بين الرياض وعفيف لأن صاحبة القصة أقسمت على كل من يسمعها أن ينشرها للفائدة فتقول :

لقد كنت فتاة مستهترة اصبغ شعري بالأصباغ الملونة كل فترة وعلى الموضة وأضع المناكير ولا أكاد أزيلها إلا للتغيير ، أضع عبايتي على كتفي أريد فقط فتنة الشباب لا إغوائهم ،أخرج إلى الأسواق متعطرة متزينة ويزين إبليس لي المعاصي ما كبر منها وما صغر وفوق هذا كلة لم اركع لله ركعة واحدة بل لا اعرف كيف اصلي والعجيب أني مربية

أجيال معلمة يشار لها بعين احترام فقد كنت ادرس في احد المدارس البعيدة من مدينة الرياض فقد كنت اخرج من منزلي مع صلاة الفجر ولا أعود حتى صلاة العصر المهم أننا كنا مجموعة من المعلمات وكنت أنا الوحيدة التي لم أتزوج .

فمنهن المتزوجة حديثا ومنهن الحامل ومنهن التي أخذت أجازة أمومة وأيضا كنت أنا الوحيدة التي نزع مني الحياء فقد كنت أحدث السائق وأمازحه كأنة أحد أقاربي ومرت الأيام وما زلت على طيشي وضلالي وفي صباح احد الايام استيقظت متأخرة وخرجت بسرعة وركبت السيارة وعندما التفتت لم أجد سواي في المقاعد الخلفية سألت السائق فقال فلانة مريضة وفلانة قد ولدت و.و. فقلت في نفسي ما دام الطريق طويل سأنام حتى نصل فنمت ولم استيقظ إلا من وعرة الطريق فنهضت خائفة ورفعت الستار ما هذا الطريق وما الذي صار ؟؟؟؟ فلان أين تذهب بي؟؟؟؟؟؟؟ قال لي بكل وقاحة الآن ستعرفين فقد عرفت مخططة قلت له وكلي خوف يا فلان أما تخاف الله أتعلم عقوبة ما تنوي فعلة وكلام كثير أريد أن أثنية عما يريد فعلة وكنت اعلم أني هالكة لا محالة فقال بثقة إبليسية لعينة أما خفتي الله أنتي ؟

وأنتي تضحكين بغنج وميوعة وتمازحينني ؟؟؟؟ ولا تعلمين أنك فتنتيني وأني لن أتركك حتى آخذ ما أريد بكيت صرخت ولكن المكان بعيد ولا يوجد سوى أنا وهذا الشيطان المارد مكان صحراوي مخيف *** مخيف*** رجوتة وقد أعياني البكاء وقلت بيأس واستسلام إذاً دعني أصلي لله ركعتين لعل اللة يرحمني فوافق بعد أن توسلت علية نزلت من السيارة وكأني أقاد

إلى ساحة الإعدام صليت ولأول مرة في حياتي صليتها بخوف وبرجاء والدموع تملأ مكان سجودي توسلت لله تعالى أن يرحمني ويتوب علي وصوتي الباكي يقطع هدوء المكان وفي لحظة وأنا أنهي صلاتي

تتوقعون مالذي حدث؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

وكانت المفاجأة ما الذي أراه ؟

إنني أرى سيارة أخي قادمة نعم إنه أخي وقد قصد المكان بعينة لم أفكر بلحظة كيف عرف مكاني ولكني فرحت بجنون وأخذت اقفز ***وأنادي***وذلك السائق ينهرني ولكني لم أبالي به.... من أرى أنه أخي الذي يسكن الشرقية وأخي الآخر الذي يسكن معنا فنزل أحدهما وضرب السائق بعصا غليظة وقال اركبي مع احمد في السيارة وأنا سآخذ هذا السائق واضعة في سيارة بجانب الطريق ... ركبت مع احمد والذهول يعصف بي وسألته هاتفةً كيف عرفتما بمكاني وكيف جئت من الشرقية ؟ ومتى؟

قال في البيت تعرفين كل شيء وركب محمد معنا وعدنا للرياض وأنا غير مصدقة لما يحدث وعندما وصلت إلى المنزل ونزلت من السيارة قالا لي أخوتي اذهبي إلى أمنا واخبريها الخبر وسنعود بعد قليل ونزلت مسرعة اخبر أمي دخلت عليها في المطبخ واحتضنتها وأنا ابكي واخبرها بالقصة قالت لي بذهول وأحمد فعلا في الشرقية وأخوك محمد ما زال نائما فذهبنا إلى غرفة محمد فوجدناه فعلا نائم أيقظته كالمجنونة لأساله ما الذي يحدث فأقسم بالله العظيم أنة لم يخرج من غرفتة ولا يعلم بالقصة ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ذهبت إلى سماعة الهاتف تناولتها وأنا أكاد أجن فسالت أخي الآخر فقال ولكنني في عملي الآن *********** بعدها بكيت

وعرفت كل إلي حصل إنهما ملكين أرسلهما ربي لينقذني فحمدت الله تعالى على ذلك وكانت هي سبب هدايتي ولله

الحمد والمنة بعدها انتقلت الى منطقة عفيفة وابتعدت عن كل ما يذكرني بالماضي المليء بالمعاصي والذنوب .

[*] قال مالك بن دينار :

خرجت إلى الحج وفيما أنا سائر في البادية ، إذ رأيت غراباً فى فمه رغيف ، فقلت : هذا غراب يطير وفى فمه رغيف ،إن له لشأناً ، فتتبعته حتى نزل عند غار ، فذهبت إليه فإذا بي

أرى رجلا مشدوداً لا يستطيع فكاكاً ، والرغيف بين يديه ، فقلت للرجل : من تكون ؟ قال : أنا من الحجاج وقد أخذ اللصوص مالي و متاعي وشدوني و ألقوني في هذا الموضع ، كما ترى وصبرت على الجوع

أياماً ثم توجهت إلى ربى بقلبي وقلت : يا من قال في كتابه العزيز :

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فأنا مضطر فارحمني فأرسل الله إلى هذا الغراب بطعامي .

في هذا الموقف نرى حال الداعي قد أثر في إجابة دعوته فقد كان مضطراً فقد كل الأسباب ولم يبق له إلا باب السماء .. والله حرمه من الأسباب ليتعلم أن يتعلق قلبه برب الأسباب لا بالأسباب حتى إذا عاد للحياة الطبيعية و أصبحت الأسباب فى يده لم يلتفت إليها..... .

➢(قصة الحسن البصري مع الحجاج بن يوسف الثقفي)

بنى الحجاج بن يوسف الثقفى داراً بواسط بالعراق فدعا الناس للفرجة والدعاء بالبركة.. فذهب الحسن البصرى رضى الله عنه إلى هناك فوقف خطيباً في الناس ليلفت الناس عن الانبهار بالزخارف إلى كراهية الظلم الذى يمارسه الحجاج بن يوسف وقال فيه كلاما غليظا ، فلما أشفق الناس عليه من بطش الحجاج قال : لقد أخذ الله ميثاق أهل العلم لتبيننه للناس ولا تكتمونه ... ثم انصرف ولما بلغ الحجاج ما حدث استشاط غيظاً ولام أتباعه على عدم الرد عليه و أخبرهم أنه سيجعله عبرة للناس و أرسل فى طلبه وأعد فى مجلسه النطع والسياف فظن الناس أنه قاتله وقبل أن يدخل الحسن البصرى إلى مجلس الحجاج تمتم بكلمات فلما دخل عليه فوجىء الناس بأن الحجاج يحسن استقباله وأجلسه بجواره وطيب لحيته وسأله فى بعض المسائل ثم أذن له بالإنصراف ..

وما أن غادرالحسن البصرى المجلس حتى جرى الحاجب خلفه وسأله ناشدتك الله ما هذه الكلمات التى كنت تتمتم بها فإن الحجاج ما استدعاك ليطيب لحيتك ؟

فقال الحسن : قلت : اللهم ياولى نعمتى وملاذى عند كربتى ، اللهم اجعل عقوبته لى برداً وسلاما كما جعلت النار بردا وسلاماً على إبراهيم.

➢(قصة لمريض شفاه الله تعالى بالدعاء)

والقصة لصديق يعمل مهندسا كان قد أصيب بالتهاب رئوي أدى إلى خراج على الرئة .. حاول الأطباء علاجه مدة شهرين كاملين وأعطوه كل أنواع المضادات بلا فائدة ، حتى فقد

وزنه واقترب من نـهايته ..

وفى يوم من الأيام وبعد مغادرة الأطباء للمستشفى الذى كان يقيم فيه توجه إلى ربه وقال : يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء اشفني وعافني.

وأخذ يبتهل ويردد الدعاء حتى شعر أن شيئاً في صدره يريد أن يخرج وبعد سعال خفيف خرجت كرة من الصديد وضعها في إناء بجواره وشعر بتحسن تام بعدها لقد أصبح قادراً على الحركة مرة أخرى ، وكانت المفاجأة حينما جاء الأطباء فى الغد ..

ووضع الطبيب سماعته على صدره فلم يسمع شيئا مما كان يسمعه ووجد ابتسامته تعلو وجهه وقبل أن ينطق الطبيب قال صديقي : لقد شفاني الله بالدعاء.

فكم من مرضى أقرباء لنا حاروا مع العلاجات والأطباء فلابد من أن ننصحهم مع أخذهم بأسباب الشفاء ومع استمرارهم فى الدواء أن يتضرعوا ويلجأوا إلى ربهم عز وجل بالدعاء) دعاء المضطر (والله هو الذى يجيب فهو قادر على كل شىء سبحانه...

(١٤) دعوة المظلوم :

(حديث ا بن عباس في الصحيحين) قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتق دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

(حديث خزيمة بن ثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحْمَلُ على الغمام يقول الله : و عزتي و جلالي لأنصرنك و لو بعد حين .

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : دعوة المظلوم مستجابة و إن كان فاجرا ففجوره على نفسه .

➢والشواهد على إجابة دعوة المظلوم لا تكاد تحصر، ومنها ما جاء في قصة سعد بن أبي وقاص مع أهل الكوفة لما شكوه إلى عمر بن الخطاب .

قال أبو عوانة، وجماعة: حدثنا عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال:=شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاتي العشيِّ لا أخرم منها، أركد في الأوليين، وأحذف في الأخريين.

فقال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق.

فبعث رجلاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرًا، حتى أتوا على مسجد لبني عبسٍ، فقال رجل يقال له أبو سعد: أما إذا نشدتمونا بالله فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية.

فقال سعد: اللهم إن كان كاذبًا فأعم بصره، وأطل عمره، وعَرِّضْهُ للفتن.

قال عبدالملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: كيف أنت؟ قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .[٨١]

[*] وقال الذهبي :

يقال إن رجلاً وشى على بسر بن سعيد عند الوليد بن عبدالملك بأنه يعيبكم .

قال: فأحضره وسأله، فقال: لم أَقُلْهُ؛ اللهم إن كنتُ صادقًا فأرني به آية، فاضطرب الرجل فمات .[٨٢]

[*]فيا أيها المظلوم يا صاحب الحق المهضوم يا من صار مَغْمُوماً من جُرْحِهِ المكْلُوم يا من كان غَيْظُهُ من الظلم مكْتُوم يا من صار وَجْهُهُ من الأسى مَحْمُوم هَوِّنْ عَلَيْك يا أخي ، فإن الدنيا أمرها معلوم ، فهي للظالم لا تدوم ، سيقتَصُ الله لك من فِعلو المشئوم وعند الله تَجْتَمِعُ الخصوم ويُقْتَصُ من الظَالِم للمَظلوم .

(١٥) دعوة الوالد على ولده:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده .

وهذه النقطة من أخطر النقاط ، وأفرد لها أسطراً ، وجزءاً خاصاً لأهميتها ، فهي تتعلق بانتكاسة الأولاد وفسادهم ، من هدايتهم وصلاحهم ، حيث يدور عليها صلاح الأبناء من

---

(٨١) رواه أحمد ١/١٧٥_١٨٠، والبخاري(٧٥٥)، في الأذان، باب وجوب قراءة الإمام والمأموم في الصلوات كلها، ومسلم(٤٥٣) في الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، والنسائي ٢/٢١٧ باب الركود في الأوليين.

(٨٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٥٩٥.

عدمه ، وهدايتهم من غوايتهم ، فكم من الآباء والأمهات من لا يخاف الله تعالى في أبنائه وبناته ، فلا تسمعه إلا داعياً عليهم ، لاعناً لهم ، مغضباً مزمجراً ، عبوساً مكشراً ، فربما أدى ذلك إلى انحرافهم عن جادة الطريق ، وربما كان نتيجة لذلك بعدهم عن منهج الله تعالى ، وبالتالي تتلقفهم أيدي العابثين ، فيصبحوا في زمرتهم وينقلب الحال إلى أسوأ مما يُتصور ويُتوقع ، ولا سيما ونحن في عصر انفتحت فيه الآفاق العلمية والعقدية والدينية والأسرية ، بسبب انتشار الفضائيات ووسائل الإعلام المختلفة ، حتى أصبح العالم وكأنه حجرة واحدة ، فلا يسوغ لولي الأمر أن يدعو على أبنائه ، بل الواجب عليه أن يُكثر من الدعاء لهم ، حتى يكونوا صلحاء علماء دعاة يستفيد منهم مجتمعهم ، وتستفيد منهم أمتهم .

وهناك آباء على العكس من ذلك يحبون أبناءهم ويعاملونهم معاملة الأخ والصديق ، لكن لا يخلو لسانه من دعاء عليهم حال غضبه ، وهذه هي الطامة الكبرى ، والفاجعة العظمى ، فكم من ابنٍ ضل طريق الصواب ، وأخطأ سبيل الهداية بسبب دعاء والده أو والدته عليه ، وكذلك الفتاة ، ويدل على خطورة الدعاء على الأبناء ، وأنه قد يكون فتنة لهم ، هذا الحديث ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيِ اللَّه عَنْه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِي صَوْمَعَةٍ فَجَاءَتْ أُمُّهُ ، قَالَ حُمَيْدٌ : فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِي فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي فَقَالَ اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ فَرَجَعَتْ ثُمَّ عَادَتْ فِي الثَّانِيَةِ فَقَالَتْ يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي قَالَ اللَّهُمَّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِي وَإِنِّي كَلَّمْتُهُ فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي اللَّهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ قَالَ وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ قَالَ وَكَانَ رَاعِي ضَأْنٍ يَأْوِي إِلَى دَيْرِهِ قَالَ فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقِيلَ لَهَا مَا هَذَا قَالَتْ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ قَالَ فَجَاءُوا بِفُؤُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ قَالَ فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا لَهُ سَلْ هَذِهِ قَالَ فَتَبَسَّمَ ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ قَالَ أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا نَبْنِي مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ ثُمَّ عَلَاهُ " [أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له] .

وللفائدة : فالذين تكلموا في المهد خمسة ، منهم من ذُكر في الحديث التالي :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ عِيسَى وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ كَانَ يُصَلِّي جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَتْ مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ فَقَالَ مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ قَالَ الرَّاعِي قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ لَا إِلَّا مِنْ طِينٍ وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتِ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا فَقَالَتْ لِمَ ذَاكَ فَقَالَ الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ سَرَقْتِ زَنَيْتِ وَلَمْ تَفْعَلْ " [متفق عليه واللفظ للبخاري] .

فخطر الدعاء على الأبناء عظيم ، فهو مستجاب وباب القبول له مفتوح .

وكم هم الآباء الذين يشتكون من مشاكل أبنائهم من انحراف وسوء خلق ، وضعف دين ، وعدم توفيق في العمل والدراسة إلى غير ذلك من الأمور ، وإذا سألناه : هل تدعو لهم أم تدعو عليهم ؟ قال : أدعو عليهم .

فكيف يريد مثل هذا الأب ، أو تلك الأم السعادة والهناء والتوفيق والصلاح للأبناء وهم يدعون عليهم ، وقد سبقت الإشارة إلى التحذير من الدعاء على الولد لأن الدعاء والحالة تلك مستجاب ، ألا فليتق الله أولئك الآباء والأمهات الذين لا تفتر ألسنتهم من الدعاء على أبنائهم ، وليعلموا أنهم سبب من أسباب ضياع أبنائهم ، وسبب لفسادهم ، وسبب لانتكاستهم ، بل ربما كانوا سبباً في سوء خاتمتهم والعياذ بالله .

جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك رحمه الله ، يشكو إليه سوء خلق ولده ، فقال له : أدعوت عليه ، قال الأب : نعم ، قال : أنت أفسدته .

وقصة الرجل الذي جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يشكو أن ولده صفعه على وجهه ، فقال : هل علمته القرآن ؟ قال : لا ، قال : هل علمته السنة ؟ قال :لا ، قال : هل علمته ألاق العلماء والصالحين ، قال : لا ، قال : حسبك ثور فضربك .

فالتربية السليمة الصحيحة وفق منهج الله تعالى ، ووفق سنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي المخرج ، وهي الملجأ بإذن الله تعالى من هذه الكوارث والفتن التي تحدث في البيوت جراء انحراف الأبناء والبنات ، فيجب على كل أب وأم ، أن يكون لهم جلسة مع الأبناء جميعاً صغيرهم وكبيرهم ، يتم فيها تداول الأحاديث حول التربية الإسلامية ، وقراءة سير العلماء والصالحين والمربين ، والاستفادة من الكتب الخاصة بهذا الشأن .

(٣٠) دعوة المسافر:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده .

[*] قال ابن رجب:

"والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء...ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء"[٨٣].

(١٦) دعاء الوالد لولده:

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات لا تُرَدُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر .

(١٧) دعوة المظلوم :

(حديث ا بن عباس في الصحيحين) قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتق دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

(حديث خزيمة بن ثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحْمَلُ على الغمام يقول الله : و عزتي و جلالي لأنصرنك و لو بعد حين .

٨٣ – جامع العلوم والحكم (١/٢٦٩).

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : دعوة المظلوم مستجابة و إن كان فاجرا ففجوره على نفسه .

➢والشواهد على إجابة دعوة المظلوم لا تكاد تحصر، ومنها ما جاء في قصة سعد بن أبي وقاص مع أهل الكوفة لما شكوه إلى عمر بن الخطاب .

قال أبو عوانة، وجماعة: حدثنا عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال:=شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاتي العشيِّ لا أخرم منها، أركد في الأوليين، وأحذف في الأخريين.

فقال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق.

فبعث رجلاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرًا، حتى أتوا على مسجد لبني عبسٍ، فقال رجل يقال له أبو سعد: أما إذا نشدتمونا بالله فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية.

فقال سعد: اللهم إن كان كاذبًا فأعم بصره، وأطل عمره، وعَرِّضْهُ للفتن.

قال عبدالملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: كيف أنت؟ قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .[٨٤]

➢وعن سعد أيضاً: أن رجلاً قام يسب علياً رضي الله عنه، فدافع سعد عن علي ، واستمر الرجل في السب والشتم، فقال سعد: اللهم اكفنيه بما شئت. فانطلق بعيرٌ من الكوفة فأقبل مسرعاً، لا يلوي على شيء، وأخذ يدخل من بين الناس حتى وصل إلى الرجل، ثم داسه بخفيه، حتى قتله أمام مشهد ومرأى من الناس.

[*] وقال الذهبي :

يقال إن رجلاً وشى على بسر بن سعيد عند الوليد بن عبدالملك بأنه يعيبكم .

قال: فأحضره وسأله، فقال: لم أَقُلْهُ؛ اللهم إن كنتُ صادقًا فأرني به آيةً، فاضطرب الرجل فمات .[٨٥]

---

(٨٤) رواه أحمد ١/١٧٥_١٨٠، والبخاري(٧٥٥)، في الأذان، باب وجوب قراءة الإمام والمأموم في الصلوات كلها، ومسلم(٤٥٣) في الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، والنسائي ٢/٢١٧ باب الركود في الأوليين.

(٨٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٥٩٥.

(١٨) دعوة الوالد على ولده:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده .

(١٩) دعوة المسافر:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده .

[*] قال ابن رجب:

"والسفر بمجرده يقتضي إجابة الدعاء...ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء؛ لأنه مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان وتحمل المشاق، والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء"[٨٦].

(٢٠) دعاء الوالد لولده:

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات لا تُرَدُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر .

(٢١) من بات طاهرا على ذكر الله :

(حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ قال :ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهرا ، فيتعار من الليل ، فيسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه .

(٢٢) عند شرب ماء زمزم مع النية الصادقة .

(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في صحيح ابن ماجة):أن النبي ﷺ قال : ماء زمزم لما شُرِب له.

(٢٣) عند دعاء الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

(حديث أنس في صحيح السنن الأربعة) قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول :اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

٨٦ – جامع العلوم والحكم (١/٢٦٩).

(حديث بريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكـن لـه كفوا أحد فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

[*]الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء

أولاً الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء جملةً :

(١) الملتَزَم وهو بجـوار الحجر الأسود :

(٢) التعلق بأستار الكعبة من غير تمسح أو طلب تبرّك :

(٣) الدعاء في الطواف :

(٤) الدعاء على الصفا والمروة :

(٥) والدعاء يوم عرفة بعرفة :

(٦) الدعاء عند المشعر الحرام :

(٧) الدعاء عند رمي الجمرة الدنيا والوسطى :

(٨) المسجد الحرام على وجه الخصوص ، ومكة على وجه العموم .

ثانياً الأماكن الفاضلة التي يستجاب فيها الدعاء تفصيلاً :

(١) الملتَزَم وهو بجـوار الحجر الأسود :

الملتَزَم وهو بجـوار الحجر الأسود ، وسمي كذلك لأن الناس يلتزمونه بصدورهـم وأيديهم ، وهو ما بين الحجر الأسود إلى باب الكعبة .

(حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) قال :كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُلزِق صدره ووجهـه بالمُـلتَـزَم .

[*] وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – :

المـلـتَـزم ما بين الركن والباب .[87]

وعنه – رضي الله عنه – أنه كان يَلْـزَمُ ما بين الركن والباب ، وكان يقول : ما بين الـركن والباب يدعى المُـلْـتَـزَم ، لا يَـلْـزَم ما بينهما أحد يسأل الله شيئا إلا أعطـاه إياه .[88]

٨٧ – رواه عبد الرزاق (٥/٧٦) و ابن أبي شيبة (٣/٢٣٦) ، ورواه مالك في الموطأ (١/٤٢٤) بلاغـاً .

[*] وعن مجاهد أنه قال :

كانوا يَلْـتَـزِمُون ما بين الركـن والباب ويَدْعُون [89] .

[*] وقال محمد بن عبد الرحمن العبدي :

رأيت عكرمة بن خالد ، وأبا جعفر وعكرمـة مولى ابن عباس ، يلتزمون ما بين الركن وباب الكعبة [90]

(٢) التعلق بأستار الكعبة من غير تمسح أو طلب تبرّك :

التعلق بأستار الكعبة من غير تمسح أو طلب تبرّك فلا حرج فيه ، وكان التعلّـق معروفـاً ، وهو يدلّ على اللجوء والاستعاذة بالله .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال : دخل رسول الله صلى الله عليه على آله وسلم عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : إن ابن خطـل متعلـق بأستار الكعبة ! فقال : اقتلوه .

وذلك أنه قتل رجلاً من الأنصار ثم ارتد ولحق بالمشركين [91]

وقال – عليه الصلاة والسلام – في أربعـة نفـر : اقتلوهم وأن وجدتموهـم متعلقين بأستار الكعبة [92]

➢وهذا يدلّ على أن التعلّق بأستار الكعبة له أصل ، وكان معروفاً ، ولم يُنكره النبي صـلى الله عليه على آله وسلم .

إلا أنه لا يُتعلّق بأستار الكعبة تبركـاً .

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – :

ولما كانت الكعبة بيت الله الذي يُدعى ويُذكـر عنده ، فإنه سبحانه يستجار به هنـاك ، وقـد يُستمسك بأستار الكعبة [93] .

(٣) الدعاء في الطواف :

٨٨- رواه البيهقي في الكبرى (٥/١٦٤)

٨٩- رواه ابن أبي شيبة (٣/٢٣٦) .

٩٠- رواه ابن أبي شيبة (٣/٢٣٦) .

٩١ – يُنظر لذلك التمهيد لابن عبد البر (٦/١٦٧) .

٩٢ – رواه النسائي (٧/١٠٥) والضياء في المختارة (٣/٢٤٨) والحاكم (٢/٦٢) وابن أبي شيبة (٧/٤٠٤)

٩٣ – مجموع الفتاوى (١٥/٢٢٧) .

الطواف صلاة إلا أن الله أباح فيه الأكل والكلام ، فهو يشبه الصلاة من حيث الخشوع والخضوع لله تعالى ، واحترام الموقف الذي يقفه العبد أمام الله عز وجل ، فيقضي وقت الطواف بقراءة القرآن ، والأذكار ، والدعاء .

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال الطوافُ حول البيت مثلُ الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير .

وهنا أنبه إخواني المسلمين بأن يحذروا من تلك الكتيبات التي تحتوي على أدعية خاصة بكل شوط من أشواط الطواف أو السعي ، وكذلك الحذر من استخدام واستئجار المطوفين ، فكل تلك الأعمال بدعية لا أصل لها في الشريعة ، فالإنسان يدعو الله عز وجل بما شاء من الدعاء ، وهل هناك أعظم من سؤال الله الجنة ، والاستعاذة به من النار ، وأن يثبت الله العبد على هذا الدين حتى يلقى ربه تبارك وتعالى ، ولا داعي أبداً لاستعمال كتبات أو مطوفين ، فلن يكون المطوف أحرص من العبد على نفسه ، ولن يكون المطوف أخلص في الدعاء للعبد من نفسه ، فلا بد من أخذ الحيطة والحذر من ذلك ، ويدعو العبد بما فتح الله عليه من الدعاء وليس بلازم أن يحفظ أدعية يدعو بها ، بل ربما كان بعضها غير مفهوم ولا معلوم ، فلربما دعا المسلم على نفسه ، أو أمن على دعاء هو عليه وليس له .

(٤) الدعاء على الصفا والمروة :

الدعاء على الصفا والمروة : يكون باستقبال البيت في الدعاء بعد التكبير ثلاثاً ، ثم يقول الذكر الوارد في السنة ثلاثاً ، ويدعو بين ذلك .

[*] قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله : -

يقول الله أكبر وهو رافع يديه كرفعهما في الدعاء ثلاث مرات ، ويقول ما ورد ومنه : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده " ثم يدعو بما أحب ، ثم يعيد الذكر مرة ثانية ، ثم يدعو بما أحب ، ثم يعيد الذكر مرة ثالثة ، وينزل متجهاً إلى المروة . " الشرح الممتع " (٧ .) 268 /

ويكون الدعاء في ابتداء الأشواط لا في انتهائها ، إذ ليس ثمة دعاء على المروة عند نهاية الأشواط .

[*] قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله : -

وبه نعرف أيضاً أن الدعاء على الصفا والمروة يكون في ابتداء الأشواط لا في انتهائها ، وأن آخر شوط على المروة ليس فيه دعاء ؛ لأنه انتهى السعي ، وإنما يكون الدعاء في مقدمة الشوط كما كان التكبير أيضاً في الطواف في مقدمة الشوط ، وعليه فإذا انتهى من السعي عند المروة ينصرف ، وإذا انتهى من الطواف عند الحجر ينصرف ، ولا حاجة إلى التقبيل ، أو الاستلام ، أو الإشارة ، والذي نعلل به دون أن يعترض معترض أن نقول هكذا فعل النبي صلّى الله عليه وسلّم . " الشرح الممتع " (٧ / ٣٥٢)

(حديث جابر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) قال :فلما دنا من الصفا قرأ !< إن الصفا والمروة من شعائر الله >! أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا .

[*] قال ابن عبد البر :

وفيه – أي حديث جابر– أن الصفا والمروة موضع دعاء تُرجى فيه الإجابة [٩٤] .

بالإضافة إلى عرفة فإنها من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء ، فهي جمعت بين الزمان والمكان .

(٥) الدعاء يوم عرفة بعرفة :

➢الدعاء يوم عرفة بعرفة يستمر إلى غروب الشمس ، وعلى الحاج أن يكثر من الدعاء في هذا اليوم .

(حديث عبد الله ابن عمرو الثابت في صحيح الترمذي) أن النبيّ ﷺ قال : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

(٦) الدعاء عند المشعر الحرام :

وذلك بمزدلفة ، قال تعالى : " فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين " [البقرة ١٩٨] ،

٩٤ – التمهيد (٢/٩١) .

(حديث بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أنه كَانَ يُقَدِّمُ ضَعَفَةَ أَهْلِهِ ، فَيَقِفُونَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ بِالْمُزْدَلِفَةِ بِاللَّيْلِ ، فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ مَا بَدَا لَهُمْ ، ثُمَّ يَدْفَعُونَ قَبْلَ أَنْ يَقِفَ الْإِمَامُ ، وَقَبْلَ أَنْ يَدْفَعَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ مِنًى لِصَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدَمُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِذَا قَدِمُوا رَمَوْا الْجَمْرَةَ ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ : " أَرْخَصَ فِي أُولَئِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " .

(حديث جابر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) قال جابر رضي الله عنه عن حجة النبي صلى الله عليه وسلم: ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة، فدعاه وكبَّره، وهلَّله، ووحَّده فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس" الحديث.

والدعاء عند المشعر الحرام يكون بعد صلاة الفجر ليلة عيد الأضحى لمن كان حاجاً ، كما مـرّ في حديث جابرِ بنِ عبدِ اللّهِ – رضي الله عنهما –قال : ثُمّ ركبَ القصواءَ حتّى وقفَ على المَشعرِ الحرامِ ، واستقبلَ القبلةَ ، فدعا اللّهَ ، وكبّرَهُ ، وهلّلَهُ ، ووحّدَهُ ، حتى أسفر جـداً

(٧) الدعاء عند رمي الجمرة الدنيا والوسطى :

ويكون ذلك في أيام التشريق ، ولا يشرع الدعاء بعد رمي الجمرة الكبرى لا في يوم النحر ولا بعده .

(حديث ابن عمر رضي الله عنهما الثابت في صحيح البخاري)أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات، يكبر على إثر كل حصاة، ثم يتقدم حتى يسهل، فيقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلا، ويدعو ويرفع يديه، ثم يرمي الوسطى، ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل، ويقوم مستقبل القبلة، فيقوم طويلا، ويدعو ويرفع يديه، ويقوم طويلا، ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف، فيقول: هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعله.

(٨) المسجد الحرام على وجه الخصوص ، ومكة على وجه العموم .

مكة – شرّفها الله وحرسها – هي البلد الأمين ، وفيها بيت الله ، ولذا تُضاعف الحسنات في الحرم ، وتعظم السيئات فيه .

وكانت قريش تُعظِّم البيت والدعاء عنده .

ولذا لما صلّى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بِسلَى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد

إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم [٩٥] فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره بين كتفيه . قال ابن مسعود : وأنا أنظر لا أغني شيئا لو كانت لي مَنَعَة . قال : فجعلوا يضحكون ويحيل [٩٦] بعضهم على بعض ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره فرفع رأسه ثم قال : اللهم عليك بقريش – ثلاث مرات – فشقّ عليهم إذ دعا عليهم . قال : وكانوا يَرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة [٩٧] . ثم سمّى : اللهم عليك بأبي جهل وعليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط – وعد السابع فلم نحفظه – قال ابن مسعود : فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم صرعى في القليب قليب بدر [٩٨] .

[*] قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – :

وفي الحديث تعظيم الدعاء بمكة عند الكفار ، وما ازدادت عند المسلمين إلاّ تعظيماً ، وفيه معرفة الكفار بِصِدْقِه صلى الله عليه وسلم لخوفهم من دعائه ، ولكن حملهم الحسد على ترك الانقياد له [٩٩] .

وأما بقية المساجد فللأحاديث الواردة في فضل الدعاء بين الأذان والإقامة ، والغالب في حال المسلم أنه يكون في المسجد في هذا الوقت .

والذي يظهر أن الوقت والمكان اجتمعا في الدعاء بين الأذان والإقامة . والله أعلم .

استحباب اَلْدُّعَاءُ عِنْدَ قِرَاءَةِ اَلْقُرْآنِ

يُسْتَحَبُ اَلْدُّعَاءُ وَاَلْسُّؤَالُ عِنْدَ قِرَاءَةِ اَلْقُرْآنِ سَوَاءٌ أكَانَ إمَاماً أمْ مَأمُوماً أوْ مُنْفَرِداً :

---

٩٥ – هو عقبة بن أبي مُعيط – لعنه الله – .

٩٦ – قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٧/١) : " ويُحيل بعضهم " كذا هنا بالمهملة من الإحالة ، والمراد أن بعضهم ينسب فعل ذلك إلى بعض بالإشارة تهكما ، أي يثب بعضهم على بعض من المرح والبطر ، ولمسلم من رواية زكريا " ويَميل " بالميم ، أي من كثرة الضحك.

٩٧ – قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤١٨/١) : ويمكن أن يكون ذلك مما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السلام .

٩٨ – رواه البخاري . كتاب الوضوء . باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته ... (٦٥/١) .

٩٩ – فتح الباري (٤١٩/١)

(حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجة) أن النبي ﷺ صلَّى فكَانَ إِذَا مَــرَّ بآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بآيَةِ عَذَابٍ اسْتَجَارَ، وَإِذَا مَــرَّ بآيَةٍ فِيهَــا تَنْزِيهٌ للَّهِ سَبَّحَ .

[*] قال الإمام الشافعي: أحِبُّ لِلإِمَامِ إِذَا قَرَأَ آيَةَ الرَّحْمَةَ أَنْ يَقِفَ فَيَسْأَلَ اللَّهَ وَيَسْأَلَ النَّاس، وَإِذَا قَرَأَ آيَةَ الْعَذَابِ أَنْ يَقِفَ فَيَسْتَعِيذَ وَيَسْتَعِيذَ النَّاس، بَلَغَنَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ فِي صَلاته [100].

وقال العلماء: وَلا (مَرَّ) بِآيَةِ تَسْبِيح إِلاَّ سَبَّحَ، وَلا بِآيَةِ دُعَاء وَاسْتِغْفَار إِلاَّ دَعَــا وَاسْــتَغْفَرَ، وَإِنْ مَرَّ بِمَرْجُوٍّ سَأَلَ يَفْعَل ذَلِكَ بِلِسَانِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ [101] .

ومما وَرَدَ عنه صلى الله عليه وسلم من الثَّنَاءِ والتَّنْزِيهِ عند قراءة القرآن سواء في الصَّــلاةِ أو خارجها الحديث الآتي :

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح أبي داوود) أن النبي ﷺ كان إذا قــرأ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى ﴾ قال: " سُبْحَانَ رَبِيَّ الأعْلَى " .

(حديث مُوسَى بن أبي عَائِشَةَ رضي الله عنه الثابت في صحيح أبي داوود) قال:كان رَجُــلٌ يُصَلِّي فَوْقَ بَيْتِهِ وكان إِذَا قَرَأَ ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ قال: سُبْحَانَكَ فَبَلَى، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فقال: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا قَرَأتَ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى ﴾ فَقُلْ: سُبْحَانَ رَبيَّ الأعْلَى، وإذا قَرَأتَ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ فَقُلْ:سُبْحَانَكَ وبلَى [102] .

وهذا يتطلب من المُصَلِّي التَّدَبُّرَ والخُشُوعَ حَالَ قِرَاءَةِ القرآن في الصَّلاَةِ، فيطلب الرَّحْمَةِ عنــد آياتِ الرَّحْمَةِ، ويَسْتَعِيذَ من النَّارِ والعذاب عند آيات الوَعِيدِ، ويُسَبِّحُ ويُنَزِّه الله تعالى عند آيات التَّسْبِيحِ والتَّنْزِيهِ، أما الغافل فَتَفُوتُهُ هذه الفضائل ويُحْرَمُ بَرَكَةِ وثَوابِ الــدُّعَاءِ عنــد قِــرَاءَةِ القرآن .

استحباب الدعاء بعد ختم القرآن

[100] أنظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ، حديث رقم : ٧٥٠ 0

[101] أنظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ، حديث رقم : ٧٣٧ .

[102] أورده ابن حَجَر في نتائج الأفكار (٢/ ٤٨) وقال: موقوف صحيح.

(حديث عمران بن حصين في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرءون القرآن يسألون به الناس .

لا شك أن الدعاء عقب ختم كتاب الله عز وجل مرغوب فيه للفرد والجماعة، وهو من المواطن التي يستحب فيها الدعاء.

[*] قال النووي في المجموع :

:يستجاب الدعاء عند الختم وتنزل الرحمة، وكان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا أراد الختم جمع أهله وختم ودعا، واستحبوا الدعاء بعد الختم استحباباً متأكداً وجاء فيه آثار كثيرة، ويلح في الدعاء ويدعو بالمهمات ويكثر من ذلك في صلاح المسلمين وصلاح ولاة أمورهم ويختار الدعوات الجامعة .انتهى.

[*] وقال ابن قدامة في الشرح الكبير :

ويستحب أن يجمع أهله عند ختم القرآن وغيرهم لحضور الدعاء، وكان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده، وروي ذلك عن ابن مسعود وغيره ...انتهى.

[*] وقال ابن القيم في جلاء الأفهام :

وقد نص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على الدعاء عقب الختمة، فقال في رواية ابن الحارث: كان أنس إذا ختم القرآن جمع أهله وولده. وقال في رواية يوسف بن موسى، وقد سئل عن الرجل يختم القرآن فيجتمع إله قوم فيدعون؟ قال: نعم، رأيت معمراً يفعله إذا ختم. وقال في رواية حرب: استحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله. وروى ابن أبي داود في فضائل القرآن عن الحكم، قال :أرسل إلي مجاهد وعبدة بن أبي لبابة: أرسلنا إليك، إنا نريد أن نختم القرآن وكان يقال: إن الدعاء يستجاب عند ختم القرآن ثم دعوا بدعوات.

وروى أيضاً في كتابه عن ابن مسعود أنه قال: من ختم القرآن فله دعوة مستجابة، وعن مجاهد قال: تنزل الرحمة عند ختم القرآن، وروى أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن عن قتادة قال: كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره عند أصحاب له، فكان ابن عباس رضي الله عنهما يضع عليه الرقباء، فإذا كان عند الختم جاء ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فشهده .

ونص أحمد رحمه الله تعالى على استحباب ذلك في صلاة التراويح، قال حنبل: سمعت أحمد يقول في ختم القرآن: إذا فرغت من قراءتك: قل أعوذ برب الناس فارفع يديك في الدعاء قبل

الركوع، قلت: إلى أي شيء تذهب في هذا؟ قال: رأيت أهل مكة يفعلونه. وكان سفيان بن عيينة يفعله بمكة.. قال عباس بن عبد العظيم :وكذلك أدركت الناس بالبصرة وبمكة، ويروي أهل المدينة في هذا أشياء، وذكر عن عثمان بن عفان **...انتهى.**

هذا كله في مطلق الدعاء عقب الختم خارج الصلاة، مع العلم أنه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا صحبه الكرام صيغ معينة للدعاء، وإنما يدعو الفرد والجماعة لأنفسهم ولإخوانهم المسلمين بخيري الدنيا والآخرة بالأدعية المأثورة الجامعة وحسب ما يقتضيه حالهم ونوازلهم، متجنبين التطويل الممل، والسجع المتكلف، والخشوع المصطنع، وعدم التقيد بدعاء معين والتزامه في كل ختمة وإلزام المجتمعين به.

من أقوى الأدلة على مشروعية الدعاء عند ختم القرآن ما صح عن أنس رضي الله عنه أنه كان عند الختم يجمع أهله وولده لذلك في بيته.

أما مالك فقد كره ذلك .

[*]➢أنه كان من هدي السلف الختم في صلاة النفل .

[*] قال صاحب تحفة الأحوذي :

وروى الطحاوي بإسناده عن ابن سيرين قال: كان تميم الداري يحيي الليل كله بالقرآن كله في ركعة. عن عبد الله بن الزبير أنه قرأ القرآن في ركعة، وعن سعيد بن جبير أنه قرأ القرآن في ركعة في البيت... وكان منصور بن زاذان خفيف القراءة وكان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى **...انتهى.**

وأما الدعاء بعد الختم فهو من هدي السلف ولا بأس أن يدعو في الصلاة .

مسألة : هل في السنة دعاء خاص بعد ختم القرآن ؟

الجواب :

ليس في السنة النبوية دعاء خاص بعد ختم القرآن الكريم ، ولا حتى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو الأئمة المشهورين ، ومن أشهر ما ينسب في هذا الباب الدعاء المكتوب في آخر كثير من المصاحف منسوباً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، لا أصل له عنه .

انظر : "فتاوى الشيخ ابن عثيمين" (٢٢٦/١٤)

[*] قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى :

تنبيه : إن الدعاء المطبوع في آخر بعض المصاحف المطبوعة في تركيا وغيرها ، تحت

عنوان : (دعاء ختم القرآن) والذي ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، فهو مما لا نعلم له أصلا عن ابن تيمية أو غيره من علماء الإسلام ، وما كنت أحب أن يلحق بآخر المصحف الذي قام بطبعه المكتب الإسلامي في بيروت سنة (١٣٨٦) على نفقة الشيخ أحمد بن علي بن عبد الله آل ثاني رحمه الله ، وإن كان قد صدر بعبارة (المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية) فإنها لا تعطي أن النسبة إليه لا تصح فيما يفهم عامة الناس ، وقد أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم .

وما لا شك فيه أن التزام دعاء معين بعد ختم القرآن من البدع التي لا تجوز ، لعموم الأدلة ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) وهو من البدع التي يسميها الإمام الشاطبي بـــ (البدعة الإضافية) ، وشيخ الإسلام ابن تيمية من أبعد الناس عن أن يأتي بمثل هذه البدعة ، كيف وهو كان له الفضل الأول – في زمانه وفيما بعده – بإحياء السنن وإماتة البدع ؟ جزاه الله خيرا .

انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم (٦١٣٥)١٣/٣١٥.

﴿تنبيه﴾ :➢ ما روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لصاحب القرآن عند كل ختمة دعوة مستجابة، وشجرة في الجنة لو أن غراباً طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه الهرم"، قال عنه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزياداته برقم [١٩١٦]: موضوع؛ كما أورده ابن الجوزي في الموضوعات في "العلل المتناهية في الأحاديث الواهية" ج١/ ١٠٨.

➢وفي رواية عن أنس يرفعه: "عند كل ختمة دعوة مستجابة"، قال عنه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم [٣٨٢٣]: موضوع.

وعن ابن عباس يرفعه: "من قرأ القرآن حتى ختمه كانت له دعوة مستجابة، معجلة أومؤخرة"، وهو حديث واهٍ وعلته حفص بن عمر بن حكيم الملقب بالكفر كما جاء في "الميزان" ج١/٥٦٣، و"لسان الميزان" ج٢/٣٢٥-٣٢٦.

وعن العرباض بن سارية يرفعه: "من ختم القرآن فله دعوة مستجابة"، رواه الطبراني في الكبير وهو ضعيف جداً.

قنوت رمضان ودعاء ختم القرآن

سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : ما حكم دعاء ختم القرآن في قيام الليل في شهر رمضان ؟

فأجاب :

"لا أعلم في ختمة القرآن في قيام الليل في شهر رمضان سنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن الصحابة أيضا ، وغاية ما ورد في ذلك أن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا . وهذا في غير الصلاة " انتهى .

"فتاوى أركان الإسلام" (ص ٣٥٤)

[*] وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – عن حكم دعاء ختم القرآن، نذكر لك فيما يلي نص السؤال والإجابة:

السؤال : ما حكم دعاء ختم القرآن ؟

الجواب

: لم يزل السلف يختمون القرآن، ويقرؤون دعاء الختمة في صلاة رمضان، ولا نعلم في هذا نزاعاً بينهم فالأقرب في مثل هذا أنه يقرأ، لكن لا يطول على الناس، ويتحرى الدعوات المفيدة والجامعة، مثل ما قالت عائشة – رضي الله عنها – ": كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك" أخرجه أحمد (٢٥١٥١)، وأبو داود (١٤٨٢).

فالأفضل للإمام في دعاء ختم القرآن والقنوت تحري الكلمات الجامعة وعدم التطويل على الناس يقرأ: (اللهم اهدنا فيمن هديت) الذي ورد في حديث الحسن بن علي – رضي الله عنهما – في القنوت انظر سنن أبي داود (١٤٢٥)، وجامع الترمذي (٤٦٤). ويزيد معه ما يتيسر من الدعوات الطيبة كما زاد عمر، ولا يتكلف، ولا يطول على الناس، ولا يشق عليهم.

وهكذا في دعاء ختم القرآن يدعو بما يتيسر من الدعوات الجامعة، يبدأ ذلك بحمد الله والصلاة على نبيه – عليه الصلاة والسلام –، ويختم فيما يتيسر من صلاة الليل أو في الوتر ولا يطول على الناس تطويلاً يضرهم ويشق عليهم، وهذا معروف عن السلف تلقاه الخلف

عن السلف، وهكذا كان مشايخنا مع تحريهم للسنة وعنايتهم بها يفعلون ذلك، تلقاه آخرهم عن أولهم، ولا يخفى على أئمة الدعوة ممن يتحرى السنة ويحرص عليها، فالحاصل أن هذا لا بأس به – إن شاء الله – ولا حرج فيه، بل هو مستحب لما فيه من تحري إجابة الدعاء بعد تلاوة كتاب الله – عز وجل –، وكان أنس – رضي الله عنه– إذا أكمل القرآن جمع أهله ودعا في خارج الصلاة انظر مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠٢٩) فهكذا في الصلاة، فالباب واحد؛ لأن الدعاء مشروع في الصلاة وخارجها وجنس الدعاء مما يشرع في الصلاة فليس بمستنكر.

ومعلوم أن الدعاء في الصلاة مطلوب عند قراءة آية العذاب وعند آية الرحمة يدعو الإنسان عندها كما فعل النبي – عليه الصلاة والسلام – في صلاة الليل، فهذا مثل ذلك مشروع بعد ختم القرآن، وإنما الكلام إذا كان في داخل الصلاة، أما في خارج الصلاة فلا أعلم نزاعاً في أنه مستحب الدعاء بعد ختم القرآن، لكن في الصلاة هو الذي حصل فيه الإثارة الآن والبحث، فلا أعلم عن السلف أن أحداً أنكر هذا في داخل الصلاة كما أني لا أعلم أحداً أنكره خارج الصلاة هذا هو الذي يعتمد عليه في أنه أمر معلوم عند السلف قد درج عليه أولهم وآخرهم، فمن قال: إنه منكر فعليه الدليل، وليس على من فعل ما فعله السلف، وإنما إقامة الدليل على من أنكره، وقال: إنه منكر، أو إنه بدعة، هذا ما درج عليه سلف الأمة وساروا عليه وتلقاه خلفهم عن سلفهم، وفيهم العلماء والأخيار والمحدثون، وجنس الدعاء في الصلاة معروف من النبي – عليه الصلاة والسلام– في صلاة الليل، فينبغي أن يكون هذا من جنس ذاك.

[مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، تأليف الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله –، الجزء ١١، ص ٣٥٤ .

بدعة الإطالة في دعاء القنوت

[*] ذكر الشيخ الألباني في رسالة "قيام رمضان ص٣١" أنه لا بأس من جعل القنوت بعد الركوع ومن الزيادة عليه بلعن الكفرة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء

للمسلمين في النصف الثاني من رمضان لثبوت ذلك عن الأئمة في عهد عمر رضي الله عنه") فأين هذا من دعاء الأئمة في هذا الزمان، فقد غيروا وبدلوا، وزادوا وأضافوا، وأطالوا وأطنبوا من غير إذن من الله ولا سلطان من الشرع، فكيف سوغوا لأنفسهم ذلك؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على البراء بن عازب (رضي الله عنه) حينما استبدل كلمة (رسولك) بـــ (نبيك) في دعاء النوم مع أن كلمة الرسول أوسع وأشمل. من أوجه المخالفة التغني به كالقرآن .

(حديث البراء في الصحيحين) قال ، قال لي رسول الله ﷺ إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوئك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك و فوضت أمري إليك و ألجأت ظهري إليك رغبة و رهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت و بنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة و اجعلهن آخر ما تتكلم به قال: فرددتها على النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ، قلت: ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت .

➢التطويل في الدعاء من الاعتداء :

وقال الشيخ : محمد عيد عباسي ــ حفظه الله ــ:

شاعت في كثير من المساجد منذ سنوات معدودات في صيام وقيام شهر رمضان بعض الظواهر الجديدة التي لم تكن من قبل (فيما أعلم) وأهمها إطالة دعاء القنوت إطالة مملة، والزيادة في ألفاظه على ما ورد في السنة زيادة مفرطة، وتبلغ هذه الإطالة وتلك الزيادة ذروتها ليلة السابع والعشرين حيث يكون بعض الأئمة النشيطين قد أتموا قراءة القرآن كله في الأيام السابقة وينهون ختمته في هذه الليلة، فيتوجونها بدعاء طويل عريض في صلاة الوتر في هذه الليلة.

إن الدعاء الحالي يطيلون فيه إطالة تتعب المصلين وتجهدهم وتدخل الملل إلى نفوسهم، يكون من الاعتداء في الدعاء المنهي عنه والذي هو من الأمور المنكرة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: "بأنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء"

(حديث عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قـــال : إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور و الدعاء .

ومن ناحية أخرى فإطالة دعاء القنوت مما يشق على الناس ويوقعهم في الحرج،

(حديث أبي مسعودٍ الأنصاري في الصحيحين) قال ،قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوّل بنا فلان فما رأيت رسول الله أشد غضباً من يومئذٍ فقال يا أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال: إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير وإذا صلى لنفسه فليطوّل ما شاء.

(حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن معاذ بن جبل كان يصلي مع رسول الله ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه ، فصلى العشاء فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكأن معاذاً تناول منه فبلغ ا لنبي ﷺ فقال : (فتانٌ فتانٌ فتانٌ) أو قال(فاتناً فاتناً فاتناً) وأمر بسورتين من أوسط المفصل .

فهذه الإطالة غير معهودة في الشرع ومخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ويكفي لبيان ذلك أن نتذكر حديث عائشة رضي الله عنها الآتي :

(حديث عائشة الثابت في صحيح الترمذي) قالت : (قُلْتُ يا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أيّ لَيْلَةٍ لَيْلَةِ القَدْرِ مَاذا أقُولُ فِيهَا؟ قالَ: قُولِي اللّهُمّ إِنّكَ عَفُوّ تُحِبُ العَفْوَ فاعْفُ عَنّي)

فهذا كل ما علَّم النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أحب الناس إليه قاطبة إذا علمت يقيناً متى ليلة القدر، كلمات معدودات قليلات لا يتجاوز الدعاء بها لو كررت عشر مرات دقيقة واحدة.

وانظر إلى دعاء أيوب عليه السلام :

وكذلك في دعاء أيوب عليه السلام : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٣] فما ألطف هذا الدعاء، وما أرقه، وما أخشعه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع أن الجمل قليلة !!

ولكن القلوب إذا دعت الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن صدق، وإخلاص، وإن قَلَّتْ العبارات، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستجيب لأولئك : ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾[الأنبياء:٨٤] وهكذا غيرهم.

فأين هذا مما اصطنعوه من الدعاء المملوء بالمترادفات التي لها من الصنعة البلاغية والبيانية نصيب كبير؟

وهنا نذكر كلمة للإمام ابن حجر حُقَّ لها أن تكتب بماء الذهب وأن تُنْقَش على الصدور :

﴿ اتباع السنة أولى من كثرة العمل ﴾

[*] وما أحسن ما روي عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى حيث سأله أحد أصحابه عن المغبِّرة هل يجلس معهم؟ وهم قوم يجلسون مجالس يذكرون الله تعالى وينشدون بعض الأناشيد التي ترقق القلوب وتهيج النفوس وتحدث فيها الخشوع، ويضربون بعصي معهم الأرض إذا انشدوا، فيثيرون الغبار، فسموا بذلك، فأمره أن يدعوهم، ويجلسه وراء ستارة ليطلع على ما يجري في مجلسهم، فلما انتهى المجلس وانصرفوا دخل تلميذ الإمام عليه، فوجده يبكي متأثراً من ذكرهم وأناشيدهم، فسأله عن رأيه، فقال له: يا بني لا تحضر معهم، فإن هذا لم يكن عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان .

[*] قال الشيخ الألباني حفظه الله معلقاً على ذلك:

وهذا غاية الاتباع للسنة وهدي السلف. وفقنا الله إلى اتباع سنته والاهتداء بهديه .

حكم التجمع لقراءة القرآن والدعاء

مسألة : ما حكم الاجتماع لتلاوة القرآن ، بأن يأخذ كل من الحاضرين جزءا من القرآن في نفس الوقت حتى يتم كل واحد الجزء الذي معهثم الدعاء بعده ؟

حكم الاجتماع لتلاوة القرآن ، بأن يأخذ كل من الحاضرين جزءا من القرآن في نفس الوقت حتى يتم كل واحد الجزء الذي معه .

فالجواب عن هذا ما جاء في فتوى للجنة الدائمة (٢/٤٨٠) ، ونصه :

أولا : الاجتماع لتلاوة القرآن ودراسته بأن يقرأ أحدهم ويستمع الباقون ويتدارسوا ما قرؤوه ويتفهموا معانيه مشروع وقربة يحبها الله , ويجزي عليها الجزاء الجزيل ، فقد روى مسلم في صحيحه وأبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)

والدعاء بعد ختم القرآن مشروع أيضاً إلا أنه لا يداوم عليه ولا يلتزم فيه صيغة معينة كأنه سنة متبعة ، لأن ذلك لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما فعله بعض الصحابة رضي الله عنهم .

وكذا دعوة من حضر القراءة إلى طعام لا بأس بها ما دامت لا تتخذ عادة بعد القراءة .

ثانياً : توزيع أجزاء من القرآن على من حضروا الاجتماع ليقرأ كل منهم لنفسه حزباً من القرآن لا يعتبر ذلك ختماً للقرآن من كل واحد منهم بالضرورة .

وقصدهم القراءة للتبرك فقط فيه قصور فإن القراءة يقصد بها القربة وتحفظ القرآن وتدبره وفهم أحكامه والاعتبار به ونيل الأجر والثواب وتدريب اللسان على تلاوته ....إلى غير ذلك من الفوائد ، وبالله التوفيق) ا.هـ

مسألة : هل الطريقة السابقة لها أثر في إجابة الدعاء ؟

اعتقاد أن هذا الفعل (الاجتماع على تلاوة القرآن حسب الطريقة المذكورة) له أثر في إجابة الدعاء ، وهذا لا يعلم عليه دليل ، فهو غير مشروع ، ولإجابة الدعاء أسباب كثيرة معلومة ، كما أن لمنع الإجابة موانع معروفة ، فالواجب على الداعي أن يأتي بأسباب الإجابة ويجتنب موانعها , ويحسن الظن بربه ، والله عند ظن عبده به .

أسباب إجابة الدعاء

لإجابة الدعاء أسباب عديدة، وهاك أسباب إجابة الدعاء جملةً وتفصيلا :

[*]⮘أولاً أسباب إجابة الدعاء جملةً :

(١) الإخلاص لله تعالى حال الدعاء :

(٢) قوة الرجاء، وشدة التحري في انتظار الفرج :

(٣) التوبة من المعاصي :

(٤) السلامة من الغفلة :

(٥) اغتنام الفرص :

(٦) كثرة الأعمال الصالحة :

(٧) التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض :

(٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

(٩) بر الوالدين :

(١٠) الصبر وعدم الاستعجال :

(١١) أن يتحرى الحلال في مطعمه :

(١٢) حسن الظن بالله تعالى :

(١٣) حضور القلب :

(١٤) اليقين والثقة بالله تعالى :

[*]ثانيا أسباب إجابة الدعاء تفصيلا :

(١) الإخلاص لله تعالى حال الدعاء :

فهو السبب الأعظم لإجابة الدعاء ، فكلما اشتد الإخلاص وقوي كلما كانت الإجابة أولى وأحرى ، ولا أدل على ذلك من دعاء نبي الله ذي النون _ عليه السلام _ وهو في بطن الحوت، ودعاء أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة .

[*] قال ابن عقيل :

يقال: لا يستجاب الدعاء بسرعة إلا لمخلص أو مظلوم .[١٠٣]

فالإخلاص هو الذي تدور عليه دوائر الإجابة.

قال تعالى: (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) [الأعراف / ٢٩]

فمن دعا ربه غير مخلص له فهو حقيق بأن لا يجاب إلا أن يتفضل الله عليه وهو ذو الفضل العظيم .

والإخلاص فيه ألا يدعو إلا الله سبحانه، فإن الدعاء عبادة من العبادات، بل هو من أشرف الطاعات وأفضلِ القربات ، ولا يقبل الله من ذلك إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، قال الله تعالى: (وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَداً)

[الجن /١٨]

(١٠٣) كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلي ٢/٧٥٠.

، وقال تعالى: (فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ) [غافر /١٤] ، و عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: ((إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله)) [١٠٤].

[*] قال ابن رجب:

"هذا منزع من قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة /٥]

، فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة".

وقال: "واعلم أن سؤال الله عز وجل دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسئول على رفع هذا الضر ونيل المطلوب، وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذل والافتقار إلا لله وحده لأنه حقيقة العبادة" [١٠٥].

﴿تنبيه﴾ :➢ إن الدعاء حال الإخلاص أبلغُ في حصول المقصود ، وأقرب إلى انكسار القلب ، وصدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى . لذا كانت دعوة المضطر مستجابَة :

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل /٦٢].

(٢) قوة الرجاء، وشدة التحري في انتظار الفرج :

فكلما قوي الرجاء، واشتدت الحاجة، وتطلعت النفوس للإجابة، وبلغ بها انتظار الفرج ذروته كلما جاء الفرج، وأقبل اليسر، وزالتالغموم، وانجابت الهموم؛ فإن مع العسر يسرًا، وإن مع الشدة فرجًا.

فهذا نبي الله يعقوب _ عليه السلام _ قال أول ما صنع أبناؤه بأخيهم يوسف _ عليه السلام _ ما صنعوا: (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) [يوسف / ١٨]

➢وعندما فقد بنيامين أخا يوسف ، وفقد ابنه الأكبر الذي قال

(فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) [يوسف / ٨٠]

قال:[بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) [يوسف / ٨٣]

---

[١٠٤] رواه أحمد (١/٢٩٣، ٣٠٧)، والترمذي (٢٥١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٧) .

[١٠٥] – جامع العلوم والحكم (ص١٨٠، ١٨١)

➢وعندما اشتد به البلاء، وبلغ به الكرب المنتهى، وعوتب على تذكر يوسف _ عليه السلام _ وطُلِبَ منه أن يسلو عنه، ويترك ما هو فيه _ قال: (إِنّمَآ أَشْكُو بَثّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)

[يوسف / ٨٦]

➢وعندما عظم بلاؤه، واشتد رجاؤه قال:

(يَبَنِيّ اذْهَبُواْ فَتَحَسّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رّوْحِ اللّهِ إِنّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رّوْحِ اللّهِ إِلاّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) [يوسف / ٨٧]

فماذا كانت النتيجة؟

لقد أجاب الله دعاء عبده، وكان عند حسن ظنه به؛ فلقد عجل فرجه، ونفس كربته، وأفرح قلبه، وجمعه بأحبته، وفلذات كبده، هذا في الدنيا، وإن له في الآخرة للحسنى .

[*] قال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي معلقاً على تلك القصة:

وفي هذا دليل على أن أصفياء الله إذا نزلت بهم الكوارث والمصيبات _ قابلوها في أول الأمر بالصبر، والاستعانة بالمولى، وعندما ينتهي، وتبلغ الشدة منتهاها _ يقابلونها بالصبر، والطمع في الفرج والرجاء، فيوفقهم الله للقيام بعبوديته في الحالتين .

ثم إذا كشف عنهم البلاء قابلوا ذلك بالشكر والثناء على الله، وزيادة المعرفة بلطفه .[١٠٦]

(٣) التوبة من المعاصي :

كما قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبّكُمْ إِنّهُ كَانَ غَفّاراً * يُرْسِلِ السّمَآءَ عَلَيْكُمْ مّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لّكُمْ جَنّاتٍ وَيَجْعَل لّكُمْ أَنْهَاراً) [نوح ١٠: ١٢]

قيل لسفيان: لو دعوت الله؟ قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء .[١٠٧]

أخي : إن أكثر أولئك الذي يشكون من عدم إجابة الدعاء آفتهم المعاصي فهي خلف من كل مصيبة . .

[*] قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح .

[*] قال بعض السلف :

---

(١٠٦) فوائد مستنبطة من قصة يوسف لابن سعدي، ١٤٢/١ من المجموعة الخامسة من مؤلفات ابن سعدي.

(١٠٧) جامع العلوم والحكم ٢٧٦/١.

لا تستبطئ الاجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي .

[*]وذكر الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل رضي الله عنهما في كتاب الزهد لأبيه: أن بني إسرائيل قد أصابهم بلاء، فخرجوا إلى الصعيد يسألون الله جل وعلا، فأوحى الله إلى نبيهم وقال: قل لهم: الآن خرجتم إلى الصعيد بأبدان نجسة -نجستها المعاصي والذنوب- ورفعتم إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء، وملأتم بيوتكم من الحرام، الآن وقد اشتد غضبي عليكم، فلن تزدادوا مني إلا بعداً.

اخي المسلم : ها هي المعاصي قد عمت وتطاير شررها في كل مكان . وقد غفل الغافلون .. وهم في غيهم منهمكون .

ولكن اذا نزلت المصيبة صاروا يجارون بدعاء الله تعالى فما اتعسهم وما اقل نصيبهم من اجابة الدعوات .

اخي المسلم : فالتوبة .... التوبة ..... ولتنظف طريق الدعاء من الأوساخ .

ليجد دعاؤك طريقه الى الاستجابة ... والا كيف ترجو اخي الاجابة اذا كنت ممن يبارز ربه تعالى في ليلك ونهارك ؟

أخي : إن مثل العاصي في دعائه كمثل رجل حارب ملكا من ملوك الدنيا ونابذه العداوة زمنا طويلا ، وجاءه مرة يطلب إحسانه ومعروفة . فما ظنك أخي بهذا الرجل ؟ اتراه يُدرك مطلوبه ؟ كلا فانه لن يدرك مطلوبه الا اذا صفا الود بينه وبين ذلك الملك .

فذاك أخي مثل العاصي الذي يبيت ويصبح وهو في معصية الله ، ثم اذا وقعت به شده يرجو من الله ان يجيب دعاءه . فاحذر اخي عاقبة المعاصي ... فانك لن تسعين على إدراك الدعاء المستجاب بشيء أقوى من ترك المعاصي .. فترك المعاصي مفتاح لباب الدعاء المستجاب ..

أعانني الله وإياك لطاعته ...و عصمني وإياك من معاصية ومساخطه ...

﴿تنبيه﴾ :⮜ قد يكون العبد مثقلاً بالذنوب والمعاصي ، فيرى أنه من العار عليه ، ومن التعدي على ربه أن يدعوه ، وهذا خطأ محض ، فأكثر العباد افتقاراً إلى الله تعالى أهل الذنوب والمعاصي ، هم أكثر من يحتاج إلى اللجوء إلى الله عز وجل بأن ينقذهم منها قبل أن يموتوا على فعلها فتكون الخاتمة سيئة والعاقبة وخيمة .

فقد يأتي الشيطان إلى العبد ويسول له ويلقي في روعه أنه مثقل بالذنوب ، وأن نفسه أحقر من أن يسأل الله تعالى أن يثبته ويعصمه من ذلك ، وهذا تلبيس من إبليس ، يريد به القضاء

على العبد وأن يغرقه في لجج المعاصي والآثام ، حتى يلقى الله تعالى وهو مثقل بها ، فمن عرف ذلك فعليه أن يدحر عدوه ويخذله ولا يمكنه من نفسه ، بل عليه أن يجد في الدعاء ويكثر منه ، ولا تثنيه معاصيه وذنوبه عن الدعاء والإلحاح إلى الله عز وجل في ذلك ، يقول

[*] سفيان بن عيينة رحمه الله :

" لا يمنعن أحداً من الدعاء ما لم يعلم في نفسه ــ يعني من التقصير ــ فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال : " رب أنظرني إلى يوم يبعثون " ، ولهذا جاء في الحديث القدسي:" أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا دعاني " [أخرجه مسلم] .

(٤) السلامة من الغفلة :

وذلك بحضور القلب وخشوعه، واستحضاره لمعاني الدعاء، فذلك من أعظم أسباب الإجابة.

أما استيلاء الغفلة، واستحكام الشهوة فمن أعظم موانع الإجابة.

[*] قال يحيى بن معاذ :

من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يردَّه .(١٠٨)

[*] قال ابن القيم تعليقًا على ذلك:

قلت: إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه _ لا يكاد يرد دعاؤه (١٠٩).

(٥) اغتنام الفرص :

وذلك بتحري أوقات الإجابة، والمبادرة لاغتنام الأحوال، والأوضاع، والأماكن التي هي مظان إجابة الدعاء .

(٦) كثرة الأعمال الصالحة :

فالأعمال الصالحة سبب عظيم لرفع الدعاء وتقبله؛ فالدعاء من الكلمِ الطيب، والكلمُ الطيب يصعد إلى الله، ويحتاج إلى عمل صالح يرفعه.

قال تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطّيّبُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر / ١٠]

وكما في قصة أصحاب الغار؛ فإن أعمالهم الصالحة شفعت لهم، وكانت سببًا في إجابة دعائهم

(١٠٨)،(٤) الفوائد لابن القيم ص٧٣.

.

[*] قال وهب بن منبه :

مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر.

وعنه قال: العمل الصالح يبلغ الدعاء، ثم تلا قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر / ١٠]

(٧) التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدي بشيءٍ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليِّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته .

(٨) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

فهذا من أعظم أسباب إجابة الدعاء؛ لأنه من أعظم الأعمال الصالحة، ولأن تركه موجب لرد الدعاء وعدم الإجابة.

(حديث حذيفة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : لتأمُرنّ بالمعروف و لتنهَوْنَّ عن المنكر أو يبعث الله عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لهم .

[*] قال أهل العلم:

"لذا يمكن الجزم بأن ترك القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مانع من موانع إجابة الدعاء، فعلى كل مسلم يرغب بصدق أن يكون مستجاب الدعوة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب طاقته وجهده" [١١٠].

(٩) بر الوالدين :

وقد مر بنا قصة أصحاب الغار وأن فيهم رجلاً كان باراًّ بوالديه، وكذلك دعاء الولد البار لوالديه .

هذه بعض أسباب إجابة الدعاء، وبالجملة فالإتيان بشرائط الدعاء، وآدابه، وتجنب ما يخالف

---

١١٠ – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لصالح الدرويش (ص ٣٤).

ذلك كفيل _ بإذن الله _ بإجابة الدعاء.

وكذلك عكس هذه الأمور يعد من أسباب رد الدعاء؛ فاستبطاء الإجابة، وأكل الحرام، والاعتداء في الدعاء، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكثرة الذنوب والمعاصي وغيرها _ كل ذلك من موانع إجابة الدعاء.

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والأدعية والتعويذات بمنزلة السلاح، والسلاحُ بضاربه، لا بحَدِّه فقط؛ فمتى كان السلاح سلاحًا تامًّا لا آفة به، والساعد ساعدًا قويًّا، والمانع مفقودًا _ حصلت النكاية في العدو.

ومتى تخلَّف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير.

فإن كان في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمَّ مانعٌ من الإجابة _ لم يحصل الأثر.(١١١)

(١٠) الصبر وعدم الاستعجال :

فلا ينبغي للعبد أن يستعجل الإجابة إذا دعا، وألا يستبطئ الإجابة إذا تأخرت؛ فإن الاستعجال من الآفات التي تمنع أثر الدعاء.

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : يستجاب أحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يُستَجِبْ لي .

[*] قال ابن حجر رحمه الله تعالى : "وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار" ١١٢-

[*] وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

"ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء أن يتعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذراً أو غرس غرساً فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله" ١١٣.

ومعنى يستحسر: ينقطع.

فلا تستبطئ الإجابة وألِحَّ على الله في المسألة، فالنبي ﷺ مكث يدعو على رعل وذكوان شهراً، وربك حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يده إليه، أن يردها صفراً، فادع وَرَبُّكَ

(١١١) الجواب الكافي ص١٤.

١١٢ – الفتح (١٤١/١١)

١١٣ – الجواب الكافي (ص ١٠)

ٱلْأَكْرَم، وألق نفسك بين يديه، وسلّم الأمر كله إليه، واعزم المسألة، وأعظم الرغبة فما ردَّ سائله، ولا خاب طالبه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالخلق لم تسدَّ فاقته، ومن أنزلها بالرب فنِعْم الرزاق هو ، فلازم الطلب فالمعطي كريم، والكاشف قدير، ولا تستعجل الإجابة إذا دعوت، ولا تستبطئها إذا تأخَّرت، ومن يُكثر قرع الأبواب يوشك أن يفتح له .

ولله درٌّ من قال :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
إن الأمور إذا انسددت مسالكها ... فالصبر يفتح منا كل ما ارتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

[*] قال ابن القيم رحمه الله:

"قلت: إذا اجتمع عليه قلبه وصدقت ضرورته وفاقته وقوي رجاؤه فلا يكاد يرد دعاؤه". وصدق رحمه الله أليس أرحم الراحمين هو القائل: (أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ)[١١٤].

(حديث سلمان في صحيح أبي داوود والترمذي) أن النبي ﷺ قال إن ربكم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا .

الله أكبر، فما نعدم والله خيراً من رب حيي كريم بل الخير كل بيديه لا تأتي ذرة من الخير فما فوقها إلا بإذنه وفضله وعلمه، وهو الذي بيده خزائن السماوات والأرض فسبحان من عظم جوده وكرمه أن يحيط به الخلائق، فارفع يديك يا عبد الله آناء الليل وأطراف النهار، والزم قرع باب الملك الوهاب، فما خاب والله من أمله، وما خاب من أنزل به حوائجه وصدق في الطلب وألح في السؤال، وتمسكن بين يديه وأظهر فقرك وحاجتك إلى ربك، فباب الذل والانكسار أوسع الأبواب، ولا مزاحم فيه وهو ثمرة العبودية، فلله ما أحلى قول العبد وهو يناجي سيده بذل وانكسار وحاجة وفقر: اللهم إني أسألك بعزك وذلي إليك إلا رحمتني، يا من لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، هذه ناصيتي الخاطئة الكاذبة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، أدعوك دعاء الخائف الضرير، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، أدعوك دعاء من ذلت لك رقبته ورغم لك أنفه وفاضت لك عيناه، اللهم ارحم من لا راحم له

---

[١١٤] – النمل:٦٢

سواك، ولا مؤوي له سواك، ولا مغيث له سواك، فما الظن يا عباد الله بمن هو أرحم بعبـــاده من الوالدة بولدها.

إذا انكسر العبد بين يديه وبكى وتذلل وأشهد الله فقره إلى ربه في كل ذراته الظاهرة والباطنة عندها فليبشر بنفحات ونفحات من فضل الله ورحمته وجوده وكرمه

أخي : أفهم هذا جيدا فانه سر من اسرار الدعاء المستجاب جهله الكثيرون .. فتنبه ولا تكـن من الغافلين .

[*] قال مُورِّقٌ العجلي : ((ما امتلأت غضباً قط ، ولقد سألت الله حاجة منذ عشرين سنة فما شفعني فيها وما سئمت من الدعاء)) [نزهة الفضلاء ص ٣٩٨] .

(١١) أن يتحرى الحلال في مطعمه :

من أسباب إجابة الدعاء : أن يكون الداعي ممن يحرصون على اللقمة الحلال : فـلا يـدخل بطنه حراما ....

وإذا اتصف العبد بذلك لمس اثر الإجابة في دعائة ووجد آثارا طيبة لذلك ...

أخي : لقد عم البلاء بأكل الحرام أو المشتبه في حله .

فكان ذلك سببا في عدم إجابة دعاء الكثيرين ...... فيا غافلين عن أسباب إجابة الدعاء تنبهوا إلى ما يدخل جيوبكم من المال .. وتنبهوا الى ما يدخل بطونكم من الطعام .....

ولا يقولن أحدكم : دعوت ولم أر إجابة للدعاء ! وهو قد ملا يده وبطنه من الحرام !!

[*] قال بعض السلف : لا تستبطئ الإجابة، وقد سَددْتَ طُرقَها بالمعاصي. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

"نحن ندعو الإلهَ في كل كرب ثم ننساهُ عند كشف الكروب

كيــف نــرجو إجابــةً لدعاء قــد سددنا طريقَها بالذنوب ؟

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فقال تعالى(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك .

الشاهد : قولهﷺ (فأنى يستجاب لذلك) وهو استفهام واقع على وجه التعجب والاستبعاد. أي كيف يدعو هذا الآكل للحرام وينتظر الإجابة مع تيقنه من سوء فعاله، نسأل الله أن يطعمنا الحلال ويجنبنا مهاوي الضلال إنه ولى ذلك والقادر عليه .

[*] قال سهل بن عبد الله (رحمة الله) : من أكل العبد يحبس عن السماوات بسوء المطعم !

[*] وقال الإمام ابن رجب (رحمة الله) :

فأكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لإجابة الدعاء ...

أخي المسلم : ولك في سلفك الصالح ــ رضي الله عنهم ــ قدوة صالحة ...

فهذا سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) اشتهر بإجابة الدعاء ... فكان إذا دعا ارتفع دعاؤه واخترق الحجب فلا يرجع إلا بتحقيق المطلوب ! .

فكان رضي الله عنه مثالا حيا لمن أراد ان يعرف طريق إجابة الدعاء ... وها هو رضي الله عنه يسأله بعضهم تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من اين مجيئها ؟ ! ومن أين خرجت .

أخي ذاك هو سر استجابة دعاء سعد بن أبى وقاص ــ رضي الله عنه ــ اللقمة الطيبة الحلال

أخي : فلنحاسب نفسك في أكلها وشربها وملبسها من أين هذا ؟ وكيف جاء ؟

فإذا كان حلالا ... فكل وأنت معافى .. وادع الله تعالى رازقك .... فأنت يومها القريب من طريق الإجابة ؟ .

(١٢) حسن الظن بالله تعالى :

والله تعالى يعطي عبده على قدر ظنه به ؛ فإن ظن أن ربه غني كريم جواد ، وأيقن بأنه تعالى لا يخيب من دعاه ورجاه ، مع التزامه بآداب الدعاء أعطاء الله تعالى كل ما سأل وزيادة ، ومن ظن بالله غير ذلك فبئس ما ظن .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملٍ خيرٌ منهم ، وإن تقَّرب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إليَّ ذراعا تقربت إليه باعا و إن أتاني مشيا أتيته هَرْوَلَةً .

[*] قال الشوكاني:

"فيه ترغيب من الله لعباده بتحسين ظنونهم، وأنه يعاملهم على حسبها؛ فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميع تفضلاته، ونثر عليه محاسن كراماته وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى له هكذا" [115]

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه .

(١٣) حضور القلب :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه .

[*] قال النووي:

"واعلم أن مقصود الدعاء هو حضور القلب كما سبق بيانه، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر والعلم به أوضح من أن يذكر"[116]

[*] قال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى[117]، وقد جاء في حديث أبي هريرة عند الإمام الترمذي: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ"[118]. وقد أمر الله تعالى بحضور القلب والخشوع في الذكر والدعاء، فقال سبحانه: {وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف /٢٠٥]

(١٤) اليقين والثقة بالله تعالى :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه .

فلابد أن يكون الداعي على يقين وثقة بالله جل وعلا لقوله ﷺ ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة يا له من دواء، وكم استمعت إلى شكاوى كثير من المسلمين، يشتكون من طول الدعاء وما ذاك إلا لأن قلوبهم لاهية؛ لأن قلوبهم قد انشغلت وهامت في كل وادٍ، ما تحرك قلبه وما خشع قلبه، وما اقشعر جلده، وما دمعت عينه، وما أحس باللذة في مناجاته لله جل

---

[115] – تحفة الذاكرين (ص١٢).

[116] – الأذكار (ص٣٥٦).

(117) جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٣.

(118) الترمذي برقم ٣٤٧٩، وله شاهد عند أحمد ٢/١٧٧ من حديث عبد الله بن عمر ولكنه من طريق ابن لهيعة، والحديث حسنه الألباني في الأحاديث الصحيحة برقم ٥٩٤، وفي صحيح سنن الترمذي برقم ٢٧٦٦.

وعلا، فلو استمع إلى خمس دعوات أو عشر دعوات لأحس بالملل والضجر والطول، لماذا؟ لأنه والله لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من مناجاة ربنا جل وعلا، كيف وأنت تناجي القوي العزيز الكريم: (والله لا يقبل دعاء من قلب غافلٍ لاه).

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الجواب الكافي :

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به والساعد ساعد قوي والمانع مفقود حصلت به النكاية في العدو ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير فإن كان الدعاء في نفسه أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع من الإجابة لم يحصل الأثر .

وقال أيضاَ رحمه الله تعالى :

وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتا من أوقات الإجابة الستة وهي الثلث الأخير من الليل وعند الأذان وبين الأذان والإقامة وأدبار الصلوات المكتوبات وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم وصادف خشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلاله وتضرعا ورقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله تعالى وبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة فان هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها مظنة الإجابة أو أنها متضمنة للاسم الأعظم فمنها ما يلي :

(حديث أنس في صحيح السنن الأربعة) قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول :اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(حديث بريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

[*]➢الدعاء الذي لا يكاد يرد ابدا :

[*]قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى:

إذا جمع الداعي مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهي:-الثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبة ،وعند صعود الإمام المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ،وآخر ساعة بعد عصر يوم الجمعة أيضاً)وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب وذلاً وتضرعاً ورِقة واستقبل الداعي القبلة وكان على طهارة

ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه وثنى بالصلاة على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله وألحّ عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة؛ فإن هذا الدعاء لا يكاد يُرد أبداً ..

ولا سيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها مظنة الإجابة أو متضمنة للاسم الأعظم (وهو:-الحي القيوم ،وقيل :- الله ، قال ابن حجر وأرجحها من حيث السند :"الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفُواً أحد ."

الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي

مسألة في إجابة الدعاء من عدمها

➢مما ينبغي أن يُعلم أن استجابة الدعاء _ في الأصل _ دليل على صلاح المرء، وتقواه .

[*] قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:

أنا لا أحمل همَّ الإجابة ولكن أحمل همَّ الدعاء ، فإذا ألهمت الدعاء فإن معه الإجابة .

والمعنى : لا يهمني الإجابة، ما أهتم الإجابة-؛ ولكن أحمل همّ الدعاء، فإذا وُفقت للدعاء جاءت الإجابة. وهذا من عظيم فقه الصحابة رضوان الله عليهم .

فكن في دعائك راجياً عفو ربك ، طالباً مغفرته ، راغباً في جنته ونعيمه ، طامعاً في عطائه وغناه فهو سبحانه يستحي أن يرد عبده خائباً إذا سأله .

ولكنها لا تدل أحيانًا على ذلك ؛ فقد تكون استدراجًا، أو لحكمة كما قال تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنّ مَالاً وَوَلَداً * أَطّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتّخَذَ عِندَ الرّحْمَـَنِ عَهْداً * قال تعالى: (كَلاّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً)

[مريم ٧٧: ٨٠]

وَمِنْ قَبْلُ استجاب الله تعالى دعاء الشيطان .

قال تعالى: (قَالَ رَبّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىَ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) [الحجر ٣٦: ٣٨]

فكونه _ عز وجل _ أجاب إبليس سؤله، وأنظره إلى يوم القيامة _ ليس ذلك إكرامًا لإبليس، بل إهانة له؛ ليزداد إثمًا فتعظم عقوبته، ويتضاعف شقاؤه وعذابه، إضافة إلى ذلك فإن الله _ عز وجل _ جعله مَحكًا يتميز به الخبيث من الطيب، وما دام أن الخلق مستمر إلى يوم القيامة _ فإن هذا يقتضي بقاءه ببقاء خلق البشر والله أعلم.(١١٩)

كذلك عدم استجابة الدعاء لا تدل على فساد الداعي في كل الأحوال ؛ فهناك سؤال منعه الله نبينا محمدًا"قال _ عليه الصلاة والسلام _:=سألت ربي ثلاثًا فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنَّة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها .(١٢٠)

فالله _ عز وجل _ منع نبيه محمدًا"الدعوة الثالثة، وليس ذلك دليلاً على أن الرسول"لا مكانة له عند ربه، أو أنه غير مستجاب الدعوة، بل هو سيد البشر، ودعاؤه مستجاب، ولكن الله _ عز وجل _ منعه تلك الدعوة لحكم عظيمة؛ منها أن يُعْلَمَ أن الرسول"بشر، ليس له من الأمر شيء، وأن الأمر كله لله، بيده الضر والنفع، والعطاء والنفع .

ومنها أن هذه الأمة تعصي، والله _ عز وجل _ يقول: (لّيْسَ بِأَمَانِيّكُمْ وَلآ أَمَانِيّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوَءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً) [النساء / ١٢٣]

فإذا عصيت عوقبت؛ لتؤوب إلى رشدها، وتنيب إلى ربها، فتستقيم أحوالها، وتصلح

---

(١١٩) انظر: شفاء العليل لابن القيم، ص٣٦٤_٤١٢ و ٤٤٥_٤٦٠، وطريق الهجرتين لابن القيم، ص١٨١_١٨٣، ومقدمة مفتاح دار السعادة، ص٣ فما بعدها، والفوائد لابن القيم، ص١٣٦_١٤٠، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص٢٥٢_٢٥٦، والذكر والدعاء للقحطاني، ص١١٩_١٢١.

(١٢٠) رواه مسلم(٢٨٩٠) الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

أمورها، فتسعد، وتفلح .

وهذا من رحمة الله بها؛ إذ يُؤَدِّبها بهذه العقوبات .

ثم إن من رحمته بها أنه _ عز وجل _ لا يعاقبها عقوبة استئصال، بحيث تستأصل جميعها، كما حصل ذلك للأمم السابقة كعاد وثمود.

هذا وستتضح بعض الحكم من تأخر إجابة الدعاء أو عدمها في المبحث التالي زيادة على ما مضى.

موانع إجابة الدعاء

المانع: لغة: الحائل بين الشيئين، واصطلاحاً: ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه وجود، ولا عدم لذاته، عكس الشرط[١٢١].

وكما أن للدعاء مواطن يستجاب فيها فكذلك له موانع تمنع من إجابته ، فيجب على العبد أن يحذرها ويجتنبها حتى يسلم له دعاؤه ، لأن هذه الموانع تقف سداً منيعاً ، وحصناً حصيناً في عدم القبول ، وعدم الإجابة .

[*] قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى :

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ، والسلاح بضاربه ، لا بحده فقط ، فمتى كان السلاح سلاحا تاما لا آفة به ، والساعد ساعد قوي ، والمانع مفقود ، حصلت به النكاية في العدو . ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير .[الداء والدواء ص٣٥]

فيتبين من ذلك أن هناك أحوالا و آدابا و أحكاما يجب توفرها في الدعاء و في الداعي ، و أن هناك موانع و حواجب تحجب وصول الدعاء و استجابته يجب انتفاؤها عن الداعي و عن الدعاء ، فمتى تحقق ذلك تحققت الإجابة .

[*]➢وهاك موانع الدعاء جملةً وتفصيلاً :

➢أولاً : موانع الدعاء جملةً :

(١) أكل الحرام :

---

(١٢١) الفوائد الجلية في المباحث الفرضية لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص١٢، وعدة الباحث في أحكام التوارث للشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد ص٧.

(٢) ارتكاب المعاصي والمحرمات:

(٣) ترك الأوامر ، وإهمال الواجبات التي أمر الله بها وأوجبها على عباده :

(٤) استعجال الإجابة :

(٥) ومن موانع الإجابة الدعاء بالإثم وقطع الرحم :

(٦) ومن موانع إجابة الدعاء عدم الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

(٧) وقوع الظلم حتى من الذي يدعو على الظالمين :

➢ثانياً : موانع الدعاء تفصيلاً :

(١) أكل الحرام :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : (إنّ الله طَيّبٌ ولاَ يَقْبَلُ إلاّ طَيّباً، وَإنّ الله أمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أمَرَ بِهِ المُرْسَلِين، قال تعالى:(يَا أَيّهَا الرّسُلُ كُلُوا مِنَ الطّيّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إني بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ)وَقال تعالى : (يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ للّهِ إِن كُنْتُمْ إِيّاهُ تَعْبُدُونَ) ثم ذَكَرَ الرّجُلَ يُطِيلُ السّفَرَ أَشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدّ يَدَيه إلَى السّمَاءِ يارب يارب وَمَطْعَمُهُ حَرَامُ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأنّى يُسْتَجَابُ له.

[*] ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى في معنى هذا الحديث:

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيباً طاهراً من المفسدات كلها: كالرياء، والعجب، ولا من الأموال إلا ما كان طيباً حلالاً، فإن الطيب توصف به الأعمال، والأقوال، والاعتقادات[١٢٢] والمراد بهذا أن الرسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات والابتعاد عن الخبائث والمحرمات، ثم ذكر في آخر الحديث استبعاد قبول الدعاء مع التوسع في المحرمات: أكلاً، وشرباً، ولبساً، وتغذيةً. ولهذا كان الصحابة والصالحون يحرصون أشد الحرص على أن يأكلوا من الحلال ويبتعدوا عن الحرام، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان لأبي بكر غلامٌ يُخرج له الخراجَ وكان أبو بكر يأكل من خراجه[١٢٣]، فجاء يوماً بشيء فأكله أبو بكر فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنتُ لإنسانٍ في الجاهلية وما أُحسِنُ الكِهانةَ إلا أني خَدعتُهُ فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخل أبو بكر

---

(١٢٢) جامع العلوم والحكم ٢٥٩/١.

(١٢٣) أي يأتيه بما يكسبه والخراج ما يقرره السيد على عبده من مال يحضره له من كسبه. الفتح ١٥٤/٧.

يده[١٢٤] فقاءَ كلَّ شيء في بطنه"[١٢٥]. ورُوي في رواية لأبي نُعيم في الحلية وأحمد في الزهد "فقيل له يرحمك الله كلُّ هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلُّ جسد نبت من سُحْتٍ فالنارُ أولى به" فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة[١٢٦].

➢ففي حديث الباب أن هذا الرجل الذي قد توسع في أكل الحرام قد أتى بأربعة أسباب من أسباب الإجابة:

الأول: إطالة السفر،

والثاني: حصول التبذل في اللباس والهيئة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "ربَّ أشْعَثَ[١٢٧] مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره"[١٢٨].

والثالث: يمد يديه إلى السماء "إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين"[١٢٩].

والرابع: الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته وهو من أعظم ما يطلب به إجابة الدعاء ومع ذلك كله قال صلى الله عليه وسلم: "فأنى يستجاب لذلك" وهذا استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد[١٣٠].

وروى عكرمة بن عمار حدثنا الأصفر قال قيل لسعد بن أبي وقاص تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها ومن أين خرجت.

[*] قال عن وهب بن منبه :

من سره أن يستجيب الله دعوته فليطيب طعمته

[*] قال عن سهل بن عبد الله :

من أكل الحلال أربعين صباحا أجيبت دعوته

---

(١٢٤) فأدخل أبو بكر يده: أي أدخلها في حلقه.
(١٢٥) البخاري برقم ٣٨٤٢، مع الفتح ١٤٩/٧.
(١٢٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣١/١، وأحمد في الزهد بمعناه ص١٦٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع عن جابر عند أحمد والدارمي والحاكم. انظر: صحيح الجامع ١٧٢/٤.
(١٢٧) الأشعث: الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل.
(١٢٨) مسلم برقم ٢٦٢٢.
(١٢٩) أبو داود ٧٨/٢ برقم ١٤٨٨، والترمذي ٥٥٧/٥، وابن ماجه ١٢٧١/٢، والبغوي في شرح السنة ١٨٥/٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١٧٩/٣ وصحيح ابن ماجه برقم ٣٨٦٥.
(١٣٠) جامع العلوم والحكم ٢٦٩/١، ٢٧٥ و٢٦٩/١-٢٧٥.

[*] قال عن يوسف بن أسباط :

بلغنا أن دعاء العبد يحبس عن السموات بسوء المطعم .

ويقول ابن رجب في جامع العلوم

(٢) ارتكاب المعاصي والمحرمات:

وهذه من أعظم موانع الدعاء ، وهي من المدلهمات التي ربما لا يفطن لها كثير من الناس ، إذ المعصية سبب لبغض الخالق للمخلوق ، وسفول منزلته عند ربه ، فلا يأبه به ، وربما لا يستجيب له دعوة ، ولا شك أن الغفلة والوقوع في الشهوات المحرمة من أسباب الحرمان من الخيرات. وقد قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ} [الرعد / ١١].

قال الشاعر :

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب

(٣) ترك الأوامر ، وإهمال الواجبات التي أمر الله بها وأوجبها على عباده :

فكم هم الذين أهملوا في ترك الصلاة ، وكم هم الذين باعوا ينهم وعقيدتهم لأعدائهم ، فتقمصوا هيئاتهم ، ولبسوا ثياباً غير ثيابهم ، وكم هي المنكرات التي تعج بها بلاد المسلمين اليوم ولا منكر ولا مستمع إلا ما رحم ربي ، فكل ذلك سبب لعدم قبول الدعاء ،

فترك الواجبات يمنع استجابة دعاء الأخيار وفعل الطاعات يكون موجبا لاستجابة الدعاء ولهذا لما توسل الذين دخلوا الغار وانطبقت الصخرة عليهم بأعمالهم الصالحة التي أخلصوا فيها لله تعالى ودعوا الله بها أجيبت دعوتهم .

(حديث حذيفة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : لتأمُرنّ بالمعروف و لتنهَوْنَّ عن المنكر أو يبعث الله عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لهم .

[*] قال وهب ابن منبه مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر وعنه قال العمل الصالح يبلغ الدعاء ثم تلا قوله تعالى إليه (يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)[١٣١]

[*] قال أبي ذر رضي الله عنه:

---

[١٣١] – فاطر

يكفي مع البر من الدعاء مثل ما يكفي الطعام من الملح وقال محمد بن واسع : يكفي من الدعاء مع الورع اليسير

[*] وقيل لسفيان لو دعوت الله قال إن ترك الذنوب هو الدعاء .

[*] وقال الليث رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا رافعا يديه وهو يسأل الله مجتهدا فقال موسى عليه السلام أي رب عبدك دعاك حتى رحمته وأنت أرحم الراحمين فما صنعت في حاجته فقال يا موسى لو رفع يديه حتى ينقطع ما نظرت في حاجته حتى ينظر في حقي

[*] وقال بعض السلف لا تستبطيء الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي

نحن ندعو الإله في كل كــــرب		ثم ننساه عند كشف الكروب
كيــف نرجــــو إجابة لدعــاء		قد سددنا طريقــها بالذنوب

(٤) استعجال الإجابة :

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : يستجاب أحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت فلم يُستَجِبْ لي .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :لا يزالُ يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعةِ رحمٍ ما لم يستعجل". قيل: يا رسول الله! ما الاستعجال؟ قال: "يقول قد دعوتُ، وقد دعوتُ فلم أرَ يستجيبُ لي فيستحسر(١٣٢) عند ذلك ويدعُ الدعاءَ"(١٣٣).

وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء ، وهو أن يلازم الطلب، ولا ييأس من الإجابة؛ لما في ذلك من الانقياد، والاستسلام، وإظهار الافتقار.(١٣٤)

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن الآفات التي تمنع أثر الدعاء عليه أن يستعجل العبد، ويستبطئ الإجابة، فيستحسر، ويدع الدعاء .

وهو بمنزلة من بذر بذرًا، أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده، ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله .(١٣٥)

---

(١٣٢) ومعنى يستحسر: أي ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالى: {لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ} أي لا ينقطعون عنها. انظر: شرح النووي، والفتح ١١/١٤١.

(١٣٣) مسلم ٤/٢٠٩٦.

(١٣٤) فتح الباري ١١/١٤١.

(١٣٥)الجواب الكافي ص١٠.

فلا تستبطئ الإجابة وألِحَّ على الله في المسألة، فالنبي ﷺ مكث يدعو على رعل وذكوان شهراً، وربك حييّ كريم يستحي من عبده إذا رفع يده إليه، أن يردها صفراً، فادع وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَم، وألق نفسك بين يديه، وسلّم الأمر كله إليه، واعزم المسألة، وأعظم الرغبة فما رَدَّ سائله، ولا خاب طالبه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالخلق لم تسدَّ فاقته، ومن أنزلها بالرب فنِعْم الرزاق هو ، فلازم الطلب فالمعطي كريم، والكاشف قدير، ولا تستعجل الإجابة إذا دعوت، ولا تستبطئها إذا تأخَّرت، ومن يُكثر قرع الأبواب يوشك أن يفتح له .

وهذا موسى عليه السلام وقف داعياً يقول: (رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ) [يونس / ٨٨]

وأخوه هارون عليه السلام يؤمن على الدعاء، فاستجاب الله دعاءهما وقال سبحانه: (قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا) [يونس / ٨٩]

[*] قال العلماء: كان بين الدعاء والإجابة أربعون سنة.

فعلى المؤمن أن يدعو الله، وأن يلح على الله في الدعاء، ولا يعجل في الإجابة، وينتظر الفرج من الله ، واللائق بالعبد أن يلازم الدعاء ويستمر فيه ، ولا ييأس ولا يستعجل ، لأنه لا يدري أين المصلحة ، فقد تكون المصلحة في تأخير إجابة الدعاء ، وقد تكون المصلحة في ادخار الأجر له في الآخرة ، وقد تكون المصلحة في دفع بلاءٍ عنه بقدر دعائه ، فعلى العبد أن لا يسأم من الدعاء ، ولا يكل من ذلك ، وأيضاً يجب عليه ألا يتعجل بل يكل الأمر لله تعالى فهو أرحم بالعبد من نفسه ، فيترك الأمر لله عز وجل العالم بخفايا الأمور ، العالم بحقائقها سبحانه ، فهو عالم الغيب والشهادة ،

وكما قال الشاعر اليمني الموحد في قصيدته التي سماها الجوهرة:

لطائف الله وإن طال المدى		كلمح الطرف إذا الطرف سجى
كم فَرَج بعد إياس أتى		وكم إياس قد أتى بعد النوى

[*] قال مُورِّقٌ العجلي : ((ما امتلأت غضباً قط ، ولقد سألت الله حاجة منذ عشرين سنة فما شفعني فيها وما سئمت من الدعاء)) [نزهة الفضلاء ص ٣٩٨] .

(٥) ومن موانع الإجابة الدعاء بالإثم وقطع الرحم :

والدعاء بالإثم كمن يدعو على شخص معين بأن يكون مدمناً للخمر ، أو أن يدعو على إنسان بالزنا ، أو أن يكون سارقاً ، أو يكون كافراً ، أو يدعو الله أن ييسر له فعل الفساد ، وهكـذا دواليك .

ولا شك أن ذلك خطأ في الدعاء فقد يستجيب الله تعالى دعوة الداع فيموت على الكفر أو على المعصية فيبوء بإثم دعوته والعياذ بالله .

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما مـن رجـل يـدعو بـدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(٦) ومن موانع إجابة الدعاء عدم الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم :

(حديث عمر في صحيح الترمذي موقوفاً) قال : إن الدعاء موقوف بين السـماء والأرض لا يصعد منه شيء إلى السماء حتى تصلي على نبيك ﷺ .

[*] سئل إبراهيم بن أدهم عن قول الحق سبحانه: (ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [غافر / ٦٠] ، قالوا: فإنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟!! فقال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

١- عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.
٢- وتأكلون رزق الله ولا تشكرونه.
٣- وقرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.
٤- وادعيتم عداوة الشيطان وواليتموه.
٥- وادعيتم حب رسول الله وتركتم أثره وسنته.
٦- وادعيتم حب الجنة ولم تعملوا لها.
٧- وادعيتم خوف النار ولم تنتهوا عن الذنوب.
٨- واشتغلتم بعيوب غيركم وتركتم عيوب أنفسكم.
٩- وادعيتم أن الموت حق ولم تستعدوا له.
١٠-وتدفنون موتاكم ولا تعتبرون. فكيف يستجاب لكم؟!

(٧) وقوع الظلم حتى من الذي يدعو على الظالمين :

والله لا يحب الظالمين ، وكل وضع للشيء في غير موضعه فهو ظلم، فتخيلوا كم من الظلـم نمارسه نحن، ونحن غافلون لاهون.

[*] قال المقريزي:

جاءني أحد الصالحين، سنة ثلاث عشرة وثماني مائة، والناس إذ ذاك من الظلم في أخذ الأموال منهم ومعاقبتهم إذا لم يؤدوا أجرة مساكنهم التي يسكنوها حتى ولو كانت ملكاً لهم، بحال شديدة، وأخذنا نتذاكر ذلك فقال لي: مالسبب في تأخر إجابة دعاء الناس في هذا الزمان، وهم قد ظلموا غاية الظلم، بحيث أن امرأة شريفة عوقبت لعجزها عن القيام بما ألزمت به من أجرة سكنها الذي هو ملكها، فتأخرت إجابة الدعاء مع قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)) وها نحن نراهم منذ سنين يدعون على من ظلمهم، ولا يستجاب لهم.

[*] قال المقريزي:

سبب ذلك أن كل أحد صار موصوفا بأنه ظالم، لكثرة ما فشا من ظلم الراعي والرعي، وإنه لم يبق مظلوم في الحقيقة، لأنا نجد عند التأمل كل أحد من الناس في زماننا وإن قل، يظلم في المعني الذي هو فيه من قدر على ظلمه، ولا نجد أحداً يترك الظلم إلا لعجزه عنه، فإذا قدر عليه ظلم، فبان أنهم لا يتركون ظلم من دونهم، إلا عجزاً لا عفة.

هل عرفتم تفكروا، وليفتش كل منا عن نفسه، وعن الظلم الذي يمارسه في حياته، .

الحِكَم من تأخُرِ إجابة الدعاء

➢من البلاء على المؤمن أن يدعو فلا يجاب ، فيكرر الدعاء، ويبالغ فيه، وتطول المدة، فلا يرى أثرًا للإجابة.

ومن هنا يجد الشيطان فرصته، فيبدأ بالوسوسة له، وإساءة ظنه بربه، وإيقاعه بالاعتراض على حكمته .

فينبغي لمن وقعت له هذه الحال ألا يختلج في قلبه شيء مما يلقيه الشيطان؛ ذلك أن تأخر الإجابة مع المبالغة في الدعاء يحمل في طياته حِكَماً باهرةً، وأسرارًا بديعة، لو تدبرها الداعي لما دار في خَلَدِه تضجر من تأخر الإجابة .

[*]➢وفيما يلي ذكر لبعض تلك الحكم والأسرار، والتي يجمل بالداعي أن يتدبرها، ويحسن به أن يستحضرها ، الحِكَم من تأخُرِ إجابة الدعاء ، وهاك الحِكَم من تأخُرِ إجابة الدعاء جملةً

وتفصيلا :

[*]⮘أولاً الحِكَم من تأخُرِ إجابة الدعاء جملةً :

(١) أن تأخر الإجابة من البلاء الذي يحتاج إلى صبر:

(٢) أن الله تعالى هو مالك الملك :

(٣) أنه لا حق للمخلوق على الخالق :

(٤) أن الله تعالى له الحكمة البالغة:

(٥) قد يكون في تحقق المطلوب زيادة في الشر:

(٦) أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه:

(٧) أن الإنسان لا يعلم عاقبة أمره:

(٨) الدخول في زمرة المحبوبين لله تعالى :

(٩) أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والعكس بالعكس :

(١٠) تأخر الإجابة سبب لتفقد العبد لنفسه:

(١١) قد تكون الدعوة مستجابة دون علم الداعي :

(١٢) قد يكون الدعاء ضعيفًا فلا يقاوم البلاء:

(١٣) قد يكون الإنسان سد طريق الإجابة بالمعاصي :

(١٤) ظهورآثار أسماء الله تعالى :

(١٥) تكميل مراتب العبودية للأولياء:

[*]⮘ثانياً الحِكَم من تأخُرِ إجابة الدعاء تفصيلا :

(١) أن تأخر الإجابة من البلاء الذي يحتاج إلى صبر:

فتأخر الإجابة من الابتلاء، كما أن سرعة الإجابة من الابتلاء.

قال تعالى: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) [الأنبياء / ٣٥]

فالابتلاء بالخير يحتاج إلى شكر، والابتلاء بالشر يحتاج إلى صبر؛ فإياك أن تستطيل زمان البلاء، وتَضْجَرَ من كثرة الدعاء؛ فإنك ممتحن بالبلاء، مُتَعَبَّدٌ بالصبر والدعاء.

فلا تيأسن من روح الله وإن طال البلاء؛ فإن الله ـ عز وجل ـ يبتليك؛ ليبلو أخبارك، وهل الابتلاء إلا الإعراض وعكس المقاصد ؟

[*] قال عمر بن عبدالعزيز :

أصبحت ومالي سرور إلا في انتظار مواقع القدر؛ إن تكن السراء فعندي الشكر، وإن تكن الضراء فعندي الصبر .[١٣٦]

(٢) أن الله تعالى هو مالك الملك :

فله التصرف المطلق بالعطاء والمنع، فلا راد لفضله، ولا معقب لحكمه، ولا اعتراض على عطائه ومَنْعِهِ؛ إن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل .

[*] قال ابن ناصر الدين الدمشقي :

فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضائه، ولا محيد له عن حكمه النافذ وابتلائه، إنَّا لله ملكه وعبيده، يتصرف فينا كما يشاؤه وما يريده .[١٣٧]

(٣) أنه لا حق للمخلوق على الخالق :

فالمخلوق مربوب، مملوك، مقهور، مُدَبَّر، والخالق ربٌّ، قاهر، مُدَبِّر.

والمملوك العاقل مطالب بأداء حق المالك، ويعلم أنه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى؛ فكيف يُقَصِّر المملوك ثم يطلب حقه كاملاً مع أنه لا حق له أصلاً ؟!

[*] قال ابن القيم رحمه الله :

فمن أنفع ما للقلب النظرُ في حق الله على العباد؛ فإن ذلك يورث مقت نفسه، والإزراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل ، ويفتح له باب الخضوع والذل ، والانكسار بين يدي ربه، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله، ومغفرته، ورحمته؛ فإن حقه أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر ولا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عَلِمَ عِلْمَ اليقين أنه غير مؤدٍ له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك.

فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله _ تعالى _ وبنفوسهم، وهذا الذي أيأسهم من أنفسهم، وعلق رجاءهم كله بعفو الله ومغفرته .[١٣٨]

ثم قال : وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك؛ ينظرون في حقهم على الله، ولا ينظرون في حق الله عليهم .

([١٣٦]) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز الخليفة الخائف الخاشع لعمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء، تحقيق د. محمد صدقي البورنو ٤٣٢/٢_٤٣٣، وانظر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص٩٧.

([١٣٧]) برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي ص٣٨.

([١٣٨])، (٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم تحقيق مجدي السيد ص٩٧_٩٨.

ومن ههنا انقطعوا عن الله، وحُجبت قلوبهم عن معرفته، ومحبته، والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره.

وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه .(١٣٩)

(٤) أن الله تعالى له الحكمة البالغة:

فلا يعطي إلا لحكمة، ولا يمنع إلا لحكمة، وقد ترى الشيء مصلحة ظاهرة، ولكن الحكمة لا تقتضيه؛ فقد يخفى في الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة؛ فلعل هذا من ذاك.

ثم إن الله تعالى له الحكمة البالغة، فأسماؤه الحسنى وأفعاله تمنع نسبة الظلم إليه، وتقتضي ألا يفعل إلا ما هو مطابق للحكمة، موافق لها؛ فتأخر الإجابة قد يكون عين المصلحة للداعي كما سيأتي بيانه في الفقرات التالية.

(٥) قد يكون في تحقق المطلوب زيادة في الشر:

فربما تحقق للداعي مطلوبه، وأجيب له سؤله، فكان ذلك سببًا في زيادة إثم، أو تأخر عن مرتبة، أو كان ذلك حملاً على الأشر والبطر؛ فكان التأخير أو المنع أصلح.

➢وقد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أُسِرْتَ، وإن أسرت تَنَصَّرْتَ .(١٤٠)

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كان في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية .

ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل، وكان ملائمًا لطبعه.

ولو رزق من المعرفة حَظًّا وافرًا لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى، وكان في حال القلة أعظم شكرًا من حال الكثرة.(١٤١)

(٦) أن اختيار الله للعبد خير من اختيار العبد لنفسه:

---

(١٤٠) صيد الخاطر ١٠٩/١.
(١٤١) مدارج السالكين ٢١٥/٢_٢١٦.

وهذا سر بديع يحسن بالعبد أن يتفطن له حال دعائه لربه؛ ذلك أن الله _ عز وجل _ أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، فهو أعلم بمصالح عباده منهم، وأرحم بهم من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم.

وإذا أنزل بهم ما يكرهون كان خيرًا لهم من ألا ينزل بهم؛ نظرًا منه لهم، وإحسانًا إليهم، ولطفًا بهم.

ولو مُكِّنُوا من الاختيار لأنفسهم لعجزوا عن القيام بمصالحهم علمًا، وإرادةً، وعملاً.

لكنه تعالى تولى تدبير أمورهم بموجب علمه، وعدله، وحكمته، ورحمته أَحَبُّوا أم كرهوا.

فإذا سلَّم العبد لله، وأيقن بأن الملك ملكه، والأمر أمره، وأنه أرحم به من نفسه _ طاب قلبه، قضيت حاجته أو لم تُقضَ .

وإذا فوض العبد ربه، ورضي بما يختاره له _ أَمَدَّه فيما يختاره له بالقوة عليه، والعزيمة، والصبر، وصرف عنه الآفات التي هي عرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

وهذا يريحه من الأفكار المتعبة في أنواع الاختيارات، ويفرغ قلبه من التقديرات والتدبيرات التي يصعد منها في عقبة، وينزل في أخرى.

ومع هذا فلا خروج له عما قدر عليه، فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به، وإلا جرى عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به.

ومتى صح تفويضه ورضاه اكتنفه في المقدور العطفُ عليه، واللطف فيه، فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يُهَوِّن عليه ما قدر له.

[*] قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى :

منعه عطاء؛ وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم، وإنما نظر في خير العبد فمنعه اختيارًا وحسن نظر .[١٤٢]

(٧) أن الإنسان لا يعلم عاقبة أمره:

فربما يطلب ما لا يَحْمد عاقبته، وربما كان فيه ضرره، كمثل طفل محموم يطلب الحلوى وهي لا تناسبه .

والمدبر للإنسان أعلم بمصالحه، وعاقبةِ أمره، كيف وقد قال تعالى: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً

(١٤٢) مدارج السالكين ٢/٢١٥.

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [البقرة / ٢١٦]

➢ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يقضيه عليه؛ لما يرجوه من حسن العاقبة.

➢ومن أسرارها ألا يقترح على ربه، ولا يسأله ما ليس له به علم؛ فلعل فيه مضرَّتَه وهو لا يعلم؛ فلا يختار على ربه، بل يسأله حسن العاقبة فيما يختار له؛ فلا أنفع له من ذلك.

ولهذا من لطف الله _ تعالى _ لعبده أنه ربما طمحت نفسه لسبب من الأسباب الدنيوية، التي يظن بها إدراك بغيته، فيعلم الله أنها تضره، وتصده عما ينفعه، فيحول بينه وبينها، فيظل العبد كارهًا، ولم يدْرِ أن ربه قد لطف به؛ حيث أبقى له الأمر النافع، وصرف عنه الأمر الضار .[١٤٣]

(٨) الدخول في زمرة المحبوبين لله تعالى :

فالذين يدعون ربهم، ويبتلون بتأخر الإجابة عنهم _ يدخلون في زمرة المحبوبين، المُشَرَّفِين بمحبة رب العالمين؛ فهو _ سبحانه _ إذا أحب قومًا ابتلاهم.[١٤٤]

وقد جاء في السنة ما يشير إلى أن الابتلاء دليل على محبة الله للعبد؛

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء و إن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا و من سخط فله السخط .

(حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه و إن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض و ما عليه خطيئة .

(٩) أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والعكس بالعكس :

فإذا صحت معرفة العبد بربه علم يقينًا أن المكروهات التي تصيبه، والمحن التي تنزل به، والتي منها تأخر إجابة الدعاء _ أنها تحمل في طياتها ضروبًا من المصالح والمنافع لا يحصيها علمه، ولا تحيط بها فكرته .

---

(١٤٣) المواهب الربانية من الآيات القرآنية للشيخ ابن سعدي، اعتنى بها سمير الماضي ص١٥١.

(١٤٤) انظر برد الأكباد ص٣٩.

بل إن مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب؛ فعامة مصالح النفوس في مكروهاتهـــا، كما أن عامة مضارها وأسباب هلكتها في محبوباتها.

قال تعالى: (فَعَسَىَ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) [النساء / ١٩]

قال تعالى: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لّكُمْ وَعَسَىَ أَن تُحِبّواْ شَيْئاً وَهُــوَ شَــرّ لّكُــمْ) [البقرة / ٢١٦]

فإذا علم العبد أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، وأن المحبوب قد يأتي بالمكروه _ لم يــأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ فإن الله يعلم ما لا يعلمه العبد.

وما أجمل قول من قال:

كــــــم نعمةٍ لا تستقلُّ بشكرها   لله في طيِّ المكاره كامنه(١٤٥)

ومن قال:

تجري الأمور على حكم القضاء وفي   طـــيِّ الحوادث محبوب ومكروه

وربما ســــــــــرني ما كنت أحذره   وربما ساءني ما كنت

[*] قال سفيان بن عيينه :

ما يكره العبد خير له مما يحب؛ لأن ما يكرهه يهيجه للدعاء، وما يحبه يلهيه .(١٤٧)

[*] وقال ابن ناصر الدين الدمشقي :

إذا اشــــــــــتدت البوى تحَفَّفْ   عن الله قــد فاز الرَّضيُّ المراقبُ

وكـــــــــــــــم نعمةٍ مقرونة   على الناس تخفى والبلايا مواهب

(١٠) تأخر الإجابة سبب لتفقد العبد لنفسه:

فقد يكون امتناع الإجابة لآفة في الداعي؛ فربما كان في مطعومه شبهة، أو في قلبــه وقــت الدعاء غفلة، أو كان متلبسًا بذنوب مانعة .

---

(١٤٥) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي، تحقيق د. صلاح جرار ٥٢/٣.

(١٤٦) جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي، تحقيق د. صلاح جرار ٥٢/٣.

(١٤٧) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص٢٢.

(١٤٨) برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي ص٣٧.

[*] وسُئِلَ إبراهيم بن أدهم –رحمه الله-: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟

فقال :لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نِعَم الله ولم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار ولم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان ولم تحاربوه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات ولم تعتبروا بها، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم بعيوب الناس وتركتم عيوبكم .

وتأخر الإجابة قد يبعث الداعي إلى تفقد نفسه، والنظر في حاله مع ربه، فيحصل له من جراء ذلك المحاسبةُ، والتوبةُ، والأوبةُ .

ولو عجلت له دعوته لربما غفل عن نفسه، فظن أنه على خير وهدى، فأهلكه العجب، وفاتته هذه الفائدة.

(١١) قد تكون الدعوة مستجابة دون علم الداعي :

فقد مر بنا عند الحديث عن فضائل الدعاء أن ثمرة الدعاء مضمونة إذا أتى الإنسان بأسباب الإجابة، وسلممن موانعها؛ فالداعي لا يخلو من أن يستجاب له دعاؤه فيرى أثره في الدنيا، أو لا يستجاب له لوجود أحد الموانع، فلا يرى أثرًا لدعائه في الدنيا، أو أن يستجاب له ولكن لا يرى أثرًا للإجابة في الدنيا وإنما يؤخر له من الأجر مثل دعوته يوم القيامة، أو أن يستجاب له الدعاء فلا يرى أثرًا للإجابة، ولكن يصرف الله عنه من السوء مثل دعوته وهو لا يعلم.[١٤٩]

إذا تقرر هذا فكيف يستبطئ الداعي الإجابة طالما أن الثمرة مضمونة؟ ولماذا لا يحسن العبد ظنه بربه ويقول: لعله استجيب لي من حيث لا أعلم؟.

(١٢) قد يكون الدعاء ضعيفًا فلا يقاوم البلاء:

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وله[١٥٠] مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

---

(١٤٩) علق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز× في هذا الموضوع فقال:=وقد صح عن رسول الله"أنه قال: ما من مسلم يدعو ليس بإثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها، قالوا: يا رسول الله، إذًا نكثر؟ قال: الله أكثر+ أ_هـ. والحديث مضى تخريجه عند الحديث عن فضائل الدعاء.

(١٥٠) يعني الدعاء.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما، ويمنع كل واحد منهما صاحبه .[151]

(١٣) قد يكون الإنسان سد طريق الإجابة بالمعاصي :

فلو فتحها بالتقوى لحصل على مراده؛ فكيف يستبطئ الإجابة وقد سد طريقها بالمعاصي ؟.

أما علم أن التقوى سبب الراحة، وأنها مفتاح كل خير؟

أما سمع قوله قال تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) [الطلاق ٢، ٣]

أَوَ ما فهم أن العكس بالعكس؟.

[*] قال بعض السلف : لا تستبطئ الإجابة، وقد سَدَدْتَ طُرقَها بالمعاصى. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

"نحن ندعو الإلهَ في كل كرب ثم ننساهُ عند كشف الكروب

كيف نرجو إجابةَ لدعاء قد سددنا طريقَها بالذنوب ؟

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا فقال تعالى(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك .

الشاهد : قولهﷺ (فأنى يستجاب لذلك) وهو استفهام واقع على وجه التعجب والاستبعاد. أي كيف يدعو هذا الآكل للحرام وينتظر الإجابة مع تيقنه من سوء فعاله، نسأل الله أن يطعمنا الحلال ويجنبنا مهاوى الضلال إنه ولى ذلك والقادر عليه .

(١٤) ظهورآثار أسماء الله تعالى :

فمن أسماء الله _ عز وجل _ المعطي، المانع، الحكم، العدل، الكريم، العليم، البر، الرحيم، المالك، الحكيم.

وهذه الأسماء تستدعي متعلقات تظهر فيها أحكامها، ومقتضياتها، وآثارها؛ فتأخر الإجابة من

[151] الجواب الكافي ص٩ _ ١٠.

أسباب ظهور تلك الآثار، والمقتضيات والأحكام.

فقد يمنع _ عز وجل _ أحدًا من الناس؛ لحكمته، وعدله، وعلمه.

وقد يعطي برحمته _ عز وجل _، وحكمته، وبره، وعلمه.

(١٥) تكميل مراتب العبودية للأولياء:

فالله تعالى يحب أولياءه ، ويريد أن يكمل لهم مراتب العبودية، فيبتليهم بأنواع من البلاء، ومنها تأخر إجابة الدعاء؛ كي يتَرَقَّوا في مدارج الكمال ومراتب العبودية؛ فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته، وكلما ازداد العبد تحقيقًا للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته .[١٥٢]

فأنفع الأشياء للعبد على الإطلاق طاعته لربه بظاهره وباطنه، وأضر الأشياء عليه معصيته لربه بظاهره وباطنه.

فإذا قام بطاعته وعبوديته مخلصًا له _ فكل ما يجري عليه مما يكرهه يكون خيرًا له.

وإذا تخلى عن طاعته وعبوديته _ فكل ما هو فيه من محبوبٍ شرٌّ له.

فإذا تدبر العبد ذلك تشاغل بما هو أنفع له من حصول ما فاته.

[*]➢هذا ومن تلك العبوديات التي تحصل من جراء تأخر إجابة الدعاء ما يلي:

(أ) انتظار الفرج:

فانتظار الفرج من أجل العبوديات وأعظمها، فكلما اشتد انتظار الفرج كلما ازدادت ثقة العبد بربه، فيزداد بذلك قربًا من الله، وأُنْسًا به _عز وجل _.

ولو عجلت له الإجابة لربما فاتته هذه العبودية.

[*] قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

انتظار روح الفرج يعني راحته، ونسيمه، ولذته؛ فإن انتظاره، ومطالعته، وترقبه يخفف حمل المشقة ولاسيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج؛ فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرج ونسيمه وراحته _ ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل .[١٥٣]

(ب) حصول الاضطرار والافتقار إلى الله :

فهذا لب العبادة ومقصودها الأعظم؛ فالافتقار إلى الله دون سواه هو عين الغنى، والتذللُ له _ عز وجل _ هو العز الذي لا يدانيه عز.

---

(١٥٢) العبودية لابن تيمية ص٨٠.

(١٥٣) مدارج السالكين ٢/١٦٧.

ثم إن حاجة الإنسان بل ضرورته إلى الافتقار والاضطرار إلى الله _ لا تدانيها حاجة أو ضرورة .

ولو أجيب دعاؤه مباشرة لربما أصابه التيه بالنفس، والإدلال على الله بالعمل، ولربما شعر بالغنى عن الله _ تبارك وتعالى _.

وبذلك يخرج العبد عن وصفه الذي لا ينفك عنه، والذي فيه جماله وكماله ألا وهو افتقاره إلى ربه.

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

والعبد هو فقير دائمًا إلى الله من كل وجه؛ من جهة أنه معبوده، وأنه مستعانه، فلا يأتي بالنعم إلا هو، ولا يَصلُح حال العبد إلا بعبادته.

وهو مذنب _ أيضًا _ لا بد له من الذنوب فهو دائمًا فقير مذنب؛ فيحتاج دائمًا إلى الغفور الرحيم؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه، والرحيم الذي يرحمه فينعم عليه، ويحسن إليه؛ فهو دائمًا بين إنعام ربه وذنوب نفسه .(١٥٤)

(ج) حصول عبودية الرضا:

فالرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين .(١٥٥)

فمن رضي عن الله وبالله رضي الله عنه وأرضاه؛ فالمؤمن حين تنزل به النازلة يدعو ربه، ويبالغ في ذلك، فلا يرى أثرًا للإجابة، فإذا قارب اليأس نُظِرَ حينئذٍ في قلبه، فإن كان راضيًا بالأقدار، غير قنوط من فضل الله فالغالب تعجيل الإجابة؛ فهناك يصلح الإيمان، ويهزم الشيطان، وتتبين مقادير الرجال.

وقد أشير إلى هذا في قوله _ تعالى : (حَتَّىَ يَقُولَ الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَىَ نَصْرُ اللّهِ أَلآ إِنّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ) [البقرة / ٢١٤]

وكذلك جرى ليعقوب _ عليه السلام _ مع أولاده كما مر قريبًا.

أما الاعتراض وقلة الرضا عن الله فخروج عن صفة العبودية.

قال بعضهم: ارض عن الله في جميع ما يفعله بك؛ فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك؛ فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة

---

(١٥٤) جامع الرسائل لابن تيمية ١١٦/١.
(١٥٥) جامع العلوم والحكم ٤٧٦/٢.

عين، فتسقط من عينه .(١٥٦)

[*] قال ابن ناصر الدين الدمشقي :

يجري القضاءُ وفيه الخير لمؤمن واثـــــق بالله لا
إن جـــــاءه فرح أو نابه في الحالتين يقول الحمد

(د) الانكسار بين يدي جبار السماوات والأرض:

فالله تعالى يحب المنكسرين بين يديه، فيدنيهم، ويقرب منهم، بل هو تعالى عنـد المنكسـرة قلوبهم.

ذكر عن عمران بن موسى القصير قال: قال موسى ـ عليه السلام ـ:=يا رب، أين أبغيك ؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم؛ فإني أدنو منهم كل يوم باعًا، ولولا ذلك انهدموا .(١٥٨)

فربما كان تأخر الإجابة سببًا لإطالة الوقوف على باب الله، وانكسار العبد بين يديـه، وكثـرة اللجأ إليه، والاعتصام به .

بدليل أنه لولا هذه النازلة لم يُرَ على باب اللجأ والمسكنة؛ فالله ـ عز وجل ـ علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه، فابتلاهم من خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه يستغيثون به.

فهذا من النعم في طي البلاء، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عن ربك، وأما ما يقيمـك بـين يديه ـ عز وجل ـ ففيه جمالك، وكمالك، وعزك، وفلاحك.

(هــ) التمتع بطول المناجاة:

فقد مرَّ بنا عند الحديث عن فضائل الدعاء أن العبد قد يقوم لمناجاة ربه، وإنـزال حاجاتـه ببابه، فيُفتح على قلبه حال السؤال والدعاء من محبة الله، ومعرفته، والخضوع له، والتـذلل بين يديه ـ ما ينسيه حاجته، فيكون ما فتح له من ذلك أحبَّ إليه من قضـاء حاجتـه التـي سألها، فيحب أن تدوم له تلك الحال، وتكون عنده آثر من حاجته، ويكون فرحه بها أعظم من فرحه بحاجته لو عجلت له وفاتته تلك الحال.

وعلى هذا فكلما تأخرت الإجابة كلما طالت المناجاة، وحصلت اللذة، وزاد القرب.

ولو عجلت الإجابة لربما فاتت تلك الثمرة.

---

(١٥٦) مدارج السالكين ٢/٢١٦.

(١٥٧) برد الأكباد ص٩.

(١٥٨) أخرجه أحمد في الزهد ص٩٥ وأورده ابن القيم في إغاثة اللهفان ص٩٧.

[*] قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى :

لقد أنعم الله على عبد في حاجة أكثر من تَضَرُّعه إليه فيها .[١٥٩]

(و) مجاهدة الشيطان ومراغمته:

فالشيطان عدو مبين للإنسان، يتربص به الدوائر، ويسعى في إضلاله وصدِّه عن صـراط الله المستقيم، فإذا صادف منه غرة أصابه من خلالها.

فالعبد إذا دعا ربه، وتأخر وقت الإجابة _ بدأ الشيطان يجول في خاطره؛ ليسيء ظنه بربـه، وصار يُلقي في رُعِه أن لا فائدة من دعائه.

فإذا جاهده العبد، وراغمه، وأغاظه بكثرة الدعاء، وإحسان الظن بالله _ حصـل علـى أجـر عظيم؛ فمجاهدة الشيطان ومراغمته من أجل العبوديات.

ولو لم يأت العبد من تأخر الإجابة إلا هذه الفائدة _ لكان حريًا به ألا ينزعج من تأخرها.

هذه بعض الحكم المتلمسة من جراء تأخر الدعاء، والتي يجدر بالعبد أن يستحضرها إذا دعـا وتأخرت إجابة الدعاء.

الدعوات المستجابات

[*]➢كل من عمل بالشروط، وابتعد عن الموانع، وعمل بالآداب، وتحـرّى أوقـات الإجابـة، والأماكن الفاضلة فهو ممن يستجيب الله دعاءه، وقد بينت السنة أنواعاً وأصنافاً ممن طبـق هذه الشروط واستجاب الله دعاءهم ومنهم ما يلي :☜

(١) دعوة المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

(حديث أبي الدرداء الثابت في صحيح مسلم) النبي ﷺ قال: دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمـين ولـك بمثل .

(٢) دعوة المظلوم :

(حديث ا بن عباس في الصحيحين) قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ ابن جبل حين بعثه إلـى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن

(١٥٩) عدة الصابرين لابن القيم ص١٦١.

محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتقِ دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

(حديث خزيمة بن ثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحمَلُ على الغمام يقول الله : و عزتي و جلالي لأنصرنك و لو بعد حين .

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : دعوة المظلوم مستجابة و إن كان فاجرا ففجوره على نفسه .

➢والشواهد على إجابة دعوة المظلوم لا تكاد تحصر، ومنها ما جاء في قصة سعد بن أبي وقاص مع أهل الكوفة لما شكوه إلى عمر بن الخطاب .

قال أبو عوانة، وجماعة: حدثنا عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال:=شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاتي العشيِّ لا أخرم منها، أركد في الأوليين، وأحذف في الأخريين.

فقال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق.

فبعث رجلاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرًا، حتى أتوا على مسجد لبني عبسٍ، فقال رجل يقال له أبو سعد: أما إذا نشدتمونا بالله فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية.

فقال سعد: اللهم إن كان كاذبًا فأعم بصره، وأطل عمره، وعَرِّضْهُ للفتن.

قال عبدالملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: كيف أنت؟ قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .[160]

[*] وقال الذهبي :

يقال إن رجلاً وشى على بسر بن سعيد عند الوليد بن عبدالملك بأنه يعيبكم .

---

(160) رواه أحمد ١/١٧٥_١٨٠، والبخاري(٧٥٥)، في الأذان، باب وجوب قراءة الإمام والمأموم في الصلوات كلها، ومسلم(٤٥٣) في الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، والنسائي ٢/٢١٧ باب الركود في الأوليين.

قال: فأحضره وسأله، فقال: لم أَقُلْهُ؛ اللهم إن كنتُ صادقًا فأرني به آيــة، فاضــطرب الرجــل فمات .[١٦١]

➢وخاصمت أروى بنت أويس سعيد بن زيد رضي الله عنه عند مــروان ابــن الحكــم أميــر المدينة وادَّعت عليه أنه أخذ من أرضها، فقال: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وســلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أخذ شبراً مــن الأرض بغيــر حقــه طُوِّقه إلى سبع أرضين"

ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارهــا، قــال: فرأيتهــا عميــاء تتلمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئــر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها[١٦٢].

(٣) الإمام العادل :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في سلسلة الأحاديث الصحيحة) أن النبي ﷺ قال : ثلاثة لا يُردُّ دعاؤُهم: الذاكر لله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المُقسِط" ·

(٤) دعوة الذاكر لله كثيراً:

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في سلسلة الأحاديث الصحيحة) أن النبي ﷺ قال : ثلاثة لا يُردُّ دعاؤُهم: الذاكر لله كثيراً، ودعوة المظلوم، والإمام المُقسِط" ·

(٥) دعوة المضطر:

قال الله تعالى: {أمَّن يُجيبُ المضطَرَّ إذا دعَاهُ ويكشِفَ السُّوءَ} [النمل /٦٢]

ومما يدل على أن من أقوى أسباب الإجابة الاضطرار حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلــى غار فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل أغلقت الغار عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله تعالى واسألوا الله بها لعله يفرجها عنكم، فدعوا الله تعالى بصالح أعمالهم فارتفعت الصخرة فخرجوا يمشون[١٦٣].

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلــق ثلاثــة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فســدت

(١٦١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٥٩٥.
(١٦٢) مسلم برقم ١٦١٠، ٢/١٢٣٠.
(١٦٣) البخاري، كتاب الأدب، باب إجابة دعاء من بر والديه، برقم ٥٩٧٤، ومسلم ٤/٢٠٩٩.

عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

(٦) دعوة من دعا بدعوة ذي النون :

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : دعوة ذي النون إذ دعا بها و هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :" ألا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أو بَلاَءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فَفُرِّجَ عنه؟ دُعَاءُ ذِي النُّوْنِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" .

➢وذو النون: هو نبي الله يونس عليه السلام .

➢والنون: الحوت.

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : دعوة ذي النون إذ دعا بها و هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

➢وذو النون: هو نبي الله يونس _ عليه السلام _،

➢والنون: الحوت.

فهذا سيدنا يونس عليه السلام ألقي في اليم فالتقمه الحوت وأسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه ، فالتجأ إلى الله { أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فأنجاه الله ، حتى إذا خرج إلى شاطئ السلامة، تلقفته يد الرحمة الإلهية والعناية الربانية فأظلته تحت شجرة اليقطين .

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [الأنبياء:٨٧-٨٨].

[*] قال القرطبي في تفسير هذه الآية :

وفي الخبر في هذه الآية شرط الله لمن دعاه أن يجيبه كما أجابه، وينجيه كما أنجاه، وهو قوله:[وكذلك ننجي المؤمنين] (١٦٤)

[*]وقال ابن كثير في قوله تعالى :[وكذلك ننجي المؤمنين]: أي إذا كانوا في الشدائد، ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء؛ فقد جاء الترغيب به في الدعاء به عند سيد الأنبياء .(١٦٥)

﴿تنبيه﴾ :➢ هذا الدعاء من أعظم أنواع الدعاء، لاشتماله على الآتي :

أولاً: على توحيد الله (لا إله إلا أنت)

وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وأعظم وقربة.

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه عما لا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظيم شأنه.

(١٦٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣٤/١١.
(١٦٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٧/٣

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ينبغي له أن يكون كذلك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧]

(٧) دعوة من دعا بالاسم الأعظم :

(حديث أنس في صحيح السنن الأربعة) قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول :اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(حديث بريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(٨) دعوة الولد البار بوالديه :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : إلا من صدقةٍ جارية أو علمٍ ينتفع به أو ولدٌ صالحٌ يدعو له .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إن الرجل لتُرْفَع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا ؟ فيقال: باستغفار ولدك لك .

ومن ذلك حديث الثلاثة الذين انحدرت عليهم الصخرة، فإن منهم رجلاً كان برًّا بوالديه فتوسل بذلك العمل الصالح فاستجاب الله دعاءه

(حديث بن عمر رضي الله عنهما الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : (انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا، فناء بي في طلب شيء يوما، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال

الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأدرتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

ومن ذلك : قصة أويس القرني

إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل التابعين، وأنه لو أقسم على الله لأبره، والسبب أن له والدة هو بها برٌ.

(حديث عمر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال له: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل .

(٩) دعوة من أحبه الله ورضي عنه :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىَّ عبدي بشيءٍ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليِّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنَّه ، وما ترددتُ عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته .

وهذا المحبوب المقرب الذي له عند الله منزلة عظيمة إذا سأل الله شيئاً أعطاه، وإن استعاذ به من شيء أعاذه، وإن دعاه أجابه، فيصير مجاب الدعوة لكرامته على ربه عز وجل .

قصص لمستجابي الدعاء

[*]⮜سعد ابن أبي وقاص :

كان سعد ابن أبي وقاص مجاب الدعوة فكذب عليه رجل فقال اللهم إن كان كاذبا فاعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتن فأصاب الرجل ذلك كله فكان يتعرض للجواري في السكك ويقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد ودعا علي رجل سمعه يشتم عليا فما برح من مكانه حتى جاء بعير ناد فخبطه بيديه ورجليه حتى قتله .

[*]⮜سعيد بن زيد :

⮜وخاصمت أروى بنت أويس سعيد بن زيد رضي الله عنه عند مروان ابن الحكم أمير المدينة وادَّعت عليه أنه أخذ من أرضها، فقال: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طُوِّقه إلى سبع أرضين"

ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها، قال: فرأيتها عمياء تتلمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها(١٦٦).

[*]⮜أُبَيٌّ ابن كعب

وكان أُبَيٌّ رضي الله عنه مستجاب الدعوة فيحكي ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لجمع من الصحابه:

أخرجوا بنا إلى أرض قومنا فكان ابن عباس مع أبى بن كعب في مؤخرة الناس، فهاجت سحابه، فدعا أُبَىّ قائلاً: اللهم اصرف عنا أذاها. فلحق ابن عباس وأبى الناس، فوجدوا إن رحالهم ابتلت: فقال عمر ما أصابكم ؟ (أى: كيف لم تبل رحالكما؟) فقال ابن عباس: إن أبيّا قال :اللهم اصرف عنا أذاها. فقال عمر فهلا دعوتم لنا معكم.

(١٦٦) مسلم برقم ١٦١٠، ٢/١٢٣٠.

[*]➢عبد الله بن جحش :

عبدالله بن جحش قال يوم أحد يارب إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت يا عبدالله من جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال سعيد لقد لقيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط .

[*]➢قصة حصلت في عهد أبي موسى الأشعري :

احترقت خصاص بالبصرة في زمن أبي موسي الأشعري وبقي في وسطها خص لم يحترق فقال أبو موسي لصاحب الخص ما بال خصك لم يحترق فقال إني أقسمت على ربي أن لا يحرقه فقال أبو موسي إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في أمتي رجال طلس رؤوسهم دنس ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم .

[*]➢العلاء بن الحضرمي :

كان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلي ثم قال اللهم ياعليم ياحكيم ياعلي ياعظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضأ ولا تجعل لأحد فيه نصيبا غيرنا فساروا قليلا فوجدوا نهرا من ماء السماء يتدفق فشربوا وملأوا أوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر فلم ير شيئا وكأنه لم يكن في موضعه ماء قط وشكا أنس بن مالك عطش أرضه في البصرة فتوضأ وخرج إلى البرية وصلي ركعتين ودعا فجاء المطر وسقا أرضه ولم يجاوز المطر أرضه إلا يسيرا.

[*]➢أبو مسلم الخولاني :

كان أبو مسلم الخولاني مشهورا بإجابة الدعوة فكان يمر به الضب فيقول له الصبيان ادع الله لنا أن يحبس علينا هذا الضب فيدعو الله فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم ودعا على امرأة أفسدت عليه عشرة امرأة له بذهاب بصرها فذهب بصرها في الحال فجاءته فجعلت تناشده بالله وتطلب من الله فرحمها ودعا الله تعالى فرد عليها بصرها ورجعت امرأته إلى حالها معه .

[*]➢مطرف ابن عبد الله بن الشخير :

وكذب رجل على مطرف ابن عبد الله بن الشخير فقال له إن كنت كاذبا فعجل الله حتفك فمات الرجل مكانه .

[*]⮘عطاء السليمي :

كان عطاء السليمي لا يكاد يدعو ، إنما يدعو لبعض أصحابة ويؤمن ، قال :فحبس بعض أصحابة فقيل له :ألك حاجة ؟ قال :دعوة من عطاء إن يفرج الله عني . قال صالح فانتبه فقلت : يا أبا محمد ، أما تحب أن يفرج الله عنك ؟ قال
بلى والله أني لا حب ذاك قلت : فان جليسك فلان قد حبس فادع الله أن يفرج عنه فرفع يديه وبكى وقال الهي تعلم حاجتنا قبل أن نسألكها فاقضها لنا قال صالح فو الله مابرحنا من البيت حتى دخل الرجل .[١٦٧]

[*]⮘صلة بن أشيم :

وكان صلة بن أشيم في سرية فذهبت بغلته بثقلها وارتحل الناس فقام يصلي فقال اللهم إني أقسم عليك أن ترد على بغلتي وثقلها فجاءت حتى قامت بين يديه وكان مرة في برية فقرا فجاع فاستطعم الله وجبة خلفه فإذا هو بثوب أو منديل فيه دوخلة رطب طري فأكل منه وبقي الثوب عند امرأته معاذة العدوية وكانت من الصالحات .

[*]⮘محمد بن المنكدر :

وكان محمد بن المنكدر في غزاة فقال له رجل من رفقائه اشتهي رطبا جنيا فقال ابن المنكدر استطعموا الله يطعمكم فإنه القادر فدعا القوم فلم يسيروا إلا قليلا حتى رأوا مكتلا مخيطا فإذا هو خير رطب فقال بعض القوم لو كان عسلا فقال ابن المنكدر إن الذي أطعمكم رطبا جنيا ها هنا قادر على أن يطعمكم عسلا فاستطعموه فدعوا فساروا قليلا فوجدوا ظرف عسل على الطريق فنزلوا وأكلوا.

[*]⮘الحسن البصري :

كان رجل من الخوارج يغشي مجلس الحسن البصري فيؤذيهم فلما ازداد أذاه قال الحسن اللهم قد عملت أذاه لنا فاكفناه بما شئت فخر الرجل من قامته فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سريره .

[*]⮘حبيب العجمي :

---

١٦٧ – مجابي الدعوة لابن ابي الدنيا ص ٥٤

كان حبيب العجمي أبو محمد معروفا بإجابة الدعوة دعا لغلام أقرع الرأس وجعل يبكي ويمسح بدموعه رأس الغلام فما قام حتى اسود رأسه وعاد كأحسن الناس شعرا .

وكان مرة عند مالك بن دينار فجاء رجل فأغلظ لمالك من أجل دراهم قسمها مالك فلما طال ذلك من أمره رفع حبيب يده إلى السماء فقال اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت فسقط الرجل على وجهه ميتا .

[*]⮜صفوان بن محرز :

اخذ عبيد الله بن زياد ابن أخي لصفوان بن محرز فحبسه في السجن فلم يدع صفوان شريفا بالبصرة يرجوا منفعة إلا تجمل به عليه فلم ير لحاجته نجاحا فغاب في مصلاة حزينا فإذا آت قد أتاه في منامه فقال : يا صفوان قم فاطلب حاجتك من وجهها . قال : فانتبه فزعا فقام وتوضأ ثم صلى ثم دعا .فأرق ابن زياد (الذي سجن ابن أخيه ولم يستطع النوم) فقال : علي بابن أخي صفوان بن محرز فجاء الحراس وجيء بالنيران وفتحت تلك الأبواب الحديد في جوف الليل فقيل : أين ابن أخي صفوان بن محرز ؟ أخرجوه فاني قد منعت من النوم منذ الليلة فاخرج فأتى به إلى زياد فكلمه ثم قال : انطلق بلا كفيل ولا شيء فما شعر صفوان حتى ضرب عليه أخيه بابه ، قال صفوان من هذا ؟قال : أنا فلان .[١٦٨]

[*]⮜أبو قلابة :

وخرج أبو قلابة صائما حاجا فتقدم أصحابه في يوم صائف فأصابه عطش شديد فقال اللهم إنك قادر على أن تذهب عطشي من غير فطر فأظلته سحابة فأمطرت عليه حتى بلت ثوبه وذهب العطش عنه فنزل فحوض حياضا فملأها فانتهي إليه أصحابه فشربوا وما أصاب أصحابه من ذلك المطر شيء.[١٦٩]

[*]⮜قصة عبد الواحد بن زيد :

خرجت في بعض غزواتي في البحر ، ومعي غلام لي له فضل ، فمات الغلام فدفنته في جزيرة فنبذته الأرض ثلاث مرات في ثلاثة مواضع ، فبينا نحن وقوف نتفكر ما نصنع له إذ انتقضت النسور والعقبان فمزقوه حتى لم يبق منه شيء فلما قدمنا البصرة أتيت أم الغلام

---

١٦٨ – كتاب مجابي الدعوة لابن ابي الدنيا بتصرف ص ٥٣ .

١٦٩ – جامع العلوم والحكم ص٥٢٥–٥٢٧

فقلت لها : " ما كانت حال ابنك ؟ قالت : خيرا كنت اسمعه : يقول : " اللهم احشرني من حواصل الطير " [170].

[*]⮘حبيب بن أبي ثابت :

جيء بحبيب بن أبي ثابت وسعيد بن حبيب وطلق بن حبيب يراد بهم الحجاج ـ قال : فأصابهم عطش وخوف فقال سعيد لحبيب : ادع الله فقال له حبيب أني أراك أوجه مني قال :فدعا سعيد وأمن أصحابه فرفعت سحابة فمطروا وشربوا وسقوا واستقوا .[171]

[*]⮘عن أصبغ ابن زيد قال : مكثت أنا ومن عندي ثلاثا لم نطعم شيئا من الجوع، فخرجت إلي ابنتي الصغيرة وقالت يا أبتي الجوع، تشكو الجوع، قال فأتيت مكان الوضوء – انظروا إلى من اللجاءة، انظروا إلى من يلجئون– فتوضأت وصليت ركعتين، وألهمت دعاء دعوت به وفي آخره: اللهم افتح علي رزقا لا تجعل لأحد علي فيه منة، ولا لك علي فيه في الآخرة تبعة برحمتك يا أرحم الراحمين، ثم انصرفت إلى البيت فإذا بابنتي الكبيرة قامت إلي وقالت: يا أبه جاء رجل يقول أنه عمي بهذه الصرة من الدراهم وبحمال عليه دقيق وحمال عليه من كل شيء في السوق، وقال: أقرءوا أخي السلام وقول له إذا احتجت إلى شيء فأدعو بهذا الدعاء تأتيك حاجتك.

قال أصبغ ابن زيد والله ما كان لي أخو قط، ولا أعرف من كان هذا القائل، ولكن الله على كل شيء قدير.

فقلت للفكر لما صار مضطربا.......وخانني الصبر والتفريط والجلد
دعها سماوية تمشي على قدر........لا تعترضها بأمر منك تنفسد
فحفني بخفي اللطف خالقنا........ نعم الوكيل ونعم العون والمدد

[*]⮘وعن شقيق البلخي قال: كنت في بيتي قاعدا فقال لي أهلي قد ترى ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به، قال فتوضأت – نرجع إلى السبب الذي كانوا يدورون حوله رضوان الله عليهم– فتوضأت وكان لي صديق لا يزال يقسم علي بالله إن يكون لي حاجة أعلمه بها ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضت له حاجة إلى مخلوق فليبدأ

[170] – مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٥٥-٥٦

[171] – كتاب مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٨٨

فيها بالله عز وجل، قال فدخلت المسجد فصليت ركعتين، فلما كنت في التشـــهد أفــرغ علـــي النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، يا شقيق أتدل العباد على الله ثم تنساه، قال فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني فيه ربـــي، فلـــم أخـــرج مـــن المسجد حتى صليت العشاء الآخرة، ثم تركت الذهاب لصاحبي وتوكلت على الله، ثم انصرفت إلى المنزل فوجدت الذي أردت أن اقصد قد حركه الله وأجرى لأهلي على يديه ما أغناهم.

[*] قال مالك بن دينار :

خرجت إلى الحج وفيما أنا سائر في البادية ، إذ رأيت غراباً فى فمه رغيف ، فقلت : هذا غراب يطير وفى فمه رغيف ،إن له لشأناً ، فتتبعته حتى نزل عند غار ، فذهبت إليه فإذا بي أرى رجلا مشدوداً لا يستطيع فكاكاً ، والرغيف بين يديه ، فقلت للرجل : من تكون ؟ قال : أنا من الحجاج وقد أخذ اللصوص مالي و متاعي وشدوني و ألقوني في هذا الموضع ، كما ترى وصبرت على الجوع

أياماً ثم توجهت إلى ربى بقلبي وقلت : يا من قال في كتابه العزيز :

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) فأنا مضطر فارحمني فأرسل الله إلى هذا الغراب بطعامي .

في هذا الموقف نرى حال الداعي قد أثر في إجابة دعوته فقد كان مضطراً فقد كل الأسباب ولم يبق له إلا باب السماء .. والله حرمه من الأسباب ليتعلم أن يتعلق قلبه برب الأسباب لا بالأسباب حتى إذا عاد للحياة الطبيعية و أصبحت الأسباب فى يده لم يلتفت إليها..... .

➢(قصة الحسن البصري مع الحجاج بن يوسف الثقفي)

بنى الحجاج بن يوسف الثقفى داراً بواسط بالعراق فدعا الناس للفرجة والـــدعاء بالبركـــة.. فذهب الحسن البصرى رضى الله عنه إلى هناك فوقف خطيباً في الناس ليلفـــت النـــاس عـــن الانبهار بالزخارف إلى كراهية الظلم الذى يمارسه الحجاج بن يوسف وقال فيه كلاما غليظا ، فلما أشفق الناس عليه من بطش الحجاج قال : لقد أخذ الله ميثاق أهل العلم لتبيننه للناس ولا تكتمونه ... ثم انصرف ولما بلغ الحجاج ما حدث استشاط غيظاً ولام أتباعه على عدم الـــرد عليه و أخبرهم أنه سيجعله عبرة للناس و أرسل فى طلبه وأعد فى مجلسه النطع والســـياف فظـــن النـــاس أنـــه قاتلـــه وقبـــل أن يـــدخل الحســـن البصـــرى إلـــى مجلـــس الحجـــاج تمتم بكلمات فلما دخل عليه فوجىء الناس بأن الحجاج يحسن اســـتقباله وأجلســـه بجـــواره

وطيب لحيته وسأله في بعض المسائل ثم أذن له بالإنصراف ..

وما أن غادرالحسن البصرى المجلس حتى جرى الحاجب خلفه وسأله ناشدتك الله ما هذه الكلمات التى كنت تتمتم بها فإن الحجاج ما استدعاك ليطيب لحيتك ؟

فقال الحسن : قلت : اللهم ياولى نعمتى وملاذى عند كربتى ، اللهم اجعل عقوبته لى برداً وسلاما كما جعلت النار بردا وسلاماً على إبراهيم.

[*] روى غيلان بن جرير البصري:

أن رجلا كذب على مطرف بن عبد الله الحافظ البصري المتوفى سنة ٩٥ فقال مطرف، اللهم إن كان كاذبا فأمته فخر مكانه ميتا .

طبقات الحفاظ الذهبي ١: ٦٠، دول الاسلام ١: ٤٧، الإصابة ٣: ٤٧٩، تهذيب التهذيب ١: ١٧٣.

➢ (امرأة تلد بدعاء مالك ابن أربع سنين)

أخرج البيهقي في السنن الكبرى ٧: ٤٤٣ بإسناده عن هاشم المجاشعي قال: بينما مالك بن دينار - المتوفى ١٢٣ وقيل غير ذلك - يوما جالس إذ جاءه رجل فقال: يا أبا يحيى! ادع لامرأة حبلى منذ أربع سنين قد أصبحت في كرب شديد، فغضب مالك و أطبق المصحف ثم قال: ما يرى هؤلاء القوم إلا أنا أنبياء، ثم دعا فقال: أللهم هذه المرأة إن كان في بطنها ريح فأخرجها عنها الساعة، وإن كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاما، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم، وجاء الرسول إلى الرجل فقال: أدرك امرأتك، فذهب الرجل، فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد على رقبته غلام جعد قطط ابن أربع سنين قد استوت أسنانه ما قطعت أسراره.

➢السختياني ينبع الماء

أخرج أبو نعيم في (حلية الأولياء) ٣: ٥ بالإسناد عن عبد الواحد بن زيد قال:

كنت مع أيوب السختياني (4) على حراء فعطشت عطشا شديدا حتى رأى ذلك في وجهي فقال. ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش، وقد خفت على نفسي،

قال: تستر علي؟ قلت: نعم.

قال: فاستحلفني فحلفت له أن لا أخبر عنه ما دام حيا، قال: فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء قال: فما حدثت به أحدا حتى مات.

وفي [الروض الفائق] ص ١٢٦: كان جماعة مع أيوب السختياني في سفر فأعياهم طلب الماء فقال أيوب: أتسترون علي ما عشت؟

فقالوا: نعم.

فدور دائرة فنبع الماء قال: فشربنا فلما قدموا البصرة أخبر به حماد بن زيد. قال عبد الواحد بن زيد :شهدت معه ذلك اليوم.

➢حضور غائب بدعاء معروف الكرخي

ذكر الإمام أبو محمد ضياء الدين الشيخ أحمد الوتري الشافعي المتوفى بمصر في عشر الثمانين والتسعمائة في كتابه (روضة الناظرين) ص ٨ نقلا عن خليل بن محمد الصياد إنه قال: غاب أبي فتألمت فجئت إلى معروف – الكرخي المتوفى ٢٠٠ / ١ / ٤ – فقلت: غاب أبي فقال: ما تريد؟ قلت: رجوعه. قال: أللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك وما بينهما لك ائت بمحمد، فأتيت باب الشام فإذا هو واقف فقلت: أين كنت ؟

[*]➢ومن المواقف الجميلة الطريفة في فضل الدعاء أنه كان لسعيد ابن جبير ديكا، كان يقوم من الليل بصياحه، فلم يصح ليلة من الليالي حتى أصبح، فلم يصلي سعيد قيام الليل تلك الليلة فشق عليه ذلك، فقال ماله قطع الله صوته –يعني الديك–؟

وكان سعيد مجاب الدعوة، فما سمع للديك صوت بعد ذلك الدعاء، فقالت أم سعيد: يا بني لا تدعو على شيء بعدها.

➢➢وليس معنى أن الدعوة المجابة إقتصرت عليهم بل إن القصص المعاصرة لمن أستجيب دعاءهم كثيرة فهذا يدعو بالشفاء عندما استعصى الاطباء فيشفى وهذه تدعو بحفظ ولدها فيحفظه الله وهذا يدعو بالتيسير في الحج مع شدة الحال فيسر الله له ومثل هذا كثير جعلنا الله وإياكم من أولياءه وأحبابه ووأصفياءه .

➢ هذه قصة واقعيه حدثت في وقتنا الحاضر لمعلمة في مكه المكرمه ٠

كان هناك مجموعه من المعلمات تعاقدنا مع سائق يوصلهن من منازلهن للمدرسه والعكس وكان هذا السائق يعرف وقت صرف الرواتب وفي يوم ركبنا المعلمات معه ويعرف أنهن استلمن رواتبهن فأخذ السائق بتوصيل المعلمات واحد تلو الأخرى وبقيت معلمه واحده تنظر دورها أن يوصلها الى منزلها ولكنها تفأجأت أن السائق غير من طريق البيت واخذ يتجه إلى طريق جدة أخذت المعلمه تناديه يافلان يا فلان هذا ليس طريق المنزل لكن لم يرد عليها وبعد

محاولات فاشله لاستعطافه أيقنت انه طمع فيها ، أثناء قيادته السياره سجدت المعلمه على أرضية السياره وأخذت تدعو يامغيث ....

وخرجت هذه الدعوه من قلب مكروب!!!

وفجأه!!!!

ضرب السائق فرامل لأن هناك سياره اعترضته رفعت المعلمه رأسها تخيلوا من كان في السياره المعترضه

إنه أبوها وأخوها فرحت لوهله ثم انتابها خوف لوجودها في هذا المكان مع السائق ماذا سيقول أباها وأخاها عنها!!!

وفتح أبوها الباب واخذ بيد ابنته إلى السياره و انطلق مباشره دون التكلم مع السائق ولا مع ابنته ودارت الأفكار برأس

المعلمه ؟؟ وصلوا إلى البيت نزلت المعلمه مسرعه نحو أمها حتى تشرح لها الوضع قبل دخول والدها تفأجأت بوجود والدها و اخوها على مائدة الغداء أماه م م م متى كيف اشلون كانو في السياره يامهههه وانا سبقتهم في الدخول

أجابت الأم هم موجودون منذ ساعتين . ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ إذن من الذين كانوا في السياره ؟؟؟

هل تعرفون من هم؟؟

إنهم الملائكة ومن رحمة الله بها انه جعلهم على صورة والدها واخوها حتى لا تخاف .

يـــــــــــــــا الـــــــــــله انك أرحم بنا من امهاتنا.

➢(قصة لمريض شفاه الله تعالى بالدعاء)

والقصة لصديق يعمل مهندسا كان قد أصيب بالتهاب رئوي أدى إلى خراج على الرئة .. حاول الأطباء علاجه مدة شهرين كاملين وأعطوه كل أنواع المضادات بلا فائدة ، حتى فقد وزنه واقترب من نهايته ..

وفى يوم من الأيام وبعد مغادرة الأطباء للمستشفى الذى كان يقيم فيه توجه إلى ربه وقال : يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء اشفني وعافني.

وأخذ يبتهل ويردد الدعاء حتى شعر أن شيئاً في صدره يريد أن يخرج وبعد سعال خفيف خرجت كرة من الصديد وضعها في إناء بجواره وشعر بتحسن تام بعدها لقد أصبح قادراً على الحركة مرة أخرى ، وكانت المفاجأة حينما جاء الأطباء فى الغد ..

ووضع الطبيب سماعته على صدره فلم يسمع شيئا مما كان يسمعه ووجد ابتسامته تعلو وجهه وقبل أن ينطق الطبيب قال صديقي : لقد شفاني الله بالدعاء.

فكم من مرضى أقرباء لنا حاروا مع العلاجات والأطباء فلابد من أن ننصحهم مع أخذهم بأسباب الشفاء ومع استمرارهم فى الدواء أن يتضرعوا ويلجأوا إلى ربهم عز وجل بالدعاء) دعاء المضطر (والله هو الذى يجيب فهو قادر على كل شيء سبحانه...

➢(وهذه قصةٌ مُبْكِيَة)

هذة قصة حقيقية حصلت أحداثها ما بين الرياض وعفيف لأن صاحبة القصة أقسمت على كل من يسمعها أن ينشرها للفائدة فتقول :☜

لقد كنت فتاة مستهترة اصبغ شعري بالأصباغ الملونة كل فترة وعلى الموضة وأضع المناكير ولا أكاد أزيلها إلا للتغيير ، أضع عبايتي على كتفي أريد فقط فتنة الشباب لا إغوائهم ،أخرج إلى الأسواق متعطرة متزينة ويزين إبليس لي المعاصي ما كبر منها وما صغر وفوق هذا كلة لم اركع لله ركعة واحدة بل لا اعرف كيف اصلي والعجيب أني مربية

أجيال معلمة يشار لها بعين احترام فقد كنت ادرس في احد المدارس البعيدة من مدينة الرياض فقد كنت اخرج من منزلي مع صلاة الفجر ولا أعود حتى صلاة العصر المهم أننا كنا مجموعة من المعلمات وكنت أنا الوحيدة التي لم أتزوج .

فمنهن المتزوجة حديثا ومنهن الحامل ومنهن التي أخذت أجازة أمومة وأيضا كنت أنا الوحيدة التي نزع مني الحياء فقد كنت أحدث السائق وأمازحه كأنة أحد أقاربي ومرت الأيام وما زلت على طيشي وضلالي وفي صباح احد الايام استيقظت متأخرة وخرجت بسرعة وركبت السيارة وعندما التفتت لم أجد سواي في المقاعد الخلفية سألت السائق فقال فلانة مريضة وفلانة قد ولدت و.و. فقلت في نفسي ما دام الطريق طويل سأنام حتى نصل فنمت ولم استيقظ إلا من وعرة الطريق فنهضت خائفة ورفعت الستار ما هذا الطريق وما الذي صار ؟؟؟؟ فلان أين تذهب بي؟؟؟؟؟؟ قال لي بكل وقاحة الآن ستعرفين فقد عرفت مخططة قلت له وكلي خوف يا فلان أما تخاف الله أتعلم عقوبة ما تنوي فعلة وكلام كثير أريد أن أثنية عما يريد فعلة وكنت اعلم أني هالكة لا محالة فقال بثقة إبليسية لعينة أما خفتي الله أنتي ؟

وأنتي تضحكين بغنج وميوعة وتمازحينني ؟؟؟؟ ولا تعلمين أنك فتنتيني وأني لن أتركك حتى آخذ ما أريد بكيت صرخت ولكن المكان بعيد ولا يوجد سوى أنا وهذا الشيطان المارد مكان

صحراوي مخيف *** مخيف*** رجوتة وقد أعياني البكاء وقلت بيأس واستسلام إذاً دعني أصلي لله ركعتين لعل اللة يرحمني فوافق بعد أن توسلت علية نزلت من السيارة وكأني أقاد إلى ساحة الإعدام صليت ولأول مرة في حياتي صليتها بخوف وبرجاء والدموع تملأ مكان سجودي توسلت لله تعالى أن يرحمني ويتوب علي وصوتي الباكي يقطع هدوء المكان وفي لحظة وأنا أنهي صلاتي

تتوقعون مالذي حدث؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

وكانت المفاجأة ما الذي أراه ؟

إنني أرى سيارة أخي قادمة نعم إنه أخي وقد قصد المكان بعينة لم أفكر بلحظة كيف عرف مكاني ولكني فرحت بجنون وأخذت اقفز ***وأنادي***وذلك السائق ينهرني ولكني لم أبالي به.... من أرى أنه أخي الذي يسكن الشرقية وأخي الآخر الذي يسكن معنا فنزل أحدهما وضرب السائق بعصا غليظة وقال اركبي مع احمد في السيارة وأنا سآخذ هذا السائق واضعة في سيارة بجانب الطريق ... ركبت مع احمد والذهول يعصف بي وسألته هاتفةً كيف عرفتما بمكاني وكيف جئت من الشرقية ؟ ومتى؟

قال في البيت تعرفين كل شيء وركب محمد معنا وعدنا للرياض وأنا غير مصدقة لما يحدث وعندما وصلت إلى المنزل ونزلت من السيارة قالا لي أخوتي اذهبي إلى أمنا واخبريها الخبر وسنعود بعد قليل ونزلت مسرعة اخبر أمي دخلت عليها في المطبخ واحتضنتها وأنا ابكي واخبرها بالقصة قالت لي بذهول وأحمد فعلا في الشرقية وأخوك محمد ما زال نائما فذهبنا إلى غرفة محمد فوجدناه فعلا نائم أيقظته كالمجنونة لأساله ما الذي يحدث فأقسم بالله العظيم أنة لم يخرج من غرفتة ولا يعلم بالقصة ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

ذهبت إلى سماعة الهاتف تناولتها وأنا أكاد أجن فسالت أخي الآخر فقال ولكنني في عملي الآن *********** بعدها بكيت

وعرفت كل إلي حصل إنهما ملكين أرسلهما ربي لينقذني فحمدت الله تعالى على ذلك وكانت هي سبب هدايتي ولله

الحمد والمنة بعدها انتقلت الى منطقة عفيفة وابتعدت عن كل ما يذكرني بالماضي المليء بالمعاصي والذنوب .

➢وذكر أحد الدعاة في بعض رسائله أن رجلا من العباد كان مع أهله في الصحراء في جهة البادية، وكان عابدا قانتا منيبا ذاكرا لله، قال فانقطعت المياه المجاورة لنا وذهبت التمس ماء لأهلي فوجدت أن الغدير قد جف، فعدت إليهم ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة فلم نجد ولو قطرة، وأدركنا الظمأ واحتاج أطفالي للماء، فتذكرت رب العزة سبحانه القريب المجيب، فقمت وتيممت واستقبلت القبلة وصليت ركعتين، ثم رفعت يدي وبكيت وسالت دموعي وسألت الله بإلحاح وتذكرت قوله:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل /٦٢]

قال وما هو والله إلا أن قمت من مقامي وليس في السماء من سحاب ولا غيم، وإذا بسحابة قد توسطت مكاني ومنزلي في الصحراء، واحتكمت على المكان ثم أنزلت ماءها فامتلأت الغدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضئنا وحمدنا الله سبحانه وتعالى، ثم ارتحلت قليلا خلف هذا المكان وإذا الجدب والقحط، فعلمت أن الله ساقها لي بدعائي، فحمدت الله عز وجل:

(وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ) [الشورى /٢٨]

➢وذكر أيضا أن رجلا مسلما ذهب إلى إحدى الدول والتجأ بأهله إليها، وطلب بأن تمنحه جنسية، قال فأغلقت في وجهه الأبواب، وحاول هذا الرجل كل المحاولة وستفرغ جهده وعرض الأمر على كل معارفه، فبارت الحيل وسدت السبل، ثم لقي عالما ورعا فشكا إليه الحال، فقال له عليك بالثلث الأخير من الليل فأدعو مولاك، إنه الميسر سبحانه وتعالى، قال هذا الرجل: ووالله فقد تركت الذهاب إلى الناس وطلب الشفاعات، وأخذت أداوم على الثلث الأخير كما أخبرني ذلك العالم، وكنت أهتف لله في السحر وأدعوه، وما هو إلا بعد أيام وتقدمت بمعروض عادي ولم اجعل بيني وبينهم واسطة فذهب هذا الخطاب وما هو إلا أيام وفوجئت وأنا في بيتي أني ادعى وأسلم الجنسية، وكنت في ظروف صعبة.

إن الله سميع مجيب، ولطيف قريب، لكن التقصير منا، لابد أن نلج على الله وندعوه، وابشروا:

(إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ).

أسباب تأخير إجابة دعاء المظلومين على الظالمين

➢ومن أسباب تأخير إجابة دعاء المظلومين على الظالمين :

ما قاله الله جل وعلا: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلابْصَـٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء) [إبراهيم ٤٢ ، ٤٣]

قيل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كان أهل الجاهلية يدعون على الظالم، وتعجل عقوبته، حتى إنهم كانوا يقولون : عش رجباً ترى عجباً، أي أن الظالم تأتيه عقوبته في شهر رجب، كناية عن قرب نزول العقوبة به، قالوا له: ونحن اليوم مع الإسلام ندعو على الظالم فلا نجاب في أكثر الأمر، فقال عمر رضي الله عنه: هذا حاجز بينهم وبين الظلم، إن الله عز وجل لم يعجل العقوبة لكفار هذه الأمة، ولا لفساقها، فإنه تعالى يقول: (بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ) [القمر /٤٦]

وقد يكون من سبب تأخير استجابة الدعاء عليهم أن الله عز وجل أراد لهم أشد العذاب، ولما يبلغوا درجته الآن، فيمهلهم الله حتى يبلغوا تلك الدرجة من البغي والطغيان، حتى يستحقوا ذلك الدرك من النار الذي أعده الله لهم.

(وَلاَ يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لاِنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً وَلَهْمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) [آل عمران /١٧٨]

➢ومن أسباب تأخير استجابة الدعاء على الظالمين، أننا نحن الذين نظن أن الاستجابة قد تأخرت لأن الأيام في منظور البشر طويلة، بينما هي في عين الله قصيرة، وقد قال الله جل وعلا: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُ) [الحج /٤٧]

ولكن يتساءل الناس متى ثم تأتي الإجابة (وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مّمَّا تَعُدُّونَ وَكَأَيّن مّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ) [الحج /٤٧، ٤٨]

قال بعض أهل التفسير كان بين دعاء موسى على فرعون، وبين إهلاك فرعون بالغرق أربعون سنة]

الاعتداء في الدعاء

➢هناك أخطاء عديدة تقع في الدعاء، وهذه الأخطاء داخلة في باب الاعتداء في الدعاء .

(حديث عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور و الدعاء .

فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به _ فهو اعتداء لا يحبه الله، ولا يحب سائله .[١٧٢]

➢تَعْرِيفُ الِاعْتِدَاءِ في الدعاء :

[*] قال القرطبي رحمه الله تعالى :

اَلْمُعْتَدِي هو اَلْمُجَاوِزُ لِلْحَدِّ ومُرْتَكِبُ اَلْحَظْرِ .

وقال الفخر الرازي ﴿ اَلْمُعْتَدِينَ ﴾ أي: اَلْمُجَاوِزِينَ ما أُمِرُوا بِهِ.

وقال ابن منظور[١٧٣]: يُقَالُ: تَعَدَّيْتَ الحَقَّ، واِعْتَدَيْتُهُ، وعَدَوْتَه، أي: جَاوَزْتَهُ، وفي الحديث: " سيكون قوم يعتدون في الدُّعَاءِ ".

هو الخُرُوجُ فيه عن الوضع الشَّرْعِيِّ والسُّنَّةُ المأثورة ..وقال : أصل هذا كلِّه: مُجَاوَزَةُ اَلْحَدِّ، وَاَلْقَدْرِ، وَاَلْحَقِّ .

اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيمِ يَنْهَى عَنْ اَلِاعْتِدَاءِ فِي اَلدُّعَاءِ:

قال عَزَّ وجَلَّ: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأعراف/٥٥)

[*] عَنْ اِبْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قال: ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ فِي الدُّعَاء وَلا فِي غَيْره[١٧٤] .

[*] وعن قتادة قال: تَعَلَّمُوا أنَّ في بَعْضِ الدُّعَاءِ اِعْتِدَاءٌ فَاجْتَنِبُوا العُدْوَانَ وَالِاعْتِدَاءَ إنْ اسْطَعَتْمُ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ[١٧٥] .

(١٧٢) بدائع الفوائد، ٣/١٣.
١٧٣ أنظر لسان العرب مادة : عدا ، ج ٢ ، ص ٧١١ .
١٧٤ أنظر تفسير ابن كثير على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .
١٧٥ أنظر الدُّرِّ المَنْثُورِ في التفسير بالمأثور على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .

[*] وقال الطبري: وأمَّا قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ مَعْنَاهُ: إِنَّ رَبّكُمْ لا يُحِبّ مَنْ اِعْتَدَى فَتَجَاوَزَ حَدّه الَّذِي حَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي دُعَائِهِ وَمَسْأَلَته رَبّه[١٧٦] .

اَلْسُّــنَّةُ اَلْمُطَّهَرَةُ تَنْهَى عَنْ اَلاِعْتِدَاءِ فِي اَلْدُّعَاءِ:

نَهَتْ السُّــنَّةُ النَّبَوِيَّةُ المُطَهَرِّةُ وحَذَرَتْ مِنَ الاِعْتِدَاءِ في الدُّعَــاءِ،

(حديث عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قــال : إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور و الدعاء .

➢الاِعْتِدَاءِ فِي اَلْدُّعَاءِ يَمْنَعُ مِنَ اَلإِجَابَةِ وَاَلْقَبُولِ :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ما مــن رجــل يــدعو بــدعاء إلا استجيب له فإما أن يعجل له في الدنيا و إما أن يدخر له في الآخرة ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .

(حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيــب والترهيــب) أَنَّ النَّبِــيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلاَّ أَعْطَــاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا" قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ :" اللَّهُ أَكْثَرُ " .

[*] قال القرطبي تعليقاً على الحديث:

وحديث أبي سعيد الخدري وإنْ كان إذناً بالإجابة في إحدى ثلاث، فقد دَلَّكَ على صِحَةِ اِجْتِنَابِ الاعْتِدَاءِ الْمَانِعِ مِنْ الإِجَابَة حيث قال فيه: " لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ "[١٧٧] .

[*] وقال القُرْطِبيُّ في موضع آخر عن الاعتداء في الدعاء هو: أن يَدْعُو بما ليس في الكِتَابِ والسُّــنَّةِ؛ فَيَتَخَيَّرَ ألفاظا مُفْقِرَةٍ وكلمات مُسَّجَعَةٍ قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا مُعَــوَلٍ عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دَعَا به رسولــه عليه السلام، وكُلُّ هذا يَمْنَعُ مِــنْ اِسْــتَجَابَةِ الدُّعَاءِ[١٧٨].

[*] وقال البغوي: إن للدعاء آدابا وشرائط، وهي أسباب الإجابة، فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخَلَّ بها فهو من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الإجابة[١٧٩] .

---

١٧٦ أنظر تفسير الطبري على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .
١٧٧ أنظر تفسير القرطبي على الآية (١٨٦ ـ البقرة) .
١٧٨ أنظر تفسير القرطبي على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .
١٧٩ أنظر تفسير البغوي على الآية (١٨٦ ـ البقرة) .

[*]➢وفيما يلي ذكر لبعض صور الاعتداء في الدعاء اَلْمَنْهِيُّ عَنْهَا جملةً وتفصيلا :

➢أولاً صور الاعتداء في الدعاء اَلْمَنْهِيُّ عَنْهَا جملةً :

(١) أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية :

(٢) أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية :

(٣) تمني الموت وسؤال ذلك :

(٤) الدعاء بتعجيل العقوبة:

(٥) الدعاء بما هو مستحيل، أو بما هو ممتنع عقلاً أو عادةً، أو شرعًا:

(٦) الدعاء بأمر قد فرغ منه:

(٧) أن يدعو بما دل الشرع على عدم وقوعه :

(٨) الدعاء على الأهل والأموال والنفس:

(٩) كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنًا للخمر، أو أن يميته الله كافرًا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور.

(١٠) الدعاء بقطيعة الرحم :

(١١) الدعاء بانتشار المعاصي :

(١٢) تحجير الرحمة :

(١٣) ترك الأدب في الدعاء :

(١٤) الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله تعالى :

(١٥) أن يكون غرض الداعي فاسدًا :

(١٦) أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء :

(١٧) اِسْتِبْدَالِ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأثُور) بِغَيْرِهِ:

(١٨) اَلتَّغَنِي وَاَلتَّمْطِيط (تَحْرِيرُ النَّغَمِ) :

(١٩) اَلتَّفْصِيلُ فِي اَلْدُّعَاءِ (كَثْرَةُ اَلْأَلْفَاظِ) :

(٢٠) تَكَلُّفُ اَلْسَّجْعِ وَاَلإِعْرَاب :

(٢١) اَلنَّهْيُ عَنْ تَكَلِّفِ الإِعْرَاب:

(٢٢) رَفْعُ اَلْصَّوْتِ فَوْقَ اَلْحَاجَةِ وَاَلنَّوْحُ وَاَلْبُكَاءُ :

(٢٣) كثرة اللحن : خصوصًا إذا كان يحيل المعنى ، أو كان ناتجًا عن قلة مبالاة، أو كان

ناتجًا من إمام يُؤَمِّنُ الناس خلفه .

(٢٤) قلة الاهتمام باختيار الاسم المناسب أو الصفة المناسبة:

(٢٥) اليأس أو قلة اليقين من إجابة الدعاء :

(٢٦) أن يفصل الداعي تفصيلاً لا لزوم له :

(٢٧) دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة :

(٢٨) المبالغة في رفع الصوت :

(٢٩) الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه:

(٣٠) تعليق الدعاء على المشيئة:

(٣١) الإدلال على الله وترك التضرع :

(٣٢) تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك:

(٣٣) تركُ الإمامِ رفعَ يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة :

(٣٤) الإطالة بالدعاء حال القنوت، والدعاء بما لا يناسب المقصود فيه:

(٣٥) أن يكون الدعاء فيه طلب يناقض حكمة الله تعالى :

(٣٦) أن يكون الدعاء مشتملاً على مناقضة شرع أمر الله به :

(٣٧) أن يكون الدعاء محتوياً مسألة لا يليق طلبها :

➢ثانياً صور الاعتداء في الدعاء اَلْمَنْهِيُّ عَنْهَا تفصيلا :

(١) أن يشتمل الدعاء على شيء من التوسلات الشركية :

كأن يُدعى غير الله ـ تبارك وتعالى ـ من بشر، أو حجر، أو شجر، أو جن، أو غير ذلك ، فهذا أقبح أنواع الاعتداء في الدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، وصرفه لغير الله شرك، والشرك أعظم ذنب عصى الله به.

(٢) أن يشتمل على شيء من التوسلات البدعية :

كالتوسل بذات النبي"، أو بجاهه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فهذا التوسل توسل بدعي، والدين مبناه على الاتباع لا الابتداع، والبدعة بريد الكفر.[١٨٠]

(٣) تمني الموت وسؤال ذلك :

([١٨٠]) انظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ص١٦٠ و ١٧٠.

ومن مكروهات الدعاء تمني الموت ، وهنا يتبين صدق المؤمن وثباته ، من كذبه وضعف دينه ، فبعض الناس ما إن تصيبه مصيبة ، أو بلاء ، إلا وتراه يسأل الله الموت ، فلا يصبر ولا يحتسب ، بل تراه جزعاً يريد الخروج من دوامة الابتلاء والفتنة ، ولا ريب أن ذاك خطأ في الدعاء ، بل لا بد من الصبر لتمحيص الذنوب والخطايا ، ورفعة الدرجات ، وهذا هو شأن المؤمن مع ربه جل وعز .

(لحديث أنس الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنيا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي و توفني إذا كانت الوفاة خيرا لي .

[*] قال الشيخ عبدالرحمن ابن سعدي في شرحه لهذا الحديث:

هذا نهي عن تمني الموت؛ للضر الذي ينزل بالعبد، من مرض، أو فقر، أو خوف، أو وقوع في شدة أو مهلكة أو نحوها من الأشياء؛ فإن في تمني الموت لذلك مفاسدَ منها: أنه يؤذن بالتسخط والتضجر من الحالة التي أصيب بها، وهو مأمور بالصبر، والقيام بوظيفته، والصبر ينافي ذلك.

ومنها أنه يضعف النفس، ويحدث الخور والكسل، ويوقع في اليأس.

والمطلوب من العبد مقاومة هذه الأمور، والسعي في إضعافها وتخفيفها بحسب اقتداره، وأن يكون معه من قوة القلب وقوة الطمع في زوال ما نزل به.

وذلك موجب لأمرين: اللطف الإلهي لمن أتى بالأسباب المأمور بها، والسعي النافع الذي يوجبه قوة القلب ورجاؤه.

ومنها أن تمني الموت جهل وحمق؛ فإنه لا يدري ما يكون بعد الموت؛ فربما كان كالمستجير من الضر إلى ما هو أفظع منه، من عذاب البرزخ وأهواله.

ومنها أن الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها، والقيامِ بها، وبقية عمر المؤمن لا قيمة له؛ فكيف يتمنى انقطاعَ عملٍ الذَّرَّةُ منه خير من الدنيا وما عليها؟!.

وخصّ من هذا العموم قيامه بالصبر على الضر الذي أصابه؛ فإن الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب .(١٨١)

(٤) الدعاء بتعجيل العقوبة :

(١٨١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي ص ٢٥١_٢٥٢ شرح الحديث رقم ٧٧.

كأن يقول الإنسان: اللهم عجل عقوبتي في هذه الدنيا؛ لأدخل الجنة يوم القيامة، وأسلم من عذاب النار! فهذا خطأ، وأولى لهذا ثم أولى له أن يسأل الله السلامة في الدارين.

فلا يجوز له أن يدعو أن يعجل الله له العقوبة في الدنيا ، ويعفو عنه يوم القيامة ، هذا أمر لا يجوز ، بل على العبد أن يسأل الله التوبة والمغفرة والرحمة وأن يتجاوز عنه ، ويكفر عنه سيئاته ، فالله تعالى غفور رحيم ، يقبل توبة عبده وإنابته ورجوعه إليه .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه أفلا قلت اللهم !< آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار >! قال فدعا الله له فشفاه .

[*] قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم:

في هذا الحدِيث: النَّهْي عَنْ الدُّعَاء بِتَعْجِيلِ الْعُقُوبَة، وَفِيهِ: فَضْل الدُّعَاء بِاَللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الْآخِرَة حَسَنَة وَقِنَا عَذَاب النَّار، وَفِيهِ: جَوَاز التَّعَجُّب بِقَوْلِ: سُبْحَان اللَّه، وَفِيهِ: اِسْتِحْبَاب عِيَادَة الْمَرِيض وَالدُّعَاء لَهُ، وَفِيهِ: كَرَاهَة تَمَنِّي الْبَلَاء لِئَلَّا يَتَضَجَّر مِنْهُ وَيَسْخَطهُ، وَرُبَّمَا شَكَا[١٨٢]، وَأَظْهَرُ الأَقْوَال فِي تَفْسِير الْحَسَنَة فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا الْعِبَادَة وَالْعَافِيَة، وَفِي الآخِرَة الْجَنَّة وَالْمَغْفِرَة [١٨٣] .

فالأصل الدعاء بالعافية في الدين والدنيا كما في الحديث الآتي :

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول ﷺ الله يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح { اللهم إني أسألك العفو و العافية الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي و أهلي و مالي، اللهم استر عوراتي و آمن روعاتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي .

---

[١٨٢] يعني شكا الخالق عزَّ وجَلَّ إلى المخلوقين .

[١٨٣] أنظر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي حديث رقم : ٤٨٥٣ .

➢وفي الحديث أيْضًا فَائِدَةٌ هَامَةٍ وجَلِيلَةٌ، وَهِيَ: أنَّ اَلْدُّعَاءَ اَلْمَشْرُوعَ إِنَّمَا يَكُـونُ فِـي طَلَـبِ اَلآخِرَةِ وَاَلْدُّنْيَا:

قال تعالى : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ، وَمِـنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّـارِ ﴾ (البقـرة / ٢٠٠ ، ٢٠١)

[*] قال الفَخْرُ الرَّازِي في تفسيره على الآية الكريمة: بَيَّنَ الله تعالى أن الـذين يَـدْعُونَ الله فريقان، أحدهما: يكون دُعَاؤهُمُ مَقْصُوراً على طَلَبِ الدُّنْيَا، والثاني: الذين يَجْمَعُونَ في الدُّعَاءِ بين طَلَبِ الدُّنْيَا وطَلَبِ الآخِرَةِ، وقد كان في التَّقْسِيمِ قِسْمٌ ثالث، وهو من يكون دُعَاؤهُ مَقْصُوراً على طَلَبِ الآخِرَةِ، واختلفوا في هذا القسم هل مَشْرُوعٌ أمْ لاَ؟ والأكثـرون علـى أنَّـهُ غَيْـرُ مَشْرُوعٍ .

وتحدث د. مراد هوفمان عن التوازن الكامل والدقيق بين الجسد والروح في الإسلام فقال: ما الآخرة إلا جزاء العمل في الدُّنْيَا، ومن هنا جاء الاهتمام في الدُّنْيَا، فـالقرآن يُلْهِـمُ المسـلم الدُّعَاءُ لِلْدُّنْيَا، وليس الآخرة فقط ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَـذَابَ النَّارِ ﴾ [١٨٤] .

(٥) الدعاء بما هو مستحيل، أو بما هو ممتنع عقلاً أو عادةً، أو شرعًا:

كأن يدعو بأن يخلد في الدنيا، أو أن يعطى النبوة، أو ألا يقيم الله الساعة، أو ألا يمر الناس على الصراط، أو أن يسأل الله أن يحيي الموتى، أو أن يسأل رؤية الله في الدنيا، أو أن ترفع عنه لوازم البشرية، فيستغني عن الطعام والشراب، والنَّفَس، أو أن يطلب الولد دون زواج أو تسرٍّ، أو يسأل الثمر دون زرع أو حراثة، أو أن يعطى جبلاً من ذهب، أو أن يكون متواجـدًا في مكانين في آن واحد، وهكذا دواليك...

(٦) الدعاء بأمر قد فرغ منه:

وهذا قريب مما قبله، فهذا الدعاء من باب تحصيل الحاصل؛ فالشيء إذا فرغ منه لـم يتعلـق بالدعاء فيه فائدة .

كمن يسأل الله ألا تهلك هذه الأمة بسنة بعامة، وألا يسلط الله عليها عدوًّا من سوى أنفسـها

---

[١٨٤] أنظر كتاب الإسلام كبديل لمراد هوفمان ، ص ٥٥ وما بعدها .

فيستبيح بيضتها، فهذان أمران دعا بهما النبي"وأجيبت دعوته.(١٨٥)

ومن ذلك أن يدعو ألا يدخل الكفار الجنة إن ماتوا على كفرهم، أو أن يدخلوا النار، أو أن يخلدوا فيها، أو بألا يخلد المؤمن في النار، فالدعاء بمثل هذه الأمور وما شاكلها _ تحصيل حاصل؛ لأنه دعاء بأمور قد فرغ منها.

(٧) أن يدعو بما دل الشرع على عدم وقوعه :

كأن يدعو على مسلم ألا يدخل الجنة، أو أن يدعو لكافر بدخول الجنة بعد أن مات على الكفر

.

(٨) الدعاء على الأهل والأموال والنفس:

(حديث جابر رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال :لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم .

[*] قال في عون المعبود:

"((لا تدعوا)) أي دعاء سوء ((على أنفسكم)) أي بالهلاك، ومثله ((ولا تدعوا على أولادكم)) أي بالعمى ونحوه، ((ولا تدعوا على أموالكم)) أي من العبيد والإماء بالموت وغيره، ((لا توافقوا)) نهي للداعي، وعلة النهي أي لا تدعوا على من ذكر لئلا توافقوا ((من الله ساعة نيل)) أي عطاء ((فيها عطاء فيستجيب لكم)) أي لئلا تصادفوا ساعة إجابة ونيل فتستجاب دعوتكم السوء" – [١٨٦].

(٩) كأن يدعو على شخص أن يكون مدمنًا للخمر، أو أن يميته الله كافرًا، أو أن يبتلى بالزنا أو غير ذلك، أو أن يدعو الله أن ييسر له الفساد والفجور.

(١٠) الدعاء بقطيعة الرحم :

كأن يقول: اللهم فرق بين فلان وأمه، أو أقاربه أو زوجته، أو يقول: اللهم فرق شمل المسلمين، وخالف بين كلمتهم.

(١١) الدعاء بانتشار المعاصي :

كما تفعل الرافضة؛ فهم يدعون، ويتمنون أن ينتشر الفساد، وتكثر المعاصي في الأرض؛

(١٨٥) انظر صحيح مسلم(٢٨٨٩).

[١٨٦] – عون المعبود (٢/٢٧٤-٢٧٥)

حتى يخرج المهدي ـ بزعمهم ـ فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جورًا وظلمًا!.

(١٢) تحجير الرحمة :

وقد مر بنا قريبًا، كحال من يقول: اللهم أنزل الغيث على بلادنا فحسب، أو اللهم اشفني وحدي ووفقني، وارزقني وحدي، أو نحو ذلك .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم قال للأعرابي: (لقد حجرت واسعاً). يريد رحمة الله.

(١٣) ترك الأدب في الدعاء :

وذلك بأن يدعو بما لا يليق، وبما ينافي الأدب مع الله ـ عز وجل ـ كأن يقول: اللهم يا خالق الحيَّات، والعقارب، والحمير، ونحو ذلك.

[*] قال الخطابي :

ولا يحسن أن يقال: يا ربَّ الكلاب، ويا ربَّ القردة والخنازير ونحوها من سفل الحيوان، وحشرات الأرض، وإن كانت جميع المكوَّنات إليه من جهة الخلق لها، والقدرة عليها شاملة لجميع أصنافها .(١٨٧)

ولهذا فاللائق بالعبد حال دعائه لربه أن يتأدب غاية ما يمكنه، وأن يتجنب كل ما ينافي كمال الأدب؛ ذلك أن مقامه بين يدي ربه مقام ذلة وخضوع؛ فلا يليق به إلا كمال الأدب.

[*]قال الخطابي :

ولو تقدم بعض خدم ملوك أهل الدنيا إلى صاحبه ورئيسه في حاجة يرفعها إليه، أو معونة يطلبها منه ـ لَتَخَيَّر له محاسن الكلام، ولَتَخَلَّص إليه بأجود ما يقدر عليه من البيان.

ولئن لم يستعمل هذا المذهب في مخاطبته إياه، ولم يسلك هذه الطريقة فيها معه ـ أوشك أن ينبو سمعُه عن كلامه، وألا يحظى بطائل من حاجته عنده.

فما ظنك برب العزة ـ سبحانه ـ وبمقام عبده الذليل بين يديه، ومن عسى أن يبلغ بجهد بيانه كُنْهَ الثناء عليه؟!.

وهكذا رسوله وصفيه"قد أظهر العجز، والانقطاع دونه، فقال في مناجاته : وأعوذ بك منك لا

(١٨٧) شأن الدعاء ص١٥٣.

أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

فسبحان من جعل عجز العاجزين عن شكره والثناء عليه شكرًا لهم .(١٨٨)

(١٤) الدعاء على وجه التجربة والاختبار لله تعالى :

كأن يقول: سأجرب وأدعو؛ لأرى أيستجاب لي أم لا!.

(١٥) أن يكون غرض الداعي فاسدًا :

كأن يسأل الله أن يرزقه مالاً؛ ليتكثر به ويفتخر على الناس، أو ليستعين به على المعاصي، أو أن يسأل الله ملكًا أو سلطانًا؛ ليحارب من خلاله أولياء الله، ويتسلط عليهم.

(١٦) أن يعتمد العبد على غيره في الدعاء :

فتجد من الناس من لا يدعو الله بنفسه؛ بحجة أنه مذنب، فتجده دائمًا يطلب من العلماء، والعباد، والصالحين أن يدعوا له.

(١٧) اِسْتِبْدَالِ لَفْظٍ وَارِدٍ (مَأْثُور) بِغَيْرِهِ:

(حديث البراء رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوئك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم إني أسلمت نفسي إليك وألجأت ظهري إليك وفوضتُ أمري إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلمُ به .

[*] قال ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري :

الْحِكْمَة فِي رَدّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى من قال (الرَّسُول) بَدَل (النَّبِيّ) أَنَّ أَلْفَاظ الأَذْكَار تَوْقِيفِيَّة، وَلَهَا خَصَائِص وَأَسْرَار لا يَدْخُلهَا الْقِيَاس فَتَجِب الْمُحَافَظَة عَلَى اللَّفْظ الَّذِي وَرَدَتْ بِهِ[189] .

[*] ونقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم[190] عن مجموعة من العلماء أَنَّ سَبَب الإِنْكَار[191] أَنَّ هَذَا ذِكْر وَدُعَاء، فَيَنْبَغِي فِيهِ الاقْتِصَار عَلَى اللَّفْظ الْوَارِد بِحُرُوفِهِ، وَقَدْ يَتَعَلَّق

(١٨٨) شأن الدعاء ص ١٥_١٦.

[189] أنظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم : ٥٨٣٦ .

[190] أنظر صحيح مسلم بشرح الإمام النووي حديث رقم : ٤٨٨٤ .

[191] أي إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابي رضي الله عنه عندما استبدل لفظة " نبيك " بلفظة رسولك .

الْجَزَاء بِتِلْكَ الْحُرُوف، ولَعَلَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَات، فَيَتَعَيَّن أَدَاؤُهَا بِحُرُوفِهَا، ثم قال: وهذا القول حَسَن ٠

وعليه نعلم جَلِيًّا خطأ من يَزِيدُ أو يُنْقِصَ في الأدعية المأثورة، مع الاحتفاظ بصحة المعنى، فهو مَنْهِيٌّ عنه، وأقَلُّ ما فيه أنه يُفَوِّتَ على الدَّاعِي تَحْصِيلُ أجْرِ وثواب الاتباع في الدُّعَاءِ، فمثلاً دُعَاءُ القُنُوتِ في صلاة الوتر الذي علّمه النبي صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما هو: " اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ"[192]، فعندما يدعوا إمام في صلاة الوتر قائلاً: اللهم اهدني يا مولاي فيمن هديت، ويأتي آخر فيقول: اللهم اهدني يا مولاي بفضلك فيمن هديت، وثالث فيقول: اللهم اهدني يا مولاي بفضلك ومنّك وكرمك فيمن هديت و٠٠٠، نقول له قف! لقد اِعْتَدَيْتَ وتَجَاوَزْتَ الدُّعَاءَ المأثور بإضافتك لألفاظ من عندك حَتْمًا هي ليست بأفضل وأكمل مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم الذي علّم أمته في شخص الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما دعاء كاملاً لا ينقصه شيء، ومن هنا يتضح وضوحاً جلياً أن « اتباع السنة أولى من كثرة العمل »

ثم إن الالتزام بالدُّعَاءِ المأثور فيه الجمع بين فضيلتين: فَضِيلَةُ الدُّعَاءِ، وفَضِيلَةُ اِتْبَاعِ السُّنَّةِ المُطَهَرَةِ، مِمَّا يَجْعَلُ الدُّعَاءَ أَقْرَبُ مِنِ القَبُولِ وأدْعَى للإِجَابَةِ ٠

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

المَشْرُوعُ للإنسان أن يدعو بالأدعية المأثورة؛ فإن الدُّعَاءَ من أفضل العبادات، وقد نَهَانَا الله عن الاِعْتِدَاءِ فيه، فينبغي لنا أن نَتَبِعَ ما شُرِّعَ وسُنَّ، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات، والذي يَعْدِلُ عن الدُّعَاءِ المُشْرُوعِ إلى غيره، الأحْسَنُ له أن لا يَفُوتَهُ الأكْمَلُ والأفْضَلُ، وهي الأدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ، فإنَّها أفْضَلُ وأكْمَلُ باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك وإن قالها بعض الشيوخ، فكيف وقد يكون في عَيْنِ الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك ؟!

[192] الحديث رواه أبو داود (أنظر صحيح أبو داود : ١٢٦٣) ونصه : عن أبي الحوراء قال : قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر : " اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت"، وقال الترمذي: لانعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت في الوتر شيئاً أحسن من هذا ٠

ومن أشَدِّ الناس عَيْباً من يَتَّخِذُ حِزْباَ ليس بمأثور عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَيَدَعُ الأحزاب النَّبَوِيَّة التي كان يقولها سَيِّدُ بَنِي آدَمَ وإمَامُ الخَلْقِ وحُجَّةُ الله على عباده[193] .

[*] لذا شَدَّدَ الإمام أحمد على من يزيد في ألفاظ القنوت ولو حرفاً واحداً فقال : وقد كان المسلمون يُصَلُّونَ خلف من يَقْنُتُ وخلف من لا يَقْنُتُ ، فإذا زَادَ في القُنُوتِ حَرْفاً .. فإن كنت في الصلاة فاقطعها[194] .

وكذلك في الدُّعَاءِ المشهور الذي علّمه النبي صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة رضي الله عنها لكي تدعو به إذا وافقت ليلة القدر " اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي "[195] ، فيأتي أحدهم ويدعوا قائلاً : اللهم إنك عَفُوٌّ غَفُورٌ تحب العفو فاعف عني، وثاني فيقول : اللهم إنك عفو غفور شكور تحب العفو فاعف عني، وثالث يدعوا فيقول: اللهم إنك عفو غفور شكور جواد رحيم تحب العفو فاعف عني و...، لا شك أن هذا تَعَدِّي مَنْهِيٌّ عنه،

➢والتَّعَدِّي يعني: تَجَاوُزُ مَا يَنْبَغِي أنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ[196] ، فهذا التَّعْدِي يمنع أجر وفضيلة الاتباع عند الدُّعَاءِ المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل وربما يمنع قَبُولَ الدُّعَاءِ كما أسلفنا .

فجاهد نفسك أن تتعلم وتحفظ الأدعية المأثورة بِنَصِّهَا، حتى تَدْعُوا بها كاملة كما وردت دون نقص فيها ولا زيادة ، فتنال فضيلة الدُّعَاءِ والاِتِّبَاعِ .

(١٨) اَلتَّغَنِي وَاَلتَّمْطِيط (تَحْرِيرُ النَّغَمِ) :

[*] قال المناوي[197]:

قال الكمال ابن الهمام: ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التَّمْطِيطِ، والمبالغة في الصِّيَاحِ، والاشتغال بِتَحْرِيرَاتِ النَّغَمِ إظهاراً للصناعة النَّغَمِيَةِ، لا إقَامَةً لِلْعُبُودِيَّةِ، فإنه لا يَقْتَضِي الإجابة، بل هو من مُقْتَضَيَاتِ اَلْرَدِّ، وهذا معلوم إن كان قَصْدُهُ إعْجَابُ الناس به، فكأنه قال إعْجَبُوا مِنْ حُسْنِ صَوْتِي وتَحْرِيرِي، ولا أرى تَحْرِيرَ النَّغَمِ في الدُّعَاءِ كما يفعله القرّاء في هذا الزمان

---

[193] أنظر مجموع الفتاوى ، ج ٢٢ ، ص ٣٠٨ .

[194] أنظر رسالة الصلاة لابن القيم ص ١٧١ . (نقلا عن كتاب الدعاء لجيلان العروسي ص ٥٨٤) ، وتصفح موقع: arabic.islamicweb.com/Books على الشبكة العنكبوتية .

[195] أنظر صحيح ابن ماجه رقم : ٣١٠٥ ، وورد في سنن الترمذي : " اللَّهُمَّ إنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي " بزيادة لفظة " كريم " .

[196] أنظر معجم مقاييس اللغة ج ٤ ، ص ٣٤٩ (نقلا عن كتاب الدعاء لجيلان العروسي ص ١٧٣) .

[197] أنظر فيض القدير حديث رقم : ٣١٦ ، ج١ ، ص ٢٩١ .

يصدر ممن يفهم معنى الدُّعَاء والسؤال إذ مقام طلب الحاجة: التَّضَرُّع، لا التَّغَنِي، فاستبان أن ذاك ــ أي التَّغَنِي والتَّمْطِيطُ ــ من مقتضيات اَلْخَيْبَةِ واَلْحِرْمَان٠أ٠هــ

وللأسف احترف بعض الأئمة اَلتَّغَنِي وَاَلتَّمْطِيطِ في الدُّعَاءِ، حتى أنه يَهْتَمُّ بالدُّعَاءِ أكثر من اهتمامه بقراءة القرآن في الصلاة، فتراه يُفْرِغ جُهْدَهُ في اَلتَّغَنِي بالدُّعَاءِ وتحسين صوته وتَمْطِيطِ الكلام، وربما أجرى على الدُّعَاءِ أحكام تلاوة القرآن الكريم من مَدٍّ وإخْفَاءٍ وإدْغَام، كل هذا لِيَسْتَدِرَّ دموع المصلين ويُرْضِي نفسه بأنه استطاع أن يَصِلَ بهم إلى مرحلة الخشوع وذرف الدموع٠

فالتَّغَنِي وتَحْسِينِ الصَّوْتِ هو من خصائص القرآن الكريم، أمَّا الدَّعَاء فالمشروع فيه أن يكون على السَّجِيةِ بلا تَكَلُّفٍ ولا تَغَنِي٠

(١٩) اَلتَّفْصِيلُ في اَلْدُّعَاءِ (كَثْرَةُ اَلأَلْفَاظِ) :

(حديث أبي نَعَامَةَ الثابت في صحيح أبي داود) عن ابن لسَعْدٍ أنه قال: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَبَهْجَتَهَا وَكَذَا وَكَذَا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ النَّارِ وَسَلَاسِلِهَا وَأَغْلَالِهَا وَكَذَا وَكَذَا فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ " فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الْخَيْرِ ،وَإِنْ أُعِذْتَ مِنْ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنْ الشَّرِّ .

[*] قال ابن تيمية[١٩٨]:

الدُّعَاءُ ليس كُلُّهُ جائزاً، بل فيه عُدْوَانٌ مُحَرَّم، والمَشْرُوعُ[١٩٩] لا عُدْوَانَ فيه، وأن العُدْوَانَ يَكُونُ تَارَةً بِكَثْرَةِ الأَلْفَاظِ، وتَارَةً في المَعَانِي، كما فَسَّرَ الصحابة ذلك ٠٠٠ ثم أورد الأحاديث المذكورة سابقاً ٠

(حديث عائشة في صحيح أبي داود) قالت كان رسول الله يستحب الجوامع من الدعاء وَيَدَعُ ما سوى ذلك .

[*] قال في عون المعبود بشرح سنن أبي داود :

١٩٨ الفتاوى ، ج ٢٢ ، ص ٢٧٧ ٠

١٩٩ أي الوارد في القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية المطهرة ٠

الْجَامِعَة لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَهِيَ مَا كَانَ لَفْظه قَلِيلاً وَمَعْنَاهُ كَثِيرًا، كما في قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الآخِرَة حَسَنَة وَقِنَا عَذَاب النَّار ﴾ ومثل الدُّعَاء بِالْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة[٢٠٠].

فمن صور الاعتداء تَكْثِيرُ الكلام الذي لا دَاعِيَّ له ولا حاجة إليه، والتَّكَلُّفِ في ذِكْرِ التَّفَاصِيلِ، كأن يدعو ربَّهُ أن يرحمه إذا وُضِعَ في اللحد تحت التراب والثرى ، وكذلك أن يرحمه إذا سالت العيون وبليت اللحوم، وأن يرحمه إذا تركه الأصحاب وتولى عنه الأهل والأحباب[٢٠١]، أو يدعو على عدوه أن يُخْرِسَ الله لسانه ويُشِلَّ يده، ويُجَمِدَ الدَّمَ في عُرُوقِه....

ومما لا شك فيه أن النتيجة الطبيعية لهذا الاعتداء هو إصابة اَلْمُصَلِينَ بِاَلْمَلَلِ، والملل يُذْهِبُ التَّدَبُّرَ والخُشُوعِ ويُودِي بِاَلْمُصَلِي إلى الغَفْلَةِ، وهي حالة مَنْهِيٌّ عنها إذ لا تتناسب ومقام التَّذَلُّلِ والطَّلَبِ من الله تعالى اَلْمُطَّلِعِ على أحوال النُّفُوسِ وما تُكِنُّهُ الصُّدُور .

فَالإِطَالَةِ اَلْمُمِلَّةِ تُرْهِقُ اَلْمُصَلِي وتُصِيبُهُ بَاَلْمَلَلِ وَاَلْغَفْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَ نَهْيُ اَلْغَافِلَةُ قُلُوبُهُمْ عَنْ اَلْدُّعَاءِ :

(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة و اعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاه .

[*] قال الإمام المناوي[٢٠٢]:

أي لا يَعْبَأ ــ سبحانه ــ بسؤال سائلٍ غَافِلٍ عن الحضور مع مولاه، مَشْغُوفٌ بما أهَمَّهُ من دُنْيَاهُ ..والتَّيَقُظُ والجِدُّ في الدُّعَاءِ من أعظم آدابه، ثم نقل عن الفخر الرازي أنه قال: أجمعت الأمَّةُ على أن الدُّعَاءَ اَللِسَانِيّ الخَالِي عَنْ الطَّلَبِ النَّفْسَانِي قَلِيلُ النَّفْعِ عَدِيمُ الأثَرِ .

[*] وقال النووي[٢٠٣]:

اعلم أن مقصود الدُّعَاء هو حضور القلب، والدلائل عليه أكثر من أن تُحْصَرَ والعلم به أوضح من أن يُذْكَرَ.

---

[٢٠٠] يشير إلى الحديث الشريف : " اسألوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يُعْطَ بعد اليقين خيرا من العافية ..." (رواه الترمذي، أنظر صحيح الترمذي رقم ٢٨٢١) والعفو معناه التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، والعافية: أن تسلم من الأسقام والبلايا وهو ضد المرض.

[٢٠١] ويكفيه أن يدعوا بالرَّحمة عند الممات .

[٢٠٢] أنظر فيض القدير حديث رقم : ٣١٦ ، ج١ ، ص ٢٩١ .

[٢٠٣] أنظر الأذكار ص ٥٦١ ، طبعة دار الفكر ١٤٠٣هـ .

[*] وقال البيهقي في شُعَبِ الإيمان :

أنَّ الدُّعَاءَ له أركان منها أن يَسْأَلَ مَا يَسْأَلَ بِجِدٍ وحَقِيقَةٍ، ولا يأخذ دُعَاءً مُؤلَفاً يَسْرُدُهُ سَرْداً وهو عن حَقَائقِهِ غَافِلٌ[204] .

وأورد في الشُّعَبِ عن أبي بكر الشَّلَبي أنه قال في قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٦٠ ــ غافر) قال: اُدْعُونِي بِلاَ غَفْلَةٍ أَسْتَجِبْ لَكُمْ بِلاَ مُهْلَةٍ[205] .

[*] وقال ابن رجب الحنبلي[206] :

الدُّعَاءُ سَبَبٌ مُقْتَضٍ للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، وقد تَتَخَلَّف إجابته لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه، ومن أعظم شرائطه حضور القلب، ورجاء الإجابة من الله تعالى . أ . هـ .

ولا شك أن الإطْنَابَ والاسْتِرْسَالَ في الدُّعَاءِ يُصِيبَانِ المُصَلِّي بالمَلَلِ ويُذْهِبَانِ الْخُشُوعَ ويجعلان هَمَّ المُصَلِي وجُلَّ تفكيره لا التَّدَبُرِ والتَّفَكُرِ في معاني الدُّعَاء بل متى سينتهي الإمام من الدُّعَاء .

ولطالما أوصى العلماء والفقهاء بعدم الإطالة المملة في دُعَاءِ القنوت حتى لا يُصَابَ المُصَلِي بالسَّأمِ والمَلَلِ، جاء عن الإمام مالك أنه قال: لَعْنُ الْكَفَرَةَ فِي رَمَضَانَ إذَا أَوْتَرَ النَّاسُ فَصَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ ثُمَّ قَامَ بِهِ الثَّالِثَةَ فَرَكَعَ فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ وَقَفَ يَدْعُو عَلَى الْكَفَرَةِ وَيَلْعَنُهُمْ وَيَسْتَنْصِرُ لِلْمُسْلِمِينَ وَيَدْعُو، قَالَ وَكُلُّ ذَلِكَ شَيْءٌ خَفِيفٌ غَيْرُ كَثِيرٍ[207] .

[*] ومن وصايا الشيخ عبد العزيز بن باز قال:

الأفضل للإمام في دُعَاءِ القُنُوتِ تحري الكلمات الجامعة وعدم التَّطْوِيلِ على النَّاس، ويقرأ: اللهم اهدنا فيمن هديت الذي ورد في حديث الحسن في القنوت ويزيد معه ما يتيسر من الدَّعَوَاتِ الطَّيبَةِ كما زاد عُمر، ولا يَتَكَلَّفُ ولا يُطَوِّلُ عَلَى النَّاسِ ولا يَشُقَ عليهم[208] .

والمُتَأَمِلُ في هَدْيِهِ وسُنَّتِهِ صلى الله عليه وسلم حال الدُّعَاءِ يعلم جلياً أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يُطِيلُ ويُكْثِرُ من الألفاظ والكلام في الدُّعَاءِ، فعندما سألته أحَبُّ الناس إليه السيدة عائشة رضي الله عنها أن يُعَلِّمَهَا دُعَاءً تدعوا به إذا وافَقَتْ ليلة القدر فعلمها دُعَاءً خفيفاً

---

٢٠٤ أنظر شعب الإيمان ، ج ٢ ، ص ٤٤ .

٢٠٥ المصدر السابق ص ٥٤ .

٢٠٦ جامع العلوم والحكم ، ج ٢ ، ص ٤٠٢ .

٢٠٧ أنظر المنتقى شرح موطأ مالك رقم: ٢٣٤ .

٢٠٨ المرجع : فتاوى التراويح عبر موقع www.al-islam.com على الشبكة العنكبوتية .

قليلاً في ألفاظه كثيرا عظيما في معانيه "اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي "، فَلْنَتَعَلَّمَ هَدْيَهُ صلى الله عليه وسلم حال الدُّعَاءِ، فكلمات مأثورة قليلة خير من جُمَلٍ وعِبَارَاتٍ مُخْتَرَعَةٍ طَوِيلَةٍ مُمِلَّةٍ.

[*] قال ابن قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيُّ:

في اِتْبَاعِ السُّنَّةِ بَرَكَةُ مُوَافَقَةُ الشَّرْعِ، وَرِضَى الرَّبِّ سبحانه، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَرَاحَةُ القَلْبِ، ودَعَةُ البَدَنِ، وتَرْغِيمُ الشَّيْطَانِ، وسُلُوكُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ[209] .

➢إِنْتَبِه: لَيْسَ مِنَ الاِعْتِدَاءِ:

[*] قال الخطَّابي[210]:

ليس معنى الاعتداء الإكثار من الدعاء .

(حديث عائشة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه .

(٢٠) تَكَلُّفُ اَلسَّجْعِ وَاَلإِعْرَابِ :

السَّجْعُ هو: الكلام اَلْمُسْتَوِي على نَسَقٍ وَاحِدٍ[211]، وهو مَكْرُوهٌ في الدُّعَاءِ إنْ تَعَمَّدَهُ وتَكَلَّفَهُ الدَّاعِي لأنه يُشْغِلُ عَقْلَهُ ويُشَتِّتُ قَلْبَهُ عن التَّدَبُرِ والتَّفَكُرِ، وقد عَنْوَنَ البخاري في صحيحه[212] فقال: ما يُكْرَهُ من السَّجْعِ في الدُّعَاءِ، ثم أورد الخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ... فانظر السَّجْعَ من الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ فإني عَهِدْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك، يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجْتِنَاب .

[*] قال ابن حجر في فتح الباري بشرح صحيح البخاري:

(وانظر السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ) أي: لا تَقْصِدَ إليه ولا تُشْغِل فِكْرَكَ به لما فيه من التَّكَلُّفِ المانع للخشوع المطلوب في الدُّعَاءِ ، وقوله (لا يفعلون إلا ذلك) : أي تَرْكُ السَّجْعِ.

ثم نقل عن الإمام الغزالي أنه قال :

المكروه من السَّجْعِ هو اَلْمُتَكَلَّف لأنه لا يلائم الضَّراعة والذِلَّة، وإلاَّ ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير مُتَكَلَّفَة .

---

[209] أنظر كتاب ذمّ الموسوسين ص ٤١ .
[210] أنظر كتاب: سلاح المؤمن في الدعاء ج١، ص ١٤٨ .
[211] انظر لسان العرب ج ٢ ، ص ١٠١ ، مادة : سجع .
[212] انظر حديث رقم : ٥٨٦٢ .

ونقل في عون المعبود شرح سنن أبي داود :

عن الغزالي في الإحياء أنه قال : إن المراد بالاعتداء أن يَتَكَلَّفَ السَّجْعَ في الدُّعَاءِ .

[*] وقال الإمام النووي في كتابه الأذكار في باب آداب الدعاء:

أن لا يَتَكلَّفَ السَّجْعَ وقد فُسِّرَ به الاعتداء في الدُّعَاءِ، والأولى أن يقتصر على الدعوات المأثورة، فما كل أحد يُحْسِنُ الدُّعَاء فيُخَافُ عليه الاعتداء، ثم قال: وقال بعضهم: اُدْعُ بِلِسَانِ الذِلَّةِ والافْتِقَارِ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق .

[*] وأورد الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم:

أن السَّجْعَ المذموم في الدُّعَاءِ هو اَلْمُتَكَلَّفُ، فإنه يُذهب الخشوع والخضوع والإخلاص، ويُلْهِي عن الضَّراعة والافْتِقَارِ وفراغ القلب، فأمَّا ما حصل بلا تَكَلُّف ولا إعْمَالِ فِكْرٍ لِكَمَالِ الفَصَاحَةِ ونحو ذلك، أو كان محفوظا فلا بأس به، بل هو حَسَنٌ[٢١٣] .

(٢١) اَلنَّهْيُ عَنْ تَكلُّفِ الإعْرَاب:

ومثل النهي عن تَكَلُّفِ السَّجْعِ ، مَنْهِيٌّ عن تَكَلِّفِ الإعراب في الدُّعَاءِ لأنَّهما يَصْرِفَانِ القلب عن الخشوع،

[*] قال ابن تيمية:

ينبغي للدَّاعِي إذا لم تكن عادته الإعراب ألاَّ يتكِلَّفَ الإعراب، قال بعض السلف: إذا جاء الإعراب ذهب الخشوع، وهذا كما يُكره تكلُّف السَّجْعِ في الدُّعَاءِ، فإذا وقع بغير تَكَلُّفٍ فلا بأس به، فإن أصل الدُّعَاء من القلب، واللسان تابع للقلب، ومن جعل هِمَتُهُ في الدُّعَاءِ تَقْوِيمَ لِسَانِهِ، أضْعَفَ تَوَجُهَ قَلْبِهِ، ثم قال: والله ـ سبحانه ـ يَعْلَمُ قَصْدَ الدَّاعِيَ ومُرَادَهُ، وإن لم يُقوِّم لسانه، فإنه يعلم ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تنوع الحاجات[٢١٤] .

(٢٢) رَفْعُ اَلْصَّوْتِ فَوْقَ اَلْحَاجَةِ وَاَلْنَّوْحُ وَاَلْبُكَاءُ :

[*] قال اِبْنُ حَجَرَ العَسْقَلاَنِيُّ [٢١٥]:

الاِعْتِدَاءُ في الدُّعَاءِ يَقَعُ بزيادة الرَّفْعِ فَوْقَ الحَاجَةِ أو بِطَلَبِ ما يَسْتَحِيلُ حُصُولُهُ شَرْعاً أو بِطَلَبِ مَعْصِيَةٍ أو يدعو بما لم يُؤْثَرْ خصوصا ما وَرَدَتْ كَرَاهَتُهُ كالسَّجْعِ اَلْمُتَكَلَّفِ .

[*] وقال قَتَادَةُ[٢١٦]:

[٢١٣] أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، حديث رقم : ٤٨٩٩ .

[٢١٤] أنظر مجموع الفتاوى ، ج ٢٢ ، ص ٢٨٧ .

[٢١٥] أنظر فتح الباري ، ج ٨ ، ص ١٩٨ .

إنَّ الله إنَّمَا يُتَقَرَّبُ إليه بطاعته، فما كان من دُعَائِكُمُ الله فَلْيَكُنْ في سَكِينَةٍ ووَقَارٍ وَحُسْنِ سَمْتٍ وَهُدَيً وَحُسْنِ دَعَةٍ .

[*] وعن الحسن[217] قال:

لقد كان المسلمون يَجْتَهِدُونَ في الدُّعَاءِ وما يُسْمَعُ لهم صَوْتٌ، إنْ كان إلا هَمْسًا بينهم وبين ربِّهِمُ، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ وذلك أن الله تعالى ذَكَرَ عَبْدًا صَالِحاً فَرَضِيَّ له قَوْلُهُ، فقال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًا ﴾ (٢ ــ مريم) .

[*] قال ابن مفلح: "يكره رفع الصوت بالدعاء مطلقا، قال المروزي سمعت أبا عبد الله يقول: ينبغي أن يسرَّ دعاءه لقوله تعالى: (وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً) [الإسراء / ١١٠]

[*] وعن ابن جريج[218] قال:

إن من الدُّعَاءِ إعْتِدَاء ، يُكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ، ويؤمر بالتضرع والاستكانة .

[*] وعن زيد بن أسلم:

كان يَرَىَ أن الجَهْرَ بالدُّعَاءِ إعْتِدَاءً[219] .

[*] وعن سعيد بن جبير في قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا ﴾ يعني: مُسْتَكِينًا ، ﴿ وَخُفْيَةً ﴾ يعني: في خَفْضٍ وَسُكُونٍ في حاجاتكم من أمْرِ الدُّنيا والآخرة[220] .

[*] وعن الأوزاعي قال:

ليس في القنوت رَفْعٌ ، ويُكره رَفْعُ الأصوات في الدُّعَاءِ[221] .

[*] وقيل للحسن البصري:

إنَّهم يَضُجُّونُ في القنوت، فقال: أخطأوا السُّنَّة، كان عُمر يَقْنُتُ ويُؤَمِّنُ مَنْ خَلْفَهُ[222] .

[*] وفي عون المعبود بشرح سنن أبي داود، قال:

---

[216] أنظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٤ ـ ٥٥ ـ الأعراف) .
[217] أنظر تفسير ابن كثير على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .
[218] أنظر تفسير الطبري على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .
[219] المرجع السابق .
[220] المرجع السابق .
[221] نقلا عن كتاب رهبان الليل د . سيد العفاني ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .
[222] المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٣٩ .

المراد بالاعتداء فيه ــ أي الدُّعَاءُ ــ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ، وقيل: الدُّعَاءُ بما لا يجوز ورفع الصوت به والصِّيَاحُ، وقيل: سؤال مَنَازِلَ الأنبياء عليهم السلام .

[*] وقال النووي[٢٢٣]:

يُستحب أن يَخْفِضَ صوته بالدُّعَاءِ، ويُكْرَهُ الإِفْرَاطُ في رَفْعِ الصَّوْتِ .

ومثل رفع الصوت فوق الحاجة، البُكَاءُ والصُّرَاخُ والعَوِيلُ كلُّ ذلك مِنْهِيٌّ عنه، فهو فضلاً عن أنه إزعاج وتشويش على الآخرين، فإنه يُنَافِي آداب التَّضَرُّعِ والسُّؤَالِ، فالأدب أن يَمْتَثِلَ الدَّاعِي لأمْرِ الله عِزَّ وَجِلَّ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة فقد كان يُصَلِّي ولِجَوْفِهِ أزيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ يَعْنِي من البكاء.

(لحديث عبد الله بن الشخير الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي فسمعت لصدره أزيزاً كأزيز المرجل من البكاء .

وأزيز المرجل أي: صوت الماء عندما يَغْلِي في الإناء.

فَنبينا محمد صلَى الله عليه وسلم مع تدبره وخشوعه وبكاءه لم يَكُنْ يَرْفَعُ صوته ويُزْعِجُ أو يُشَوِّشُ على أحد .

[*] قال في تفسير البحر المحيط[٢٢٤]:

قال العلماء: الاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجَهْرُ الكثير والصِّياحُ .

[*] وقال الشوكاني[٢٢٥] :

ومن الاعتداء في الدعاء أن يرفع صوته بالدعاء صارخاً به .

اَلْغَفْلَةُ عِنْدَ تِلاوَةِ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ وَاَلتَّأَثُّرِ عِنْدَ سَمَاعِ اَلْدُّعَاءِ :

قال تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ (٢١ــ الحشر) قال الفخر الرازي: المعنى أنه لو جُعِلَ في الجبل عَقْلٌ كما جُعِلَ فيكم، ثم أنزل عليه القرآن لَخَشَعَ وَخَضَعَ وَتَشَقَّقَ مِنْ خَشْيَةِ الله[٢٢٦] .

[*] وقال القرطبي في تفسيره:

---

[٢٢٣] أنظر المجموع للنووي ، وهو يتحدث عن دُعَاءِ الحَاجِّ بعرفة، ج ٨، ص ١٢٦ .

[٢٢٤] أنظر تفسير البحر المحيط على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .

[٢٢٥] أنظر تفسير فتح القدير على الآية (٥٥ ـ الأعراف) .

[٢٢٦] تفسير الرازي على الآية (٢١ ـ الحشر) .

حَثَّ تعالى على تأمل مواعظ القرآن وبين أنه لا عُذْرَ في ترك التَّدَبُر؛ فإنه لو خُوطِبَ بِهَذَا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة؛أي: مُتَشقِقَة من خشية الله ، والخاشع: الذليل ، والمُتَصَدِع: المُتَشَقِق[227].

[*] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

يقول تعالى: لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه تصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله عز وجل الناس إذا أنزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع[228].

فالعَجَبُ كل العَجَبِ من مُصَلٍّ عظمة غفلته أثناء قراءة الإمام للقرآن الكريم ، ومن فَلْتَتِهِ ويَقَظَتِهِ عندما يشرع الإمام في الدُّعَاء ، فهل كلام البشر أشَدُّ أثراَ في نفسه من كلام الله تعالى !؟

[*] ومن فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز عندما سُئِلَ : من يبكي في الدُّعَاءِ ولا يبكي عند سماع كلام الله تعالى ؟

أجاب: هذا ليس باختياره فقد تتحرك نفسه في الدعاء ولا تتحرك في بعض الآيات، لكن ينبغي له أن يعالج نفسه ويخشع في قراءته أعظم مما يخشع في دعائه، لأن الخشوع في القراءة أهم، وإذا خشع في القراءة وفي الدعاء كان ذلك كله طيبا لأن الخشوع في الدعاء أيضا من أسباب الإجابة، لكن ينبغي أن تكون عنايته بالقراءة أكثر لأنه كلام الله فيه الهدى والنور[229] .

(٢٣) كثرة اللحن : خصوصًا إذا كان يحيل المعنى ، أو كان ناتجًا عن قلة مبالاة، أو كان ناتجًا من إمام يُؤَمِّنُ الناس خلفه .

[*] قال الخطابي : ومما يجب أن يراعى في الأدعية الإعراب الذي هو عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى، وبعدمه يختل ويفسد .

وربما انقلب المعنى باللحن حتى يصير كالكفر إن اعتقده صاحبه، كدعاء من دعا، أو قراءة من قرأ[إياك نعبد وإياك نستعين]بتخفيف الياء من إيَّاك؛ فإن الأيا ضياء الشمس، فيصير كأنه

[227] تفسير القرطبي على الآية (٢١ - الحشر) .
[228] تفسير الطبري على الآية (٢١ - الحشر)
[229] المرجع : فتاوى التراويح عبر موقع www.al-islam.com على الشبكة العنكبوتية .

يقول: شمسك نعبد، وهذا كفر .[230]

وقال : وأخبرني أحمد بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال: حدثنا بن المرزبان عن الرَّياسيٍّ قال: مَرَّ الأصمعي برجل يقول في دعائه: يا ذو الجلال والإكرام، فقال: ما اسمك؟ قال: ليث، فأنشأ يقول:

يناديِ ربّه باللحن ليثٌ   لذاك إذا دعاه لا يجيب [231]

والمقصود أن الإعراب مطلوب حال الدعاء _ كما مر _.

أما إذا كان الإنسان غير قادر على الإعراب فلا شيء عليه؛ إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها .

(٢٤) قلة الاهتمام باختيار الاسم المناسب أو الصفة المناسبة:

فتجد بعض الداعين ، أو كثيرًا منهم لا يهتم بهذا الأمر ، فمن ذلك قول بعضهم : اللهم ارحمني يا شديد العقاب ، أو اللهم عليك بالكفار يا أرحم الراحمين، أو نحو ذلك...

(٢٥) اليأس أو قلة اليقين من إجابة الدعاء :

فكثير من الناس إذا أصيب بمرض عضال يغلب على الظن أنه لا يبرأ، وأن المصاب به لا يشفى _ تجده يَدَعُ الدعاء، ويترك اللجوء إلى الله ؛ ليأسه، وقلة يقينه بأن الله قادر على تبديل الحال .

وربما ألقى الشيطان في رَوْعِهِ أن الدعاء لا داعي له في هذه الحالة، ولا فائدة وراءه حِيال هذا الأمر، كحال من يصاب بمرض السرطان _ عياذًا بالله _ فتجد تلك الحال تغلب عليه، بل ربما غلبي على أقاربه وذويه ، فتراهم يتركون الدعاء لهذا المريض؛ بحجة أن هذه الحالة خطيرة ، وأنها تنتهي بالوفاة في الأعم الأغلب؛ لذا لا فائدة من الدعاء لهذا المريض، ولا داعي له _ بزعمهم _!.

فهذا خطأ في باب الدعاء، وجهل بالله، وما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه.

فيا سبحانه الله! أما علم أولئك أن الله على كل شيء قدير؟ وأن أزمَّة الأمور بيده _ تبارك وتعالى _ وأنه يقول للشيء كن فيكون ؟ وأن الذي كتب الضر قادر على كشفه ؟

بل ما علموا أن الدعاء _ بحد ذاته _ عبادة عظمى ؟ وأن انتظار الفرج من أجل العبادات ؟

---

(٢٣٠) شأن الدعاء ص١٩.
(٢٣١) شأن الدعاء ص٢٠.

وأن الافتقار إلى الله واللجوء إليه عين الفلاح ورأس العز؟.

بل ما علموا أن الله قد يشفيه ؟، أو يخفف عنه بعض ما يعانيه؟، أو يرزقه _ بفضل ذلك الدعاء _ من الثبات والطمأنينة والرضا ما لا يجده لو كان سليمًا معافى ؟.

وكذلك الحال بالنسبة لبعض من يبتلى بالعقم ، أو تأخر الإنجاب عنه، فمنهم من يرغب عن دعاء الله، وسؤاله الذرية الصالحة؛ بحجة أن الأمر قد كتب وقدر، فلا داعي للدعاء في ذلك الأمر، إذ لا فائدة من وراءه بزعمه!.

فهذا الكلام لا ينبغي أن يصدر من مسلم؛ فالله _ عزَّ وجل _ هو الذي قدر العقمَ وتَأَخُّرَ الإنجاب، وهو القادر على أن يمد الإنسان بالأولاد؛ فالأمر أمره، والقدر قدره، والكون كله ملك له؛ فكيف تيأس _ أيها المسلم _ من روح الله، أو تقنط من رحمته؟

فهذا زكريا _ عليه السلام _ عندما قال : (رَبّ هَبْ لِي مِن لّدُنْكَ ذُرّيّةً طَيّبَةً إِنّكَ سَمِيعُ الدّعَآءِ) [آل عمران / ٣٨]

أجاب الله دعاءه، : (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّي فِي الْمِحْرَابِ أَنّ اللّهَ يُبَشّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدّقاً بِكَلِمَةٍ مّنَ اللّهِ وَسَيّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مّنَ الصّالِحِينَ) [آل عمران / ٣٩]

كل ذلك مع أن زكريا قد بلغ من الكبر عتيًّا ، وأن امرأته كانت عاقرًا!.

وقل مثل ذلك في شأن بعض الوالدين الذين يَدَعُون الدعاء لأولادهم ؛ يأسًا من صلاحهم ، وذلك إذا رأوا منهم تمردًا وتماديًا في الغواية والضلال.

فتجد هذا الوالد يقول:

أنا يئست من صلاح ولدي، وتركت الدعاء له!

سبحان الله! أتيئس من روح الله ؟ أم تحجر رحمة الله ؟ أما علمت أن دعاء الوالد مستجاب ، وأن الدعوة الصالحة قد تدركه ولو بعد حين، إما أن يكون ذلك في حياتك فترى صلاحه واستقامته، أو بعد مماتك وفراقك الدنيا، فتسعد ببركة دعائه.

ثم ماذا يضيرك من الدعاء؟

ثم إن الولد ولدك مهما كان ، والعرب تقول: أنفك منك وإن ذَنَّ [٢٣٢]، وعيص[٢٣٣] منك وإن كان أشبًا[٢٣٤] .[٢٣٥]

---

(٢٣٢) ذن: سال مخاطه.
(٢٣٣) عيصك: العيص الشجر الكثيف الملتف.
(٢٣٤) أشبًا: الأشب شدة التفاف الشجر.
(٢٣٥) عيون الأخبار، ٣/٨٩.

وكذلك الحال بالنسبة لبعض المسلمين ؛ فما أن يشاهد ما عليه المسلمون من التمزق ، والتخلف والتفرق ـ إلا ويدِب اليأس إلى قلبه، وإذا قيل له: ادع للمسلمين بأن يصلح الله أحوالهم، هز عطفيه، وأومأ برأسه موحيًا بأن لا أمل في الإصلاح ؛ فلا داعي ـ إذًا ـ للدعاء .

كل ذلك خطأ، ومنافٍ للثقة بالله ـ عز وجل ـ والتصديق بوعده الصادق الذي لا يختلف .

(٢٦) أن يفصل الداعي تفصيلاً لا لزوم له :

كما يقول بعض الناس: اللهم اغفر لآبائنا، وأمهاتنا، وأجدادنا، وجداتنا، وأخوالنا، وخالاتنا، وأعمامنا، وعماتنا، ثم يمضي في تعداد أقاربه، وينتقل بعد ذلك إلى الدعاء لجيرانه، وزملائه، وهكذا يستغرق وقتًا ليس باليسير في هذه التفاصيل.

وكان يغنيه أن يقول: اللهم اغفر لنا، ولإخواننا وأحبابنا، وأقاربنا، أو اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، ورحمةُ الله واسعة.

أما إذا لم يصل التفصيل إلى مبالغة وتطويل ـ فلا بأس به؛ فقد ورد في السنة ما يدل على ذلك.

(٢٧) دعاء الله بأسماء لم ترد في الكتاب والسنة :

كقول بعض الناس: يا سلطان ، يا غفران، يا سبحان، يا برهان، ونحوها؛ فإنها ليست من أسماء الله ـ تعالى ـ.

[*] قال الخطابي رحمه الله :

ومما يسمع على ألسنة العامة وكثير من القُصَّاص قولهم: يا سبحان، يا برهان، يا غفران، يا سلطان، وما أشبه ذلك .

وهذه الكلمات ـ وإن كان يتوجه بعضها في العربية على إضمار النسبة بذي ـ فإنه مستهجن، مهجور؛ لأنه لا قدوة فيه .(٢٣٦)

وكذلك قول بعضهم : يا ربَّ القرآن .

[*] قال الخطابي رحمه الله : وأول من أنكر ابن عباس فإنه سمع رجلاً يقول عند الكعبة: يا ربَّ القرآن فقال: مَهْ! إن القرآن لا ربَّ له؛ إن كل مربوب مخلوق .(٢٣٧)

---

(٢٣٦)،(٢) شأن الدعاء ص١٧

(٢٨) المبالغة في رفع الصوت :

وهذا الأمر قد انتشر في زماننا هذا بخاصة ، لوجود مكبرات الصوت، فربما سمعت الـداعي إمامًا في شرق المدينة وأنت في غربها .

وهذا خطأ؛ إذ لا داعي للتزيد في رفع الصوت؛ فإنه اعتداء، وباب من أبواب الرياء؛ فـالأولى بالداعي إذا كان إمامًا أن يرفع صوته بقدر ما يسمعه المصلون إذا كانوا يؤمنون وراءه .

أما إذا كان الداعي وحده _ فليكن دعاؤه سِرًّا.

(٢٩) الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء، ولكن أسألك اللطف فيه:

فهذا الدعاء يكثر على الألسنة، وهو خطأ؛ ذلك لأنه شُرِع لنا أن نسأل الله رد القضاء، (حديث سلمان في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال لا يرد القضاء إلا الدعاء و لا يزيد فـي العمر إلا البر .

➢وكل ما يصيب الإنسان من بلاء فهو من القضاء، فهل يستسلم الإنسان لذلك ويدع الدعاء، أم ينازع قدر الله بقدر الله؟.

بل إن الله _ عز وجل _ أمرنا بذلك كما في قوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ) [الفلق : ١، ٢]

فالله _ عز وجل _ أمرنا في هذه السورة أن نستعيذ به من شرِّ ما خلق، وشرُّ ما خلق داخـل في القضاء.

وكذلك في قوله _ تعالى (مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْـوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) [سورة: الناس]

➢وكما في الدعاء المشهور: وقني شر ما قضيت

(حديث الحسن بن علي في صحيح السنن الأربعة) قال علمني رسول الله صـلى الله عليـه وسلم كلمات أقولهن في الوتر{ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فـيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت}

➢ ولهذا بوب البخاري في صحيحه بابًا قال فيه: باب من تعوذ بالله من درك الشقاء وسـوء القضاء :

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يتعوذ من جَهْدِ البلاء ودَرَكِ الشقاءِ وسوءِ القضاءِ وشماتةِ الأعداء .

(٣٠) تعليق الدعاء على المشيئة:

كأن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ فهذا مناف للجزم بالدعاء، ودليل على قلة الرغبة، فعلى العبد أن يعزم المسألة و يجد في الطلب ويلح في دعائه ، فالله تعالى يحب الملح في الدعاء ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر يلح على ربه في الدعاء ويكثر من ذلك ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ يَوْمَ بَدْرٍ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ لَا تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ " ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ فَقَالَ : حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ يَثِبُ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : " سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ " .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ارزقني إن شئت ،وليعزم مسألته ، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له .

(٣١) الإدلال على الله وترك التضرع :

كمن يدعو دعاء المستغني بما عنده، المُدِلِّ على ربه؛ فلا يدعو دعاء الخاشع المتضرع، المتذلل .

فهذا ضرب من ضروب الكبر والعياذ بالله ، وباب من أبواب الاعتداء.

(٣٢) تصنع البكاء ورفع الصوت بذلك:

كحال من يرفع صوته بالبكاء أثناء دعاء القنوت في شهر رمضان ، فهذا خطأ، ومناف للإخلاص، ومدعاة للرياء، ومخالف لهدي النبي"وأصحابه _ رضي الله عنهم _.

فالبكاء المطلوب هو ما كان عن خشوع، وإخبات وتأثر بعيدًا عن رفع الصوت بذلك، إلا من غُلِب على نفسه، ولم يستطع أن يتمالك زمام أمره _ فإنه لا حرج عليه؛ فالله _ عز وجل _ لا يؤاخذه بذلك.

(٣٣) تركُ الإمامِ رفعَ يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة :

فبعض الأئمة إذا استسقى أثناء خطبة الجمعة _ لا يرفع يديه، وهذا خلاف السنة؛ فالسنة أن يرفع الإمام يديه إذا استسقى في خطبة الجمعة كما جاء ذلك في حديث الأعرابي الذي جاء

والنبي"يخطب يوم الجمعة، فشكا لهم ما هم فيه من الشدة.

(حديث أنس الثابت في الصحيحين) قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا قال فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة قال فثار سحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك وفي الغد ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي أو رجل غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي وادي قناة شهرا ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود .

(٣٤) الإطالة بالدعاء حال القنوت، والدعاء بما لا يناسب المقصود فيه:

فالقنوت يشرع عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين.(٢٣٨)

وهناك من الأئمة من يطيل في دعاء القنوت حال النوازل إطالة مفرطة، ويدعو بما خطر له من الأدعية، وربما بلغ ببعضهم أن يجعل دعاء القنوت ضعف مدة الصلاة ثلاث مرات أو أكثر.

وهذا خطأ، وخلاف السنة؛ فالسنة أن يقتصد بالدعاء، وأن يدعو بما يناسب تلك النازلة؛ فذلك هو السنة، وذلك أجمع للقلب، وأبعد عن المشقة على المأمومين.

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

وينبغي للقانت أن يدعو عند كل نازلة بالدعاء المناسب لتلك النازلة، وإذا سمى من يدعو لهم من المؤمنين، ومن يدعو عليهم من الكافرين المحاربين _ كان ذلك حسناً .(٢٣٩)

(٣٥) أن يكون الدعاء فيه طلب يناقض حكمة الله تعالى :

كمن يطلب أن يخرج الله الشمس من مغربها قبل أوانها ، أو يطلب من الله أن لا يقيم الساعة ومعلوم أن الساعة آتية لا ريب فيها .

(٣٦) أن يكون الدعاء مشتملاً على مناقضة شرع أمر الله به :

(٢٣٨) انظر: زاد المعاد ١/٢٧٢_٢٧٣.

(٢٣٩) مجموع الفتاوى، ٢٢/٢٧١

كمن يسأل الله أن يحلل الربا أو الزنا مثلاً ، أو كمن يدعو الله أن يدخل إبليس الجنة أو يعفو عن كافر محكوم بكفره ، وأنه من أهل النار ، كفرعون وهامان وقارون وأبي بن خلف وأبو لهب وأبو جهل وأمثال ذلك .

(٣٧) أن يكون الدعاء محتوياً مسألة لا يليق طلبها :

كمن يطلب أن تكون منزلته مثل منزلة الأنبياء ، أو يكون من العشرة المبشرين بالجنة ، وقد تم تحديدهم فكيف يليق به أن يطلب طلباً لا يحق له ، بل أن يسأل الله تعالى أن يكون من أهل الجنة مطلقاً بدون تخصيص .

دعوة العلماء إلى الالتزام بالدعاء المأثور:

[*] قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

ينبغي للخَلْق أن يَدْعُوا بالأدعية المشروعة التي جاء بِهَا الكتاب والسُّـنَّة، فإنَّ ذلك لاريب في فضله وحُسْنه، وأنَّه الصراط المستقيم، صراط الذين أنْعَمَ الله عليهم من النَّبيين والصِّديقينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ، وحَسُنَ أولئك رفيقا[٢٤٠] .

[*]وقال القاضي عياض :

أذِنَ الله في دعائه، وعَلَّمَ الدُّعَاءَ في كتابه لِخَلِيقَتِهِ، وعَلَّمَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الدُّعَاءَ لأمَّتِهِ، واجتمعت فيه ثلاثة أشياء: العِلْمُ بالتَّوْحِيدِ، والعِلْمُ باللُّغَةِ، والنَّصِيحَةُ للأمَّةِ، فلا ينبغي لأحد أن يَعْدِلَ عن دُعَائِهِ صلى الله عليه وسلم، وقد احتال الشَّيطَانُ للناس من هذا المقام فَقَيَّضَ لهم قَوْمَ سُوءٍ يَخْتَرِعُونَ لهم أدْعِيَةً يشتغلون بِهَا عن الاقتداء بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وأشَدُّ ما في الإحالة أنَّهم يَنْسِبُونَهَا إلى الأنبياء والصالحين، فيقولون: دعاء نوح، دعاء يونس، دعاء أبي بكر، فاتقوا الله في أنفسكم،لا تَشْتَغِلُوا من الحديث إلا بالصحيح[٢٤١]

[*] وقال الإمام الغزالي:

والأولى أن لا يُجَاوِزُ الدَّعَوَاتُ المأثورة[٢٤٢]، فإنه قد يَعْتَدِي في دُعَائِهِ، فيسأل ما لا تَقْتَضِيهِ مصلحته، فما كُلُّ أحَدِ يُحْسِنُ الدُّعَاءَ [٢٤٣] .

---

[٢٤٠] أنظر : مجموع الفتاوى (١/٣٣٦) ـ القاعدة الجليلة ـنقلا عن موقع : www.alminbar.net من الشبكة العنكبوتية .

[٢٤١] أنظر: الفتوحات الربانية (١/ ١٧) نقلا عن موقع : www.alminbar.net من الشبكة العنكبوتية .

[٢٤٢] المأثورة أي الواردة في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة .

[*] وقال صاحب كتاب قواعد الأحكام:

الاقْتِصَارُ على الدَّعَوَاتِ الصَّحِيحَةِ المَشْرُوعَةِ أولَى من الدَّعَوَاتِ المَجْمُوعَات[244] .

ومن لطيف ما قاله القرطبي في تفسيره على قوله تعالى ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ، وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٤٦ ــ ١٤٧ ــ آل عمران) قال: فَعَلَى الإِنْسَان أن يَسْتَعْمِلَ ما في كِتَابِ اللَّه وَصَحِيح السُّنَّة من الدُّعَاء وَيَدَع ما سِوَاهُ، وَلا يَقُول أخْتَار كَذَا، فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى قَدْ اِخْتَارَ لِنَبِيِّهِ وَأَوْلِيَائِهِ وَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ يَدْعُونَ .

[*] وقال في مطالب أولي النهى :

الْمُخْتَارُ : الدُّعَاءُ بِالْمَأْثُورِ ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَلَمْ يَدْعُ حَاجَةً إلَى غَيْرِهِ .

[*] وقال الشيخ علي الحذيفي:

لِيَحْرِصَ المسلم على حِفْظِ دُعَاءِ رَسُولِ الله بِقَدَرِ إِسْتِطَاعَتِهِ، فقد شَرَعَ عليه الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لِكُلِّ حَالٍ دُعَاءً وذِكْراً[245] .

[*] وقال الشيخ يوسف القرضاوي:

الأدعية التي يَضَعَهَا البشر ويَخْتَرِعُونَهَا كثيرًا ما تكون قَاصِرةً عن أداء المعنى، بل قد تكون مُحَرَّفَةً ومَغْلُوطَةً ومُتَنَاقِضَةً، إنه ليس أَفْضَلُ من الأدْعَيَةِ المأثُورَةِ، ففيها الرَّوْعَةُ والبَّلاَغَةُ وحُسْنُ الأدَاءِ والمَعَانِي الجَامِعَةِ في ألفاظ قليلة، فليس هناك أفضل مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أدعية مأثورة، لأنه يترتب عليها أجران: أَجْرُ الاِتِّبَاعِ، وأَجْرُ الذِّكْرِ، فعلينا دَائمًا أن نَحْفَظَ هذه الأدْعِيَةِ النَّبَوِيَّةِ وأن نَدْعُو بِهَا[246].

[*] وقال ابن تيمية:

---

[243] إحياء علوم الدين (١/٥٥٤) نقلا عن موقع : www.alminbar.net .

[244] قواعد الأحكام: ٢ / ١٧١ (نقلاً عن كتاب الدعاء لأبي عبد الرحمن جيلان العروسي ، ص ٥٧٠) .

[245] من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي بتاريخ : ١٣- ٤-١٤٢٤هـ وهي بعنوان : فضل الدعاء وآدابه ، يمكن قراءتها أو الاستماع إليها عبر موقع : www.alminbar.net على الإنترنت .

[246] نقلاً عن موقع : www.islamonline.net .

لا رَيْبَ أن الأذْكَارَ والدَّعَوات من أفضل العبادات، والعبادات مَبْنَاهَا على التَّوقِيفِ والاتِّبَــاعِ لا على الهَوَى والاِبْتِدَاعِ، فالأدعية والأذْكَارُ النَّبَوِيَّةِ هي أفضل ما يَتَحَرَّاهُ المُتَحَــرِّي مــن الــذِّكْرِ والدُّعَاءِ، وسَالِكُهَا على سَبِيلِ أمَانٍ وسَلاَمَةٍ، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يُعَبرُ عنه لِسَانٌ، ولا يُحِيطُ بِهِ إنْسَانٌ ۰۰۰ ففي الأدعية الشَّرْعِيَةِ والأذْكَارِ الشَّرْعِيَةِ غَايَةُ المَطَالــب الصــحيحة ونِهَايَةُ المَقَاصِدِ العَلِيَّةِ، ولا يَعْدِلُ عنها إلى غيرها من الأذْكَارِ المُحْدَثَةِ المُبْتَدَعَةِ إلا جَاهِــلٌ أو مُفَرِّطٌ أو مُتَعَدٍّ[٢٤٧] ۰

اَلْصَحَابَةِ رِضْوَانُ الله تَعَالَى عَلَيْهِم أجْمَعِينَ يطْلُبُونَ مِنَ اَلنَّبِيِّ صَلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَمَ أنْ يُعَلِمَهُــمُ اَلْدُّعَاءَ:

عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّـــهِ عَلِّمْنِـــي دُعَاءً أدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: " قُلْ اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنْتَ فَاغْفِرْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَغْفِرَةً إنَّكَ أنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "۰ (رواه البخاري) ، نقل في الفتح عــن ابن أبي حمزة قال: في الحديث مَشْرُوعِيَّة الدُّعَاء في الصَّلاة، وَفَضْلُ الدُّعَاء الْمَــذْكُور عَلَــى غَيْره، وَطَلَب التَّعْلِيم من الأعْلَى وإن كَانَ الطَّالِب يَعْرِف ذَلِكَ النَّوْع، وَخَصَّ الــدُّعَاء بِالصَّــلاةِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أقْرَب مَا يَكُون الْعَبْد مِنْ رَبّه وَهُوَ سَاجِد" وفيه أنَّ الْمَرْءَ يَنْظُــر فِي عِبَادَته إلى الأرْفَع فَيَتَسَبَّب فِي تَحْصِيله، وَفِي تَعْلِيم النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي بَكْــر هذا الدُّعَاء إشَارَة إلَى إيثَار أمْر الآخِرَة على أمْر الدُّنْيَا [٢٤٨] ۰

فَهُمْ رضي الله تعالى عنهم أجمعين رغم أنَّهم أهْلُ اللغة وأرْبَابُ الفصــاحة والبيــان إلا أنَّهــم طلبوا من النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أن يُعَلِّمَهُم الدُّعَاء لِيَقِينِهِم أن دُعَاءَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أقْرَبُ لِلْقَبُولِ وأدْعَى لِلإجَابَةِ ، فما بَالُ أقْوَاماً لا فَصَاحَةَ ولا بَيَانٍ لَــدَيْهِمْ يَعْــدِلُونَ عَــنْ دُعَاءِ خَيْرِ البشر صلى الله عليه وسلم إلى أدعية مُخْتَرَعَةٍ فَيَحْرِمُونَ أنفسهم بَرَكَــةَ وثَــوَابَ الدُّعَاء بالمأثور، فضلاً عن وقوعهم بالاعتداء المحظور ۰

اَلإتْبَاعِ في اَلْدُّعَاءِ أيْسَرُ فِي اَلْذِّكْرِ وأفْضَلُ فِي الأجْر :

---

[٢٤٧] مجموع الفتاوى ، ج ٢٢ ، ص ٢٩٩ وما بعدها ۰

[٢٤٨] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، حديث رقم : ٥٨٥١ ، ونقل فيه كلام جميل وتعليق لطيف عن الْكَرْمَانِيُّ قال: هذا الدُّعَاء من الْجَوَامِع، لأَنَّ فِيهِ الاعْتِرَاف بِغَايَةِ التَّقْصِير وَطَلَب غَايَة الإنْعَام، فَالْمَغْفِرَة سَتْر الذُّنُوب وَمَحْوهَا، وَالرَّحْمَة إيصَال الْخَيْرَات، فَفِي الأوَّل طَلَب الزَّحْزَحَة عَنْ النَّار وَفِي الثَّانِي طَلَب إدْخَال الْجَنَّة، وَهَذَا هُوَ الْفَوْز الْعَظِيم۰

عن جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ: " مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟ " قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ " (رواه مسلم والنسائي والترمذي[249])

[*] نقل الإمام السيوطي في شرحه لسنن النسائي على الحديث عزّ الدِّين بْن عَبْد السَّلَام فِي فَتَاوَاهُ قال: قَدْ يَكُون بَعْض الأَذْكَار أَفْضَل مِنْ بَعْض لِعُمُومِهَا وَشُمُولهَا وَاشْتِمَالهَا عَلَى جَمِيع الأَوْصَاف السَّلْبِيَّة وَالذَّاتِيَّة وَالْفِعْلِيَّة فَيَكُون الْقَلِيل مِنْ هَذَا النَّوْع أَفْضَل مِنْ الْكَثِير مِنْ غَيْره[250] .

[*] وقال في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي:

والحديث دَلِيلٌ على فَضْلِ هذه الكلمات وأَنَّ قَائِلَهَا يُدْرِكُ فَضِيلَةَ تَكْرَارِ الْقَوْلِ بِالْعَدَدِ الْمَذْكُورِ، وَلا يُتَّجَهُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ مَشَقَّةَ مَنْ قال هكذا أَخَفُّ مِنْ مَشَقَّةِ مَنْ كَرَّرَ لَفْظَ الذِّكْرِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ الْعَدَدِ فَإِنَّ هَذَا بَابٌ مَنَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِبَادِ اللَّهِ وَأَرْشَدَهُمْ وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ تَخْفِيفًا لَهُمْ وَتَكْثِيرًا لأُجُورِهِمْ مِنْ دُونِ تَعَبٍ وَلا نَصَبٍ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ[251] .

فالإتباع في قليل من ألفاظ الذِّكْرِ والدُّعَاءِ أَثْوَبُ عند الله تعالى من الكثير من الأدعية والأذْكَار المُخْتَرَعَةِ، والإتِّبَاعُ في الذِّكْرِ والدُّعاءِ وإن كان أيْسَرُ وأخَفُّ إلا أنه أفْضَلُ في الأجْرِ والثَّواب كما في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : " ألاَّ أخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أو أفْضَلُ "[252]، أي أيْسَرُ في الذِّكْرِ وأفْضَلُ في الأجْرِ، وأيضاً هو أدْعَى للإجَابَةِ وأقْرَبُ للْقَبُول .

﴿تنبيه﴾ : ◄ الدُّعَاءُ بِالْمَأْثُورِ أَفْضَلُ :

---

[249] رواية الترمذي : " قد قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَاتٍ لو وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ لَوَزَنَتَهُنَّ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ورِضَا نَفْسِهِ وزِنَةَ عَرْشِهِ ومِدَادَ كَلِمَاتِهِ " ، ورواية النسائي : " قال : ألا أعلمك – يعني كلمات – تقولينهن : سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ ". (انظر صحيح سنن الترمذي رقم : ١٥٧٤ ، وصحيح سنن النسائي رقم : ١٢٨١)

[250] أنظر شرح سنن النسائي بشرح السيوطي ، حديث رقم : ١٣٣٥ .

[251] انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي حديث رقم : ٣٤٧٨ .

[252] الحديث بتمامه عن عَائِشَةَ بنت سَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ عن أبيها أَنَّه دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ قَالَ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: " ألا أَخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا أَوْ أَفْضَلُ: سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ مِثْلَ ذَلِكَ " . (رواه الترمذي)

لا خلاف بين العلماء في جواز أن يدعوا الإنسان في بعض أحيانه بما ألَمَّ به من تقلبات الدَّهْرِ وحوائج الدنيا دون التقييد بالمأثور، إنما النَّهْيُ عن أن يَهْجُرَ المأثور إلى أدْعِيَةٍ أخرى يَجْعَلْهَا دَيْدَنَهُ وشِعَارَهُ، والدُّعَاءُ بِالْمَأْثُورِ أفْضَلُ لسببين جوهريين هما :

أفضل الدعاء وأعظم الدعاء هو ما كان يدعو به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أولاً : لأنه الأعلم بربه جل وعلا والأتقى لله والأخشى لله كما صح عنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ

.

(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ، يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

والثاني : أنه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أوتي جوامع الكلم، جوامع الكلم يعني كلمات وجيزة لكن فيها كل الخير كل ما تحتاجه تجده في دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال :بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي).

فالإنسان إذا أراد الأفضل وأراد الأتقى وأراد الأخشى وإذا أراد الاتباع وإذا أراد السنة وهذا كله مطلوب للإمام أن يتبعه فإنه يهتم بما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أدعية.

وإليك أقوال علماء الدين وأئمة المسلمين في هذا:

[*] قال الإمام المناوي في فيض القدير :

ويُسَنُّ لهم الدعاء له بحضرته وفي غَيْبَتِهِ (يعني المسافر) بالمأثور وبغيره، والمأثور أفْضَل[٢٥٣] .

[*] سئل الإمام مالك عن الداعي يقول : يا سيدي فقال : ((يعجبني دعاء الأنبياء : ربنا ربنا)) [نزهة الفضلاء ٦٢١] .

[*] وقال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في الدعاء:

---

[٢٥٣] حديث رقم : ٥٧٢ ، ج ١ ، ص ٤٢٠ .

الوَارِدُ هو الذي يَنْبَغِي، والدُّعَاءُ بغيرها جائز، إلا أنه لا يَجُوزُ الإعْتِدَاءُ، أما الذي ليس فيه إعْتِدَاءٌ فَبَابُ الرَّبِّ مفتوح لعباده يسألونه حوائجهم، إلا أنه ينبغي أن تكون له رَغْبَةٌ لِصَلاحِ القَلْبِ والنِّيَّةِ والدُّعَاءِ لِنَصْرَةِ المسلمين وأئمة الدِّينِ[254] .

[*] وقال الشيخ عبد الله ابن باز:

والاعْتِنَاء بالدُّعَاءِ المأثور أفضل، لكن الحاجات الأخرى التي تَعْرِضُ له يَدْعُو فيها بما يُنَاسِبُهَا[255].

[*] وقال الشيخ محمد ابن عثيمين وقد سُئِلَ هل تجوز الزيادة على ما عَلَّمَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم للحسن بن علي رضي الله عنهما أوْ لاَ تَجُوزُ؟ فأجاب فضيلته: إن الزيادة على ذلك لا بأس بهَا لأنه إذا ثَبَتَ أن هذا موضع دُعَاءٍ ولم يُحَدَدُ هذا الدُّعَاء بِحَدٍ يُنْهَى عَنْ الزيَادَةِ عنه، فالأصل أن الإنسان يَدْعُوا بما شَاءَ، ولكن المحافظة على ما ورد هو الأوْلَى فَنُقَدِمَ الوارد، وإن شئنا أن نَزِيدَ فلا حَرَجَ[256] .

وجاء في الموسوعة الفقهية:

ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز كل دُعَاءٍ دُنْيَوِيٍ وأخْرَوِيٍ، ولكن الدُّعَاءُ بالمأثور أفْضَلُ من غيره[257] .

﴿تنبيه﴾ :< اَلْدُّعَاءُ اَلنَّبَوِيِّ اَلْشَرِيفِ يُغَطِي كَافَةِ تَقَلُّبَاتِكَ اَلْنَّفْسِيَةِ وأحْوَالَكَ وَظُرُوفِكَ المَعِيشِيَّةِ:

المتأمل في دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الذي عَلَّمَهُ لأمَّتِهِ يَجِدُ أنَّهُ يُغَطِي كَافَةِ التَّقَلُّبَاتِ النَّفْسِيَةِ وتغيرات الأحوال التي تَعْتَرِي كل مسلم، وقد قَدَّمْنَا مَقُولَةَ الشيخ علي الحذيفي: لِيَحْرِصَ المُسْلِمُ على حِفْظِ دُعَاءِ رسول الله بِقَدَرِ إسْتِطَاعَتِهِ، فقد شَرَعَ عليه الصلاة والسلام لِكُلِّ حَالٍ دُعَاءً وذِكْراً[258] .

فَجَاهِد نفسك وأرْغِمِ الشَّيْطَان واحفظ دُعَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم،

---

[254] أنظر فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، فتوى رقم : ١٢٩٠ بعنوان : الذكر الوارد هنا وغير الوارد ، ص ٢٤٤ ، ج ٥ .

[255] المرجع : فتاوى التراويح عبر موقع www.al-islam.com على الشبكة العنكبوتية .

[256] أنظر فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين ج ١ ، ص ٣٨٣ وما بعده .

[257] الموسوعة الفقهية - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية / الكويت - ج ٢٠ ، ص ٢٦٥.

[258] من خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية لفضيلة الشيخ : علي الحذيفي وهي بعنوان : فضل الدعاء وآدابه ، يمكن قراءتها أو الاستماع إليها عبر موقع : www.alminbar.net .

[*] قال ابن أبي جَمْرَةَ مُعَلِّقاً على حديث عن جابر رضي الله عنه: كان النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يُعَلِّمُنَا الإِسْتِخَارَةَ في الأمور كُلِّهَا كالسُّورَةِ من القرآن، قال: التَّشْبِيه[259] فِي تَحَفُّظ حُرُوفه وَتَرَتُّب كَلِمَاته وَمَنْع الزِّيَادَة وَالنَّقْص مِنْهُ وَالدَّرْس لَهُ[260] وَالْمُحَافَظَة عَلَيْهِ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ جِهَة الاهْتِمَام بِهِ وَالتَّحَقُّق لِبَرَكَتِهِ، وَالاحْتِرَام لَهُ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون مِنْ جِهَة كَوْن كُلّ مِنْهُمَا عَلِمَ بِالْوَحْي[261] .

﴿تنبيه﴾ :➢ اَلْدُّعَاءُ فِي اَلْسُّجُودِ أَفْضَلُ مِنَ اَلْدُّعَاءِ حَالَ اَلْقِيَامِ فِي اَلْصَّلَاةِ :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أقربُ ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء .

(حديث ابن عباس الثابت في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : ألا وإني نهيت أن اقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم .

[*] قال ابن تيمية في الفتاوى :

والدُّعَاءُ في السُّجُودِ أَفْضَلُ من غيره، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة (أورد الحديثين المذكورين)، ثم قال: وقد ثَبَتَ عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الدُّعَاءُ في السُّجُودِ في عدة أحاديث ، وفي غير حديث تُبَيِّنُ أن ذلك في صلاته بالليل، فعُلِمَ أن قوله تعالى ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعًا ﴾ وإن كان يتناول الدُّعَاءَ في جميع أحوال الصَّلاَةِ ، فَالْسُّجُودُ له مَزِيَةٌ على غيره[262] .

وقال مُعَلِّقاً على حديث: " يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا " (رواه البخاري) ،

قال : أُمِرُوا بالسُّجُودِ في عَرَصَاتِ القيامة دون غيره من أجزاء الصلاة، فَعُلِمَ أنه أفضل من غيره[263] .

[*] وقال الإمام المنَّاوي في فيض القدير[264]:

[259] يعني تشبيه جابر الدعاء بالقرآن في الحفظ والتعليم .

[260] وَالدَّرْس لَهُ أي: النَّقص أو الحذف منه .

[261] أنظر فتح الباري ، حديث رقم ٥٩٠٣ الدعاء عند الاستخارة .

[262] أنظر مجموع الفتاوى ، ج ٢٣ ، ص ٤٨ .

[263] المرجع السابق ص ٤٦ .

[264] أنظر فيض القدير حديث رقم: ١٣٤٨ .

للعبد حالتين في العبادة، حالة كونه ساجداً وحالة كونه مُتَلَبِّسًا بغير السُّجُودِ، فهو في حالة سُجُودِهِ أَقْرَبُ إلى ربِّه ... " فأكثروا الدُّعَاء " أي في السُّجُودِ لأنَّها حَالَةُ غَايَةِ التَّذَلُّلِ، وإذا عَرَفَ العبد أن ربَّه هو اَلْعَلِيُّ اَلْكَبِيرُ، اَلْمُتَكَبِّرُ اَلْجَبَارُ، فالسُّجُودُ لذلك مَظَنَّةُ الإجابة .

فالسجود ووضع أشْرَفَ ما في الإنسان وهي جَبْهَتُهُ مَكَانَ الأَقْدَامِ خُضُوعًا وتَذَلُّلاً لله اَلْوَاحِدِ اَلْقَهَّار، يَرْتَقِي بالمسلم إلى مَرْتَبَةٍ رَفِيعَةٍ عَالِيَةٍ لا يَصِلُهَا إلاَّ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[٢٦٥]، وهذه المَرْتَبة سَبَباً في أن تكون دَعْوَتُهُ مُسْتَجَابَةٌ .

وفي هذا رَدّاً بَلِيغاً على من أهْمَلَ دُعَاءَ السُّجُودِ، وفَضَّلَ عليه دُعَاءَ القيام، فَتَرَاهُ يختصر من وقت السُّجُودِ لصالح دُعَاءِ القيام، وهذا خلاف الأولى والأفضل والأكمل وهو إطالة السُّجُودِ وكثرة الدُّعَاءِ فيه .

كما أن هناك أدعية مأثورة مخصوصة لا تُقَالُ إلا في موضع السُّجُودِ فَعَلَى الإمام أن يُمْهِلَ المُصَلِّينَ في سُجُودِهِمُ حتى يَدْعُوا بِهَا، ولا يَعْجَلَ فَيَجْرِمَهُمْ أَجْرَهَا وبركَتَهَا بِدَعْوَى أنَّهُ سَيَدْعُوا لهم في القُنُوتِ، فَلَيْسَ الدُّعَاءُ حَالَ القِيَامِ كالدُّعَاءِ حَالَ السُّجُودِ .

طلب الإنسان الدعاءَ من غيره

طلب الإنسان الدعاءَ من غيره _ وإن كان جائزًا في الأصل _ فيه عدة محاذير منها:

١- أن فيه نوع مسألة ، فكونك تطلب الدعاء من غيرك ، فيه نوع من الذلة والمسكنة له ، فأنت ستلين له القول وتخضع له ، وهذا نوع مسكنة ، فلا ينبغي ذلك .

(٢) أن ذلك مدعاة لترك الدعاء، والاعتماد على الآخرين ، ومن اعتمد على غيره في الدعاء ، فهذا يجعله يهمل دعاءه لنفسه ، بل قد لا يبحث في أمور الدعاء المهمة ، كأسباب الإجابة

[٢٦٥] جاء في الحديث عن مَعْدَانُ بن أبي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قال: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ أَوْ قَالَ قُلْتُ بِأَحَبِّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ فَسَكَتَ، ثُمَّ سألته فَسَكَتَ، ثُمَّ سَألتُهُ الثَّالِثَةَ فقال: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: " عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً " . (رواه مسلم)

قال الإمام النَّووي معلقا على الحديث: فِيهِ الْحَثّ عَلَى كَثْرَة السُّجُود، وَالتَّرْغِيب، وَالْمُرَاد بِهِ السُّجُود فِي الصَّلَاة، وَفِيهِ دَلِيل لِمَنْ يَقُول تَكْثِير السُّجُود أَفْضَل مِنْ إِطَالَة الْقِيَام، وَسَبَب الْحَثّ عَلَيْهِ الْحَدِيث " أَقْرَب مَا يَكُون الْعَبْد مِنْ رَبّه وَهُوَ سَاجِد" وَهُوَ مُوَافِق لِقَوْلِ اللَّه تَعَالَى (وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) وَلأَنَّ السُّجُود غَايَة التَّوَاضُع وَالْعُبُودِيَّة لِلَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ تَمْكِين أَعَزّ أَعْضَاء الإِنْسَان وَأَعْلاهَا وَهُوَ وَجْهه مِنْ التُّرَاب الَّذِي يُدَاس وَيُمْتَهَن .

رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه قال:كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: "سَلْ" فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: " أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ" قُلْتُ هُوَ ذَاكَ، قال: " فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ " . (رواه مسلم)

وعَنْونَ الإمام مسلم للباب الذي أورد فيه الحديثين فقال: بَاب فَضْلِ السُّجُودِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ .

، وموانعها ، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بالدعاء ، والمصيبة أنه قد ينسى كيفية الثناء على الله تعالى ، وقد يترك الخشوع والانكسار حال دعائه ، لأنه لم يعتد مثل هذا الأمر بل وكل فيه غيره ، بل وقد يترك الدعاء بالكلية لأنه فقد حلاوته .

(٣) الأصل في الدعاء أن يدعو الإنسان لنفسه ، ولا يطلب من غيره أن يدعو له ، لأنه أعلم بحقائق أموره من غيره ، وهو أعلم الناس بما يريد من دعائه ، وما يطلبه من ربه ، فليس من المعقول أن يذهب لإنسان من الناس ويطلب منه أن يدعو له ويقول : أذكر في دعائك لي كذا وكذا ، فالأصل أن يتضرع العبد لربه ويتعرض لنفحاته ويدعو لنفسه .

(٤) أن طلب الدعاء من الغير ، قد يدخل العُجب إلى من طُلب منه الدعاء ، فيظن في نفسه أنه قد بلغ منزلة الأولياء ، وأن دعاءه لا يُرد ، فيهلك عند ذلك .

فعلى ما ذُكر من أسباب فالواجب على العبد أن يدعو بنفسه ، ولا يشغل غيره ، ولا يوقعه في الحرج والضيق ، ولا يورده المهالك ، ومتى ما خلصت النية لله تعالى حال الدعاء ، وكان العبد صادقاً مع ربه موقناً بإجابته ، فالله تعالى لن يرده خائباً ، بإذنه سبحانه ، فالله عز وجل قد أجاب أهل الشرك أثناء عند الاضطرار ، بل وأجاب إبليس كما ذكرنا ، أفلا يستجيب الله لعبده المسلم ، قال تعالى : " أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . .

➢جاء رجل إلى مالك بن دينار رحمه الله ، فقال : أنا أسألك بالله أن تدعو لي ، فأنا مضطر ، قال : إذاً فاسأله ، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال عبيد الله بن أبي صالح ، دخل علي طاووس يعودني ، فقلت له : ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن ، فقال : ادع لنفسك ، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

فعلى المسلم أن يجاهد ويجتهد في الدعاء فقمن أن يستجاب له ، قال تعالى : " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " ، وقال تعالى : " وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين " .

﴿تنبيه﴾ :➢ لا ينبغي للعبد أن يدع الدعاء ، أو أن يعتمد فيه على غيره؛ بحجة أنه مذنب، وأنه ليس أهلاً لأن يجاب دعاؤه .

بل عليه أن يكثر من دعاء ربه، وأن يحسن الظن به، وينظر إلى عظيم جوده ورحمته؛ فمهما كان متماديًا بالمعصية فإن رحمة الله تَسَعُهُ؛ فإذا كان جلَّ وعلا ـ يجيب دعاء المشركين عند

الاضطرار فإن إجابته للمؤمنين _ مع تقصيرهم _ من باب أولى.(٢٦٦)

ولهذا جاء رجل إلى مالك بن دينار فقال : أنا أسألك بالله أن تدعو لي؛ فأنا مضطر .

قال: إذًا فاسأله؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .(٢٦٧)

[*] وعن عبيد الله بن أبي صالح قال : دخل عليَّ طاووس يعودني، فقلت له: ادع الله لي يا أبا عبدالرحمن .

فقال: ادع لنفسك ؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .(٢٦٨)

وقال: فالسنة أن يقنت عند النازلة ويدعو فيها بما يناسب أولئك القوم المحاربين .(٢٦٩)

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال : كان رسول الله ﷺ حينيرفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد يدعو لرجالٍ فيسميهم بأسمائهم فيقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف وأخل المشرق يومئذٍ من مُضر مخالفون له .

الدُّعَاءُ اَلْمَأثُورِ مِنَ الكتاب والسنة

أولاً : الدُّعَاءُ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ

دعاء سيدنا آدم عليه السلام

(٢٦٦) انظر تحفة المريض د. عبدالله الجعيثن ص٩٩.
(٢٦٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٣/١٣.
(٢٦٨) تفسير بن كثير ٣٥٨/٣.
(٢٦٩) مجموع الفتاوى، ١٥٥/٢١.

قال تعالى: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف/ ٢٣]

فغفر الله لهما كما قال سبحانه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الـرَّحِيمُ} [البقرة/ ٣٧]

ثم أكرمه الله بالاصطفاء فقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْـرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران/ ٣٣]

وخصه بالاجتباء فقال تعالى: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه/ ١٢٢]

دعاء سيدنا نوح عليه السلام

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} [الصافات/ ٧٥،٧٦]

وقال: {وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، وَنَصَـرْنَاهُ مِـنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} [الأنبياء/ ٧٦،٧٧]

وقال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ، فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَآءُ عَلَى أَمْرٍ قَـدْ قُدِرَ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَـن كَـانَ كُفِـرَ}[٢٧٠]. [القمـر/ ٩:١٤]

وقال تعالى: {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا، إِنَّكَ إِن تَـذَرْهُمْ يُضِـلُّواْ عِبَادَكَ وَلا يَلِدُواْ إِلاّ فَاجِرًا كَفَّارًا، رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًـا وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاّ تَبَارًا} [نوح/ ٢٦:٢٨]

---

[٢٧٠] سورة القمر، الآيات: ٩-١٤.

فائدة : قال العلماء: يُستَفَادُ من دُعَاءِ سيدنا نُوحٌ عليه السلام أن المسلم يَدْعُوا لنفسه أولاً، ثم المُتَصِلِينَ به من وَالِدٍ وَوَلَدٍ وأرْحَامٍ وَأقْرِبَاءٍ لأنهم أوْلَى وَأحَقُ بِدْعَائِهِ، ثُمَّ يَعُمَّ المسلمين والمسلمات .

[*] قال ابن كثير في تفسيره على الآيـة الكريمـة: وقوله تعالى ﴿ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ دُعَاءٌ لجميع المؤمنين والمؤمنات، وذلك يَعُمُّ الأحْيَاءَ منهم والأمْوَات، ولهذا يُسْتَحَبُ مثل هذا الدُّعَاءِ إقْتِدَاءً بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وفي الآية الكريمة جَوَازُ الدُّعَاءِ على الظَّالِمِينَ اَلْمُعْتَدِينَ بِاَلْدَّمَارِ وَاَلْهَلَاكِ .

دُعَاءُ سَيِّدُنَا إبراهيم عَلَيْهِ اَلْسَّلامُ

قال الله تعالى عن دعائه: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ، وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ} [الشعراء /٨٣:٨٥]

فاستجاب الله له فقال في طلبه الأول: {فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا} [النساء٥٤]

وقال في قوله: {وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} {وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} [البقرة / ٣٠]

وقال في قوله: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ} {وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ، سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}

[الصافات /١٠٨:١١١]

دُعَاءُ سَيِّدُنَا مُوسَى عَلَيْهِ اَلْسَّلامُ

قال الله عن دعائه: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا، قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى}

[طه /٢٥: ٣٦]

وقال الله تعالى عن موسى وهارون: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ، قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} [يونس /٨٨،٨٩]

وقال تعالى عن موسى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ} [القصص /١٦،١٧]

دعوة سيدنا يونس عليه السلام

قال تعالى : ﴿ وَذَا النُّونِ[٢٧١] إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا[٢٧٢] فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ[٢٧٣] عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٧ ـ ٨٨ ـ الأنبياء)

[*] قال ابن كثير﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: إِذَا كَانُوا فِي الشَّدَائِد وَدَعَوْنَا مُنِيبِينَ إِلَيْنَا ولا سِيَّمَا إِذَا دَعَوْا بِهَذَا الدُّعَاء فِي حَال الْبَلاء .

[*] وقال الطبري المعنى: كما أَنْجَيْنَا يُونُس مِنْ كَرْب الْحَبْس فِي بَطْن الْحُوت فِي الْبَحْر إِذْ دَعَانَا، كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَرْبهمْ إِذَا اِسْتَغَاثُوا بِنَا وَدَعَوْنَا .

[٢٧١] النُّوُنُ تعني: الحوت، وذَا النَّونِ أي: صاحب الحوت، وهو سيدنا يونس عليه السلام.

[٢٧٢] نقل القرطبي في تفسيره عن جَمْعٍ من المفسرين قالوا: مُغَاضِبًا لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

[٢٧٣] نقل ابن كثير في تفسيره عن جَمْعٍ من المفسرين قالوا: (فظن أن لن نقدر عليه) أي: نُضَيِّقَ عليه، واستشهد عليه بقوله تعالى (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) أي: وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ رِزْقه فَلَمْ يُوَسَّع عَلَيْهِ أ.هـ. قال العلماء: وهذا من حُسْنِ الظَّن بالله تعالى.

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : دعوة ذي النون إذ دعا بها و هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

➢وذو النون: هو نبي الله يونس _ عليه السلام _،

(حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :" ألا أخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أو بَلاَءٌ مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فَفُرِّجَ عنه؟ دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لاَ إلَهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" .

➢والنون: الحوت.

فهذا سيدنا يونس عليه السلام ألقي في اليم فالتقمه الحوت وأسدل الليل البهيم ستاره المظلم عليه ، فالتجأ إلى الله { أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، فأنجاه الله ، حتى إذا خرج إلى شاطئ السلامة، تلقفته يد الرحمة الإلهية والعناية الربانية فأظلته تحت شجرة اليقطين .

قال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } [الأنبياء:٨٧-٨٨].

﴿تنبيه﴾: ➢ هذا الدعاء من أعظم أنواع الدعاء، لاشتماله على الآتي :

أولاً: على توحيد الله (لا إله إلا أنت)

وهو أعظم وسيلة إلى الله تعالى، وأعظم طاعة وأعظم وقربة.

ثم ثنى بالتنزيه (سبحانك) تنزيه الله عما لا يليق به عز وجل، فكل ما يفعل، وكل ما يقدر فله فيه الحكمة البالغة، فهو منزه عما لا يليق بجلاله وكماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعظيم شأنه.

ثم ثلث ببيان عجزه وضعفه وفقره وظلمه لنفسه، وهكذا كل عبد بالنسبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينبغي له أن يكون كذلك ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[الأنبياء:٨٧]

دُعَاءُ سَيِّدُنَا أَيُّوبٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

قال تعالى:﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّــرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(الأنبياء/٨٣)

[*] قال القرطبي:

قال العلماء : ولم يكن قوله ﴿ مَسَّنِيَ الضُّرُّ ﴾ جَزَعًا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ﴾ (ص/٤٤) بَلْ كَانَ ذلك دُعَاءٌ منه، والجَزَعُ في الشَّكْوَى إلى الخَلْق، لا إلــى الله تعــالى، والدُّعَاءُ لا يُنَافِي الرِّضَا ٠

[*] وقال ابن القيم في الفوائد:

جُمِعَ في هذا الدُّعَاء بين حقيقة التَّوْحِيدِ، وإظهار الفَقْرِ والفَاقَةِ إلى ربَّهِ، وَوَجُودِ طَعْمُ المَحبَّــةِ في التَّمَلُّق لَهُ سُبْحَانَه، والإقْرَارِ لَهُ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ، وأنَّه أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، والتَّوَسُّلُ إليه بصفاته سبحانه، وشِدَّةِ حَاجَتِهِ هُوَ وَفَقْرِهِ، وَمَتَى وَجَدَ اَلْمُبْتَلَى هذا كُشِفَتْ بَلْوَاهُ

دعاء سيدنا زكريا عليه السلام

قال الله تعالى: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَــى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّـــهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران /٣٨،٣٩]

وقال تعالى: {وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَــانُواْ لَنَا خَاشِعِينَ}[الأنبياء /٨٩،٩٠]

دعاء سيدنا لوط عليه السلام

﴿ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (العنكبوت/٣٠)

دعاء سيدنا سليمان عليه السلام

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي[٢٧٤] أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النمل/١٩)

دعاء سيدنا يوسف عليه السلام

قال الله في قصة يعقوب مع أبنائه: {وَجَآءُواْ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف /١٨]
وقال الله تعالى عنهم: {قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف /٦٤]
وقال يعقوب: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَآ أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ، قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ، قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}
[يوسف /٨٣:٨٧]
ثم استجاب الله دعاءه ورد عليه يوسف وأخيه قال الله: {قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَآ أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ، قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ، فَلَمَّآ أَن جَآءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ، قَالُواْ يَآ أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ، قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [يوسف /٩٠:٩٨]

---

[٢٧٤] أوزعني أي : ألهمني .

قال الله تعالى عنه وعن النسوة: {قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يوسف/ ٣٢:٣٤]

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا[٢٧٥] وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف/١٠١)

[*] قال الفَخْرُ الرَّازي:

من أراد الدُّعَاءَ فلا بد أن يُقَدِّمَ عليه ذِكْرُ الثَّنَاءِ على الله تعالى، فَهَهُنَا يوسف عليه السلام لما أراد أن يَذْكُرَ الدُّعاء قَدَّمَ عليه الثَّنَاء وهو قوله ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ ثم ذَكَرَ عَقِبَهُ الدُّعَاء وهو قوله ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

دعاء سيدنا زكريا عليه السلام

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً[٢٧٦] إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران/٣٨)

[*] قال القرطبي:

دَلَّتْ هذِهِ الآيَة على طَلَب الْوَلَد، وهي سُنَّة الْمُرْسَلِينَ وَالصِّدِّيقِينَ .. الْوَاجِب عَلَى الإنسان أنْ يَتَضَرَّع إلى خَالِقه في هِدَايَة وَلَده وَزَوْجه بِالتَّوْفِيقِ لَهُمَا وَالْهِدَايَة وَالصَّلاح وَالْعَفَاف وَالرِّعَايَة، وأنْ يَكُونَا مُعِينَيْنِ لَهُ عَلَى دِينه وَدُنْيَاهُ حَتَّى تَعْظُم مَنْفَعَته بِهِمَا فِي أولاهُ وَأُخْرَاهُ .

وعَنْوَنَ الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الدَّعَوَاتِ فقال: باب الدُّعَاءِ بِكَثْرَةِ الوَلَدِ مع البَرَكَةِ.

(حديث أَنَسٍ رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال: قَالَتْ أُمِّي يَارَسُولَ اللَّهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللَّهَ لَهُ قال: " اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ".

﴿تنبيه﴾ : يجب الدُّعاء بالكثرة مع البَرَكَة، ذلك أن الكثرة دون بَرَكَةٍ لا فائدة منها.

[٢٧٥] قال القرطبي في تفسيره : إن يوسف لم يَتَمَنَّ الموت ، وإنما تمنى الوفاة على الإسلام ؛ أي إذا جاء أجلي توفني مسلما ؛ وهذا قول الجمهور .

[٢٧٦] ذرية طيبة أي : نسلاً صالحاً مباركاً .

من دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام

﴿ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (الممتحنة /٥)

[*]عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

﴿ لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: لاَ تُسَلِّطهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتِنُونَا [٢٧٧] .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ، رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم/٤٠ ، ٤١) .

دعاء محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه

قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[٢٧٨]. وقال تعالى: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ، بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ، وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[٢٧٩]. وقال تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران /١٧٣،١٧٤]

دعاء المؤمنين من قوم موسى عليه السلام

---

[٢٧٧] نقلا عن تفسير الطبري وابن كثير على الآية (٥ ـ الممتحنة) .

[٢٧٨] سورة الأنفال، الآيتان: ٩، ١٠.

[٢٧٩] سورة آل عمران، الآيات: ١٢٣-١٢٦.

﴿ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (يونس/ ٨٥ ، ٨٦)

دعاء عِبادُ الرحمن

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان/٧٤)

ومعنى ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ : أي قُدْوَةً يُقْتَدَى بِنَا في ٠[الفرقان /٧٤]

دعاء أصحاب الكهف

﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ (الكهف/١٠)

دعاء المجاهدين في سبيل الله تعالى

﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران/١٤٧)

[*] نقل الفخر الرازي في تفسيره عن القاضي عياض قال :

يَجْبُ تقديم التَّوْبَةِ والاِسْتِغْفَارِ على طَلَبِ النُّصْرَةِ ، فَبَيَّنَ تعالى أنَّهم بَدَأو بالتَّوْبَةِ عن كل المعاصي، ثم سألوا ربَّهُمُ أن يُثَبِتَ أقدامهم، ثم سألوا بعد ذلك أن يَنْصُرَهُم على القوم الكافرين، ثم قال: وهذا تأديب من الله تعالى في كيفية الطَّلَبِ بالأدعية عند النَّوَائِبِ والْمِحَنِ سواء كان في الجهاد وغيره[٢٨٠] ٠

[٢٨٠] نقلا عن تفسير الرازي على الآية (آل عمران/١٤٧) بتصرف يسير ٠

الدعاء للمؤمنين بالمغفرة وللنفس بسلامة الصدر

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر/١٠)

(حديث عبادة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمنٍ حسنة .

ثانياً : الدعاء من السنة الصحيحة

أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

(حديث أنَسٍ رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) قال: كان أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " .

[*] نقل المنَّاوي في فَيْضِ القَدِيرِ عن الطيبي أنه قال:

إنَّمَا كان يُكْثِرُ صلى الله عليه وسلم من هذا الدُّعَاء لأنه من الجَوَامِعِ التي تَحُوزُ جميع الخَيْرَاتِ الدُّنيوية والأُخْرَوِيَةِ[٢٨١] .

[*] ونقل ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة/ ٢٠١) عن أبي طالوت[٢٨٢] قال : كنت عند أنس بْن مالك فقال لَهُ ثابت إنَّ إخْوَانك يُحِبُّونَ أنْ تَدْعُو لَهُمْ فَقَالَ: اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الآخِرَة حَسَنَة وَقِنَا عَذَاب النَّار، وَتَحَدَّثُوا سَاعَة حَتَّى إذَا أرَادُوا الْقِيَام قال أبَا حَمْزَة: إنَّ إخْوَانك يُرِيدُونَ الْقِيَام فَادْعُ اللَّه لَهُمْ، فقال: أَتُرِيدُونَ أنْ أشَقِّق لَكُمْ

[٢٨١] أنظر فيض القدير حديث رقم : ٦٨٢٦ .
[٢٨٢] اسمه: عَبْد السَّلام بْن شَدَّاد .

الأمُور إِذَا آتَاكُمْ اللَّه فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الآخِرَة حَسَنَة وَوَقَاكُمْ عَذَاب النَّار فَقَدْ آتَاكُمْ الْخَيْر كُلّه [٢٨٣] .

(حديث شَهْرُ بن حَوْشَبٍ رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال: قُلْتُ لأمِّ سَلَمَةَ: يَا أمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ ؟ قَالَتْ: كَانَ أكْثَرُ دُعَائِهِ " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " قالت: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ ؟ قال: " يَا أمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أصْبُعَيْنِ مِنْ أصَابِعِ اللَّهِ فَمَنْ شَاءَ أقَامَ وَمَنْ شَاءَ أزَاغَ ، فَتَلا مُعَاذٌ [٢٨٤] ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران/٨)

(حديث أنَسٍ رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أنْ يقول: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " .

دعاء القنوت في الوتر

(حديث الحسن بن علي في صحيح السنن الأربعة) قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر{ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت}

سؤال العمل النافع

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبي ﷺ قال : " اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَأعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ " .

---

[٢٨٣] انظر تفسير ابن كثير على الآية (٢٠١ ـ البقرة)، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم: ٥٩١٠ .

الاستعاذة من المنكرات

(حديث عن قطبة بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء " .

الاستعاذة من الأمراض والأسقام

(حديث أنس في صحيح أبي داوود) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيئِ الأسقام .

دعاء لإذهاب الهم

(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة)أن النبي ﷺ قال : ما أصاب عبداً همٌ ولا حزنٌ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكلِ اسمٌ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدٌ من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونورَ بصري وجلاء حزني وذهاب همِّي إلا أذهب الله همَّه وأبدله مكانه فرجاً .

دعوات المكروب

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال: دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

(حديث ابن عباس في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم .

دعاء جامع

(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

ادخر هذه الكلمات فهي خير لك من الذهب والفضة

(حديث شداد بن أوس الثابت في السلسلة الصحيحة) أن النبي ﷺ قال له :" يا شداد بن أوس إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة ؛ فأكثر هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسْألُكَ الثَّباتَ في الأمْرِ ، والعَزِيمَةَ على الرُّشْدِ ، وأسْألُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وأسْألُكَ شُكْرِ نِعْمَتِكَ ، وحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وأسْألُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، ولِسَانًا صَادِقًا، وأسْألُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَم ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَم ، وأسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَم ؛ إنَّكَ أنْتَ عَلاَمُ الغُيُوبِ "

سؤال المغفرة والبركة

(حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أنَّ رَجُلاً قَالَ يَارَسُول اللَّـهِ سَمِعْتُ دُعَاءَكَ اللَّيْلَةَ فَكَانَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيَّ مِنْهُ أنَّكَ تَقُولُ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي " قال: " فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا " .

ومعنى " فَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ شَيْئًا " أي: من خَيْرَيِ الدُّنيا والآخِرَة.

الاستعاذة من العجز و الكسل

(حديث أنس في الصحيحين) قال كان النبي ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن و العجز و الكسل و الجبن و البخل و ضلع الدين و غلبة الرجال .

[*] قال في فتح الباري: الْفَرْق بَيْن الْعَجْز وَالْكَسَل أنَّ الْكَسَل تَرْك الشَّيْء مَعَ الْقُدْرَة عَلَى الأَخْذ فِي عَمَله، وَالْعَجْز عَدَم الْقُدْرَة [٢٨٥] .

الاستعاذة من سخط الله تعالى

(حديث ابن عمر في صحيح مسلم) قال كان رسول الله يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفُجاءة نقمتك وجميع سخطك .

والفُجَاءَةُ :أي الْبَغْتَةُ.

دعاء جامع

(حديث ابن عمر في صحيح الترمذي) قال قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعتك ما تبلغنا به جنتك و من اليقين ما تُهوِّنُ به علينا مصيبات الدنيا و متعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوتنا ما أحييتنا و اجعله الوارث منا و اجعل ثأرنا على من ظلمنا و انصرنا على من عادانا

[٢٨٥] أنظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، حديث رقم : ٢٦١١ .

و لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا و لا تسلط علينا من لا يرحمنا .

الاستعاذة من الجوع والخيانة

(حديث هريرة في صحيحي أبي د اود والنسائي) قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع و أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة .

طلب المغفرة والرحمة والهداية والرزق

(حديث عن أبي مَالِكٍ الأَشْجَعِيُّ عن أَبِيهِ الثابت في صحيح مسلم) قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ مَنْ أَسْلَمَ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي"٠

الجوامع من الدعاء

(حديث عائشة في صحيح ابن ماجة) أن رسول الله علمها هذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل و أسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا .

(حديث أبي هريرة في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم انفعني بما علمتني ،وعلمني ما ينفعني وزدني علماَ .

الاستعاذة من الفقر والقِلَة

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود و النسائي) أن النبـــي ﷺ قال :" اللَّهُمَّ إنِّي أعُــوذُ بِكَ مِنْ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أظْلِمَ أوْ أُظْلَمَ " ٠

قال العلماء: المقصود بالفقر أي فَقْرُ النَّفْسِ الذي يُقَابِلُ غِنَى النَّفْسِ وهو: القَنَاعَــة، والقِلَّــةُ أي: في أبواب البِّــرِّ وخِصَالِ الخَيْرِ ٠

الاستعاذة من التَّخَبُّطِ عند الموت

(حديث هريرة في صحيحي أبي د اود والنسائي) قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهــم إنــي أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع و أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة .

" وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْت " فَسَّرَهُ الْخَطَّابِيّ بِأَنْ يَسْتَوْلَى عَلَيْهِ عِنْد مُفَارَقَــة الدُّنيا فَيُضِلّهُ ويَحُولُ بَيْنه وبَيْن التَّوْبَة أوْ يُعَوِّقهُ عن إصلاح شأنه والخروج من مَظْلِمَة تَكُــون قَبْله أوْ يُؤَيِّسهُ من رَحْمَة اللَّه أوْ يُكَرِّه لَهُ الْمَوْت وَيُؤْسِفهُ على حَيَاة الدُّنيا فلا يَرْضَــى بِمَــا قَضَاهُ اللَّه عَلَيْهِ مِنْ الْفَنَاء وَالنَّقْلَة إلَى دَار الآخِرَة فَيُخْتَمُ لَهُ وَيَلْقَى اللَّه وَهُوَ سَاخِط عَلَيْــهِ [٢٨٦] ٠

الدُّعاءُ بِتَزْكِيَّةِ النَّفْسِ

(حديث زيد ابن أرقم في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقــول : اللهــم آت نفســي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علــم لا ينفــع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .

الدُّعاءُ بِالْعَافِيَةِ

[٢٨٦] أنظر شرح سنن النسائي للسندي والسيوطي ، حديث رقم : ٥٤٣٦

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال لعمه: أَكْثِرْ اَلْدُّعَاءَ بِاَلْعَافِيَةِ " .

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول ﷺ الله يدع هـؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح { اللهم إني أسألك العفو و العافية الـدنيا والآخـرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي و أهلي و مالي، اللهم اسـتر عـوراتي و آمن روعاتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فـوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي .

الدُّعَاءُ عِنْدَ اَلْكَرْبِ

(حديث ابن عباس في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظـيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إلـه إلا الله رب السـماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم .

(حديث أبي بكرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجـامع) أن النبـي ﷺ قـال: دعـوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين و أصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت .

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال :كان النبـي صـلى الله عليـه وسلم إذا كربه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .

الاستعاذة من أربع مهلكات

(حديث زيد ابن أرقم في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .

استعاذة

(حديث فَرْوَةَ بن نَوْفَلٍ الأَشْجَعِيِّ الثابت في صحيح مسلم)قال سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ اللَّهَ، قالت كان يقول: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ " .

سؤال ستر العورة وتأمين الروعة

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العفو و العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو و العافية في ديني و دنياي و أهلي و مالي ، اللهم استر عورتي و آمن روعتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي .

دعاء جامع عظيم

(حديث عمار ابن ياسر في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء اللهم بعلمك الغيب و قدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي و توفني إذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم و أسألك خشيتك في الغيب و الشهادة و أسألك كلمة الحق في الرضا و الغضب و أسألك القصد في الفقر و الغنى و أسألك نعيما لا ينفد و قرة عين لا تنقطع و أسألك الرضا

بالقضاء و أسألك برد العيش بعد الموت و أسألك لذة النظر إلى وجهك و الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة و لا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

(حديث عائشة في صحيح ابن ماجة) أن رسول الله علمها هذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل و أسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا .

(حديث أبي هريرة في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم انفعني بما علمتني ،وعلمني ما ينفعني وزدني علماً .

الاستعاذة من الضلال

(حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما الثابت في صحيح مسلم) أنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: "اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ " .

اسم الله الأعظم

(حديث أنس في صحيح السنن الأربعة) قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول :اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

(حديث بريدة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال سمع النبي ﷺ رجلا يقول : اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

التَّعوذُ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ ومِنْ شَرِّ مَالَمْ يَعْمَل

(حديث أبي موسى الأشْعَرِيِّ رضي الله عنه الثابت في صحيح مسلم) أن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " .

التعوذ من جهد البلاء

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يتعوذ من جَهْدِ البلاء ودَرَكِ الشقاءِ وسوءِ القضاءِ وشماتةِ الأعداء .

والجَهْد أي: الضَّيق والمَشَّقَةِ،

ودرَكِ الشَّقَاءِ أي: الوُقُوعُ في المَصَائِبِ والمُهْلِكَاتِ.

الاستعاذة من جار السوء

(حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه الثابت في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ قال : " تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَارِ السَّوْءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ" .

دعاء يُفرّج همَّ الدَّيْن

(حديث علي في صحيح الترمذي) « أنَّ مُكَاتَبًا[٢٨٧] جَاءَهُ فقال: إنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأعِنِّي، قال ألا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ كان عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ[٢٨٨] دَيْنًا أدَّاهُ اللَّهُ عَنْكَ؟ قال: قُلْ: " اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عن حَرَامِكَ وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ " .

[*] قال العلماء: طلب المُكَاتِبُ المَالَ، فَعَلَّمَهُ الدُّعَاء إمَّا لأنه لم يَكُنْ عنده من المَالِ لِيُعِينَهُ فَرَدَّهُ أحْسَنَ رَدٍّ عملا بقوله تعالى ﴿ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ ﴾ أو أرْشَدَهُ إلى أنَّ الأوْلَى والأصْلَحَ له أن يَسْتَعِينَ بالله لأدَائِهَا ولا يَتَكِلَ على الْغَيْرِ[٢٨٩] .

الاستعاذة من ضلع الدَّيْن وغلبة الرجال

(حديث أنس في الصحيحين) قال كان النبي ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن و العجز و الكسل و الجبن و البخل و ضلع الدين و غلبة الرجال .

استغاثة الزمها وأكثر منها

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : " أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَام " .

" أَلِظُّوا " أي: الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها .

اللهم احفظني بالإسلام

(حديث ابن مسعود رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ كان يدعو : " اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تُشَمِت

[٢٨٧] المُكاتب هو العبد يُكاتب سيده أي يتفق معه على مبلغ من المال متى ما أداه إليه أصبح حرا .
[٢٨٨] صِيْر : اسم جبل لقبيلة طئ .
[٢٨٩] أنظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي حديث رقم : ٣٤٨٦ .

بي عدواً حاسداً، اللهم إني أسألك مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَـرٍّ خَزَائِنُـهُ بِيَدِكَ "

سؤال صلاح الدين والدنيا

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم أصلح لـي ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من كل شر .

اَلْدُّعَاءُ عَلَى اَلْكَافِرِينَ وَاَلْمُنَافِقِينَ

قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة/١٠)

[*] قال القرطبي في تفسيره على الآية الكريمة :

قوله تعالى ﴿ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ قيل: هو دُعَاء عليهم، ويكون معنى الكلام: زَادَهُمُ اللَّه شَكًّا وَنِفَاقًا جَزَاء على كُفْرهمْ وَضَعْفًا عَنْ الانْتِصَار وَعَجْزًا عَنْ الْقُدْرَة، وعلى هذا يكون فِي الآيَة دَلِيل على جَوَاز الدُّعَاء على الْمُنَافِقِينَ وَالطَّرْد لَهُمْ، لأَنَّهُمْ شَرّ خَلْق اللَّه٠أ٠هـ٠

[*] وكان معاذ بن الحارث الأنصاري إذا انتصف رمضان لَعَنَ الكَفَرَةَ[٢٩٠] ٠

[*] وقال الأعرج: ما أدْرَكْتُ النَّاسَ إلاَّ وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ فِي رَمَضَانَ٠ (رواه مالك في الموطأ)

[*] قال في المنتقى شرح الموطأ:

قوله: (ما أدْرَكْتُ النَّاسَ إلاَّ وَهُمْ يَلْعَنُونَ الْكَفَرَةَ فِي رَمَضَانَ) يُرِيدُ بِالنَّاسِ الصَّحَابَةَ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْنُتُونَ فِي رَمَضَانَ بِلَعْنِ الْكَفَرَةِ، وَمَحَلُّ قُنُوتِهِمْ الْوِتْرُ ٠

[*] وقال الحافظ ابْنُ عَبْدِ البَّـرِّ في شرحه لحديث الأعرج:

٢٩٠ نقلا عن عون المعبود شرح سنن أبي داود ، حديث رقم : ١٢١٧ ٠

فيه إبَاحَةُ لَعْنُ الكفَرَةِ، كانت لهم ذِمَّةٌ أولَمْ تكُنْ، وليس ذلك بوَاجِبٍ، ولكنه مُبَاحٌ لِمَـنْ فَعَلَـهُ غَضَبًا لله في جَحْدِهِمُ الحَقَّ وعَدَاوتِهِم لِلْدِّين وأهله[291] .

وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْـنِ مَـرْيَمَ ﴾ (المائدة /٧٨)

[*] قال القرطبي في تفسيره على الآية الكريمة:

فيه مسألة واحدة وهي: جَوَاز لَعْن الْكَافِرِينَ .

[*] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

الدُّعَاءُ على جِنْسِ الظَّالِمِينَ الكُفَّار مَشْرُوعٌ مَأمُورٌ بِهِ، وشُرِعَ القُنُوتُ والدُّعَاءُ للمؤمنين، والدُّعَاءُ على الكَافِرِين[292] .

[*] قال ابن العربي :

دَعَا نُوحٌ على الكافرين أجمعين، ودَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم علـى مـن تَحَـزَّبَ علـى المؤمنين وألَّبَ عليهم، وكان هذا أصلا في الدُّعَاءِ على الكافرين في الجملة، فأمَّا كافر مُعَـيَّنٌ لَمْ تُعْلَمُ خَاتِمَتُهُ فلا يُدْعَى عليه؛ لأنَّ مَآلُهُ عندنا مجهول، وربما كان عند الله معلـوم الخاتمـة بالسَّعادة، وإنما خَصَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بالدُّعَاءِ عُتَّبَةٌ وشَيَّبَةٌ وأصْحَابِهِمَا[293] لِعِلْمِـهِ بِمَآلِهِمِ وما كُشِفَ له من الغِطَاءِ عن حَالِهِم، والله أعلم[294].

فضل الدعاء الحمد لله

(حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه الثابت في صحيح ابن ماجه) أن النبـي ﷺ قـال ": أفْضَلَ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلَ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ " .

[*] قال القرطبي في تفسيره:

[291] الاستذكار ، ج٢ ، ص ٧٣ وما بعدها .

[292] نقلا عن فتوى لفضيلة الشيخ / د. علي بن بخيت الزهراني ، اطلع عليها عبر موقع : www.almokhtsar.com على الشبكة المعلوماتية .

[293] يعني دعاؤه صلى الله عليه وسلم : " اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وعقبة بن أبي مُعيط حتى عد سبعة من قريش " قال عبد الله ـ راوي الحديث ـ فوالذي أنزل عليه الكتاب لقد رأيتهم صرعى يوم بدر في قَلِيبٍ واحد . (رواه النسائي ـ أنظر صحيح سنن النسائي رقم : ٢٩٦) .

[294] أنظر أحكام القرآن لابن العربي ، سورة نوح الآية رقم : ٢٦ .

يُستحب للداعي أن يقول في آخر دعائه كما قال أهل الجنَّة ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله ربِّ العالمين ﴾ (يونس/ ١٠) .

أهم ما يسأل العبد ربه

العبد يسأل ربه كل شيء يحتاجه في أمر دينه ودنياه، لأن الخزائن كلها بيده سبحانه وتعالى، قال سبحانه: {وإنْ من شيءٍ إلا عندنَا خزآئنُهُ وما نُنَزِّلهُ إلا بقدَرٍ مَّعلومٍ} [الحجر/ ٢١]

وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ"[٢٩٥]. أي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وإنما ينفعه الإيمان والطاعة[٢٩٦].

والله تعالى يحب أن يسأله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم، من المطاعم والمشارب، كما يسألونه الهداية، والمغفرة، والعفو والعافية[٢٩٧] في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: {وسئَلُواْ اللهَ من فضلِهِ إنَّ اللهَ كانَ بكلِّ شيءٍ عليماً}

[النساء/ ٣٢]

ولكن العبد يهتم اهتماماً عظيماً بالأمور المهمة العظيمة التي فيها السعادة الحقيقية ومن أهم ذلك ما يأتي:

(١) سؤال الله الهداية :

لقوله تعالى: {مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}

[الكهف/ ١٧]

والهداية نوعان : هداية مجملة، وهي الهداية للإيمان والإسلام وهي حاصلة للمؤمن، وهداية مفصلة، وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك،

(٢٩٥) أخرجه مسلم ١/٤١٥.
(٢٩٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١/٢٤٤.
(٢٩٧) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ٢/٣٨-٤٠.

وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلاً ونهاراً، ولهذا أمر الله عباده أن يقرأوا في كل ركعة من صلاتهم قوله تعالى: {إِيَّاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستَعينُ} [الفاتحة /٦]

(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

(حديث علي في صحيح مسلم) قال ، قال رسول الله ﷺ : اللهم إني أسألك الهدى والسداد .

وعلم الحسن بن علي رضي الله عنهما أن يقول في قنوت الوتر: "اللهم اهدني فيمن هديت"

(حديث الحسن بن علي الثابت في صحيح السنن الأربعة) قال علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر{ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت}

(٢) سؤال الله مغفرة الذنوب :

لأن من أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه أو ما يستلزم ذلك كالنجاة من النار ودخول الجنة[٢٩٨].

والعبد محتاج إلى الاستغفار من الذنوب، وطلب مغفرة ذنوبه من الله تعالى، لأنه يخطئ بالليل والنهار، والله يغفر الذنوب جميعاً .

والكتاب والسنة الصحيحة طافحان بما يشحذ الهمم العالية إلى أن تنهل من كنوز الاستغفار بقدر ما تستطيع .

قال تعالى: (وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ غَفُورٌ رّحِيمٌ) [المزمل / ٢٠]

وتارةٌ يمدح أهله كقوله تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ) [سورة: آل عمران - الآية: ١٧]

وتارة يذكر الله تعالى أنه يغفر لمن يستغفره كقوله تعالى: (وَمَن يَعْمَلْ سُوَءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رّحِيماً) [سورة: النساء - الآية: ١١٠]

وقال: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه /٨٢]

(حديث الأغرِّ المُزني في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : يا أيها الناس ! توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة .

---

[٢٩٨] جامع العلوم والحكم ٢/٤١، ٤٠٤.

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة .

(حديث عبد الله بن بُسر في صحيح ابن ماجة) أن النبي ﷺ قال طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفارا كثيرا .

(حديث أنس في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : يا ابنَ آدَمَ إنّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السّمَاءِ ثُمّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي. يا ابنَ آدَمَ إنّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرْضِ خَطَايَا ثُمّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» .

(حديث أبي سعيد في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :إن إبليس لعنه الله قال وعزتك وجلالك لا أبرح أُغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا ابرح أغفر لهم ما استغفروني .

(حديث شداد بن أوس في صحيح البخاري) سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة و من قالها من الليل و هو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة .

(حديث زيد بن حارثة رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ قال : من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف .

➢وكثيراً ما يُقْرَنُ الاستغفار بذكر التوبة فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح، وقد وعد الله في سورة آل عمران[٢٩٩] بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه ولم يصر على ما فعله فتحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا المقيد، وأما استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب فهو دعاء مجرد إن شاء الله أجابه وإن شاء رده، وقد يكون الإصرار مانعاً من الإجابة[٣٠٠]،

[٢٩٩] سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.
[٣٠٠] جامع العلوم والحكم ٢/٤٠٧-٤١١.

(حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الثابت في صحيح الأدب المفــرد) أن النبي ﷺ قال : ارحموا تُرحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول[٣٠١] ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون .

➢وإن قال أستغفر الله وأتوب إليه فله حالتان:

الحالة الأولى : أن يقول ذلك وهو مصر بقلبه على المعصية فهذا كاذب في قوله: وأتوب إليه، لأنه غير تائب، فهو يخبر عن نفسه بأنه تائب وهو غير تائب.

والثانية: أن يكون مقلعاً عن المعصية بقلبه، ويسأله توبة نصوحاً ويعاهــد ربـــه علـــى أن لا يعود إلى المعصية، فإن العزم على ذلك واجب عليه فقوله "وأتوب إليه" يخبر بما عزم عليه في الحال[٣٠٢].

(٣) سؤال الله الجنة والاستعاذة به من النار :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي أبي داوود وابن ماجــة) أن النبـــي ﷺ قال لرجلٍ: "ما تقول في الصلاة"؟ قال: أتشهد ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النـــار. أمـــا والله ما أحسن دندنتك، ولا دندنة مُعاذ. فقال: "حولها ندندنُ .

يعني حول سؤال الجنة والنجاة من النار.

(حديث أ أنس بن مالك بي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيحي الترمذي وابن ماجــة) أن النبي ﷺ قال : من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخلـــه الجنـــة، ومـــن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار .

(٤) سؤال الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة :

(حديث ابن عباس رضي الله عنهما الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال لعمه: أَكْثِرْ اَلْدُّعَاءَ بِاَلْعَافِيَةِ " .

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول ﷺ الله يدع هــؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح { اللهم إني أسألك العفو و العافية الـــدنيا والآخـــرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي و أهلي و مالي، اللهم اســـتر عـــوراتي و

---

(٣٠١) جمع: قمع كضلع وهو الإناء الذي يترك في رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والأدهان شبه أسماع اللذين يستمعون القول ولا يعونه ولا يحفظونه ولا يعملون كالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها فكأنه يمر عليها مجازاً كما يمر الشراب في الأقماع اجتيازاً.

(٣٠٢) انظر: جامع العلوم والحكم ٢/٤١٠-٤١٢.

آمن روعاتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعوذ بك أن اغتال من تحتي .

(٥) سؤال الله تعالى الثبات على دينه :

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : اللهم مُصَرِّفَ القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك .

(حديث أنَسٍ رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يقول: " يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ " .

(٦) سؤال الله تعالى دوام النعمة والاستعاذة به من زوالها :

وأعظم النعم نعمة الدين :

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من كل شر .

(حديث ابن عمر في صحيح مسلم) قال كان رسول الله يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفُجاءة نقمتك وجميع سخطك .

(٧) الاستعاذة بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء، وسوء القضاء وشماتة الأعداء :

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يتعوذ من جَهْدِ البلاء ودَرَكِ الشقاءِ وسوءِ القضاءِ وشماتةِ الأعداء .

الدعاء على الظالمين

الظلم داء خطير وشرُّه مستطير، يعصف بالظالم قبل المظلوم، وينذر بالخراب المحتوم ، ومن بشاعة الظلم أن الجبار –جل جلاله– حرّمه على نفسه كما في الحديث الآتي :

(حديث ابن عمر في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : الظلم ظلماتٌ يوم القيامة .

(حديث أبي ذرٍ في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا

عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه . فالظلم من كبائر الذنوب، ومن أشنع المحرمات وأبشعها، ما أحله دين من الأديان، ولم تقره شريعة من الشرائع، ولم يبحه عرف من الأعراف؛ لأن عاقبته وخيمة في الدنيا قبل الآخرة، فالظلم سبب لنزول النقم، وسلب النعم، ومدعاة للمحق والبغض من الرب جل جلاله .

ولخطورة هذا الشر المستطير، وشناعة آثاره، وبشاعة نتائجه، وخبث ثماره، لم يمهل الرب -جل وعلا- فاعله إلى الدار الآخرة ليذيقه الهوان العظيم، والعذاب الأليم، والنكال المبين، بل يعجل له العقوبة والعذاب في الدنيا، ويريه شر ما جنت يداه ليشفي صدور قوم مظلومين مقهورين، فوضوا الأمر إلى رب العالمين .

(حديث أنس في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال :بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي و العقوق .

فالظالم خاسر مغبون؛ لأن الله هو الذي يقتص منه، فمهما أوتي الظالم من قوة وجبروت، فهذا كله لا يمنعه من عقاب الله جل وعلا

قال تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ)

[إبراهيم: ٤٢ ، ٤٣]

وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة على تحريم الظلم والتحذير منه والنهي عنه، وبيان عواقبه الوخيمة، فمن ذلك ما يلي :☜

قال تعالى: (وَالظّالِمُونَ مَا لَهُمْ مّن وَلِيّ وَلاَ نَصِيرٍ) [الشورى: ٨]

قال تعالى: (مَا لِلظّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ) [غافر: ١٨]

قال تعالى: (إِنّ الّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىَ ظُلْماً إِنّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) [النساء: ١٠]

(حديث ابن عمر في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : الظلم ظلماتٌ يوم القيامة .

(حديث أبي ذرٍ في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : قال الله تعالى : يا عبادي ! إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي ! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ! إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي ! لو أن أولكم و آخركم و إنسكم و جنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي ! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه .

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ و صيام و زكاة و يأتي وقد شتم هذا و قذف هذا و أكل مال هذا و سفك دم هذا و ضرب هذا فيُعطِى هذا من حسناته و هذا من حسناته فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضَى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار .

(حديث ابن عمر في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : من أخذ من الأرض شيئا بغير حقه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين .

(حديث أبي موسى في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى لَيملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

[*]➢أضرار الظلم وعواقبه:

١ – الظلم ظلمات يوم القيامة:

(حديث ابن عمر في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : الظلم ظلماتٌ يوم القيامة .

[*] قال القاضي عياض:

"قيل: ظاهره أنه ظلمات على صاحبه حتى لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم. وقد تكون الظلمات هنا الشدائد، وقد تكون الظلمات ها هنا عبارة عن الانكال بالعقوبات عليه، وقابل بهذه اللفظة قوله: ((الظلم)) لمجانسة الكلام".

[*] وقال ابن الجوزي:

"وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب، لو استنار بنور الهدى لاعتبر، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً".

٢ – الظلم سبب هلاك الأمم:

قال تعالى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيّنَـٰتِ} [يونس:١٣].

[*] قال ابن سعدي:

"يخبر تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بظلمهم وكفرهم، بعدما جاءتهم البينات على أيدي الرسل تبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا، فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سننه في جميع الأمم".

٣- قبول دعوة المظلوم على الظالم:

(حديث ا بن عباس في الصحيحين) قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ ابن جبل حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك

فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : ثلاث دعوات مستجابات: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده .

[*] قال ابن عثيمين:

"فيه دليل على أن دعوة المظلوم مستجابة لقوله: ((فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)).

وفيه دليل على أنه يجب على الإنسان أن يتقي الظلم ويخاف من دعوة المظلوم، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بذلك".

٤- اللعن للظالمين:

قال تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ} [هود:١٨].

[*] قال ميمون بن مهران:

إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه، قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: {أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ} وهو ظالم.

٥- إملاء الله للظالم حتى يأخذه:

(حديث أبي موسى في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : إن الله تعالى لَيملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ} [هود:١٠٢].

[*] قال القرطبي رحمه الله :

"يملي: يطيل في مدّته، ويصحّ بدنه، ويكثر ماله وولده ليكثر ظلمُه، كما قال تعالى: {إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ} [آل عمران:١٢٨]، وهذا كما فعل الله بالظلمة من الأمم السالفة والقرون الخالية، حتى إذا عمّ ظلمهم وتكامل جرمهم أخذهم الله أخذة رابية، فلا ترى لهم من باقية، وذلك سنة الله في كلّ جبار عنيد".

٦- حال الظالمين في الآخرة:

قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ} [إبراهيم:٤٢، ٤٣].

[*] قال ابن كثير:

"يقول الله تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ} يا محمد {غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} أي: لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجّلهم أنه غافلٌ عنهم مهمِل لهم لا يعاقبهم على صنعهم، بل هو يحصِي ذلك عليهم ويعدّه عليهم عداً، {إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ} أي: من شدّة الأهوال يوم القيامة. ثم ذكر تعالى كيفية قيامهم من قبورهم وعجلتهم إلى قيام المحشر فقال: {مُهْطِعِينَ} أي: مسرعين، {مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ} قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: رافعي رؤوسهم، {لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} أي: أبصارهم ظاهرة شاخصة مديمون النظر لا يطرفون لحظة لكثرة ما هم فيه من الهول والفكرة والمخافة لما يحلّ بهم، عياذاً بالله العظيم من ذلك، ولهذا قال: {وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ} أي: وقلوبهم خاوية خالية ليس فيها شيء لكثرة الوجل والخوف".

٧- حرمان الفلاح:

قال تعالى: {إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ} [الأنعام:٢١].

[*] قال ابن سعدي:

"فكلّ ظالم وإن تمتّع في الدنيا بما تمتّع به فنهايته فيه الاضمحلال والتلف".

٨- حرمان الهداية والتوفيق:

قال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [القصص:٥٠].

وطلب هداية التوفيق من الأدعية التي أوجبها الله علينا في أعظم مقام نقف فيه بين يدي الله عز وجل، وهو في الصلاة، حيث نقول في كل ركعة: {ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ}. فالظلم ــ

أعاذنا الله منه ــ يكون سبباً لحرمان هداية التوفيق، وهذا يستلزم البعد عن مقامات الظلم حتى يستجيب الله دعاءنا في صلاتنا.

٩- حرمان حبّ الله تعالى:

قال تعالى: {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ} [الشورى:٤٠].

[*] قال ابن سعدي:

"أي: الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم".

١٠- حلول المصائب في الدنيا والعذاب في القبر:

قال تعالى: {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} [الطور:٤٧].

[*] قال ابن سعدي:

"لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة أخبر أن لهم عذاباً دون عذاب يوم القيامة، وذلك شامل لعذاب الدنيا بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر".

١١- العذاب الأليم:

قال تعالى: {إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى:٤٢].

[*] قال ابن سعدي:

"أي: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية {عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ}، وهذا شامل للظلم والبغي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، {أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي: موجع للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم".

١٢- خذلان الظالم عند الله تعالى:

قال تعالى: {مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر:١٨].

[*] قال ابن عثيمين:

"أي: أنه يوم القيامة لا يجد الظالم حميماً، أي: صديقاً ينجيه من عذاب الله، ولا يجد شفيعاً يشفع له فيطاع، لأنه منبوذ بظلمه وغشمه وعدوانه".

وقال تعالى: {وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} [البقرة:٢٧٠].

[*] قال ابن عثيمين:

"يعني: لا يجدون أنصاراً ينصرونهم ويخرجونهم من عذاب الله سبحانه".

مسألة : هل دعاء المظلوم على الظالم مكروها ؟

الجواب : دُعاء المظلوم على مَن ظَلَمه ليس مكروها ، إلا أن يتعدّى المظلوم في دُعائه ، كأن يدعو بأكثر مما ظُلِم ، أو أن يَدعو بإثم أو بِقطيعة رَحِم .

وقد أذِن الله للمظلوم أن يدعو على مَن ظَلَمَه.

قال تعالى : (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ) [النساء /١٤٨]

[*] قال ابن عباس في الآية :

يقول : لا يُحِبّ الله أن يَدعو أحَد على أحَد إلاّ أن يكون مَظلوما ، فإنه قد أرْخص له أن يَدعو على مَن ظَلَمه ، وذلك قوله : (إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ) ، وإن صَبَرَ فَهو خَيْر له.

وقال أيضا : لا بأس لمن ظُلم أن ينتصر ممن ظَلمه بمثل ظُلْمِه.

وقال تعالى: (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) [الشورى /٤١]

ثم قال تبارك وتعالى بعد ذلك : (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ).

[*] قال الحسن البصري :

دعاؤه عليه أن يقول : اللهم أعِنّي عليه ، اللهم اسْتَخْرِج حَقّي منه .

وقيل : إن شُتِم جاز أن يَشْتِم بمثله لا يَزيد عليه . نَقَله البغوي.

[*] وقال ابن كثير في قوله تعالى :

(وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) ما نصه:

أي : ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلَمهم . اهـ .

فيجوز للمظلوم أن يَدعو على مَن ظَلَمه بِقَدْر مَظْلَمَتِه ، وإن صَبر فهو أفضل له ، لأن أجْر ذلك يُدَّخَر له يوم القيامة . وأفضل مِنه أن يصبر ويَغفر ، فيَعظُم أجره.

والله تعالى أعلم .

فينبغي للمظلوم أن يفوض أمره إلى الله ويقول: "وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد"، ويكثر من قوله: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، وعليه أن يكثر من الدعاء على من ظلمه ويبشر بالخير؛ فقد أخذ الجبار -جل جلاله- بإجابة دعوة المظلوم؛ قال صلى الله عليه وسلم: "اتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب "متفق عليه .

على المظلوم أن يستعين على الظالم بسهام الليل، فما هي سهام الليل؟ إنها الدعاء.. وقف أحد الرعية أمام أحد الطغاة، وقد أوقع عليه ظلماً شديداً، فقال الرجل للطاغية لاستعين عليك

بسهام الليل! قال الطاغية: ما سهام الليل؟ قال الرجل: الدعاء.

فيا أيها المظلوم أبشر بنصر الله لك في الدنيا قبل الآخرة .

إن المتأمل في أحوال الناس اليوم يجد الكثير من الناس لا يتوقّى الظُّلم ولا دعوة المظلوم ويتناسى أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

وأن الله يرفعها فوق الغمام ، ويقول : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين

فــ لله كم هلك بسببها من هالك

وكم شقي بسببها من سعيد

وكم افتقر بسببها من غني

وكم زال بسببها من مُلك

➢إنها دعوات المظلومين، فدعوة المظلوم قد تصيبك في نفسك، دعوة المظلوم قد تصيبك في مالك، دعوة المظلوم قد تصيبك في ولدك، دعوة المظلوم تقلب صحتك سقمًا، دعوة المظلــوم تقلب سعادتك شقاء، دعوة المظلوم تجعلك بعد العز والغنى ذليلاً حقيرًا فقيرًا.

قيل لما حبس خالد بن برمك و ولده قال :

يا أبتي بعد العز صرنا في القيد و الحبس فقال : يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها و لم يغفل الله عنها و كان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحدا قط هيبتي رجلا ظلمته و أنــا أعلم أن لا ناصر له إلا الله يقول لي : حسبي الله : الله بيني و بينك .

ولله درٌّ من قال :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتــــــــدرا	فالظلم ترجــع عقبــاه إلى النـــــدم
تنام عيناك والمظلوم منتبـــــــــهٌ	يدعو عليك وعين الله لم تنــــــــم

و حبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب إليه من السجن هذين البيتين شعرا :

أما و الله إن الظلم شــــــــــؤم	و ما زال المســـــيء هــو المظلوم
ستعلم يا ظلــــــــــــــوم إذا التقينا	غدا عنــــــــد المليك من الملوم

ولله درٌّ من قال :

توق دعــا المظلــــــــوم إن دعاءه	ليرفع فوق الســــــــحب ثم يجاب
توق دعــا من ليس بين دعائـــــه	و بين إله العالمين حجــــــــــــاب
و لا تحسبن الله مطرحــــــــــــا له	و لا أنه يخفى عليه خطــــــــــاب

فقد صـــــــحَّ أن الله قال و عزتي   لأنصر المظلـــــوم و هو مثـــــاب
فمن لك يصـــــــــدق ذا الحديث فإنه   جهول و إلا عقله فمصـــــــــاب

دخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الأذان قال هشام : وما يوم الأذان ؟ قال : قال الله تعالى : { فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين } فصعق هشام فقال طاوس : هذا ذا الصفة فكيف بذل المعاينة ؟ يا راضيا باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم و الحق الحاكم !

أخي هل تعتقد أن الإنسان المظلوم يعيش مثل الإنسان الطبيعي ؟

هل يحس بما نحس به نحن الآن؟ هل تعتقد بأن حياته طبيعية وشعوره عادي؟ إذا كنت تعتقد ذلك فأعد النظر يا صديقي!

الإنسان المظلوم لا يعيش حياته كغيره من البشر.. لا يعيش ولا يحس كالأشخاص الطبيعيين.. لا يحس بطعم الشراب ولا الطعام! لا يستطيع أن يستمتع بحياته! بل لا يستطيع حتى أن يبتسم مثلي ومثلك!!! الإنسان المظلوم يصاب بالإكتئاب.. الإنسان المظلوم باختصار يحس بأن هنالك صخرة بحجم الكرة الأرضية.. بل بحجم العالم كله.. تجثم على صدره!

وعندما يحاصَر المظلوم من كل جهة، ويضيّق عليه الخناق، فلا يستطيع الانتصار لنفسه ممن ظلمه، ولا يقدر على التخلص من الظلم الصارخ الذي أحاط به من كل جانب، يرفع يديه إلـى السماء، فتَفتح له السماء أبوابها، وتأتيه منافذ الفرج، ويتنـزل عليه المدد، إنه مدد السماء، من رب الأرباب، وخالق الأسباب، مهلك الجبابرة، وقاصم القياصرة، الذي أهلك عاداً الأولـى، وثمـود فمـا أبقـى، وقـوم نـوح مـن قبـل إنهـم كـانوا هـم أظلـم وأطغـى. إن رحمة الله – تبارك وتعالى – تتجلى في هذا السلاح الفتاك الذي منحه الله للمظلومين، بل إن الظلمة مهما بلغوا من الطغيان أفراداً كانوا أو دولاً، قد يسقطون بسبب الدعاء.

ولهذا دعا نوح _ عليه السلام _ على قومه عندما استضعفوه، وكذَّبوه، وردُّا دعوته.

وكذلك موسى _ عليه السلام _ دعا على فرعون عندما طغى، وتجبر، وتسـلط، ورفـض الهدى ودين الحق؛ فاستجاب الله لهما، وحاق بالظالمين الخزي في الدنيا، وسوء العذاب فـي العقبى.

وكذلك الحال بالنسبة لكل من ظُلِم، واستُضْعِف؛ فإنه إن لجأ إلى ربه، وفزع إليـه بالـدعاء _ أجابه الله، وانتصر له وإن كان فاجرًا.

ولله درُّ من قال :

أمــا والله إن الظلـــم شـــــــــــؤم　　　ومازال المســـــــيء هو الظلــوم
إلى ديّان يوم الدين نمضـــــــــــــــي　　　وعند الله تجتمـــــــــع الخصــوم

هل يظن الظالم بأن الله غافل عنه، لا يعلم عنه، لا يقدر عليه؟ إن الله يمهل الظــالم لكــن لا يهمله، يصبر – عز وجل– على الظلمة ولكن إذا أخذهم لم يفلتهم. قال الله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُــمْ لَــا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}

[ســــــــورة النحــــــــل/ ٦١]

فيا أيها الظالم : اتق دعوة المظلوم، لا تعرض نفسك لدعائه؛ لأن دعوة المظلوم مســتجابة. اتق دعوة المظلوم فإنها تُحمل على الغمام ويقول الله تعالى: ((وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)). اتق دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونها حجاب، فكيــف بــالمظلوم إن كــــان مســــــلماً، كيــــف بـــــالمظلوم إن كـــــان صــــالحاً تقيـــــاً.
والسنة الصحيحة طافحةٌ بما يدل على شناعة الظلم وأن الله تعالى يستجيب دعــوة المظلــوم وإن كان فاجرا ، وهاك غيضٌ من فيض مما ورد في هذا :

(حديث ا بن عباس في الصحيحين) قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ ابن جبل حين بعثه إلــى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمسَ صــلواتٍ في كل يومٍ وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُ على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتــق دعــوةَ المظلومِ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب .

(حديث خزيمة بن ثابت في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : اتقوا دعوة المظلوم فإنها تُحْمَلُ على الغمام يقول الله : و عزتي و جلالي لأنصرنك و لو بعد حين .

(حديث ابن عمر في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصــعد إلــى السماء كأنها شرارة .

(حديث أبي هريرة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : دعوة المظلوم مستجابة و إن كان فاجرا ففجوره على نفسه .

ولذا وجب علينا تذكير الظالم برد المظالم

احذر أن تأتي يوم القيامة مفلساً

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاةٍ و صيام و زكاة و يأتي وقد شتم هذا و قذف هذا و أكل مال هذا و سفك دم هذا و ضرب هذا فيُعطِى هذا من حسناته و هذا من حسناته فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضَى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار .

فاحذر يا مسكين من نار تلظى لا يصلاها إلا الأشقى .

فما هو الحل إذاً؟

الحل هو الحديث الآتي :

(حديث أبي هريرة في صحيح البخاري) أن النبي ﷺ قال : من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

﴿تنبيه﴾ : واعلموا بأن الله تعالى لا يرد دعوة المظلوم ولو كانت من كافر، لا تقولوا بأن هذا كافر لا حرمة له، نعم. لا حرمة له؛ لأنه كافر نجس، ولكن لا تظلمه، ولا تأكل عليه حقه، ولا تأخذ منه حقه، أعطه حقه كاملاً موفوراً غير منقوص ولا تظلمه، فلو دعا عليك وهو كافر لاستجاب الله دعوته، وكفره على نفسه، وفجوره على نفسه، أما دعوة المظلوم فيرفعها الله فوق الغمام، ويقول لها: (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين) وكانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ وهو ذاهب إلى اليمن: (واتق دعوة المظلوم –وكم من الناس لا يهتم بها، ولا يأبه لها– فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

اعلم بأن الله يمهلك ولا ينساك ولا يغفل عنك، فإن كنت ظالماً لأحد من عباد الله ولأحد من خلق الله كافراً كان أو مسلماً، فرد إليه المظلمة قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار، ولا

مناصب ولا كراسي ولا وزارات، ويؤخذ من حسناتك -يا عبد الله- فتعطى لمن ظلمت، حتى إذا ما فنيت حسناتك أُخذ من سيئات من ظلمتهم في الدنيا فطرحت عليك، فطرح صاحب المظالم على وجهه في النار، وهذا هو المفلس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!

[*] قال الإمام الشافعي وما أجمل ما قال :

وربَّ ظلومٍ قد كفيت بحربه ... فأوقعه المقدور أيَّ وقوعِ

فما كان لي الإسلامُ إلا تعبدًا ... وأدعيةً لا تُتَّقى بدروع

وحسبك أن ينجو الظلومُ وخلفه ... سهامُ دعاءٍ من قِسيِّ ركوع

مُرَيَّشة بالهدب من كل ساهرٍ ... منهلة أطرافها بدموع[٣٠٣]

وقال:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه ... وما تدري بما صنع الدعاءُ

سهام الليل لا تخطي ولكن ... له أمدٌ وللأمد انقضاءُ [٣٠٤]

وإذا تقطعت بك -أيها المظلوم- الأسباب، وأُغلقت في وجهك الأبواب، فاقرع أبواب السماء، وبُثَّ إلى الجبار اللأواء، فهو مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، وَعَدَ بنصرة الملهوف، وإجابة المظلوم، ظلَم رجل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- فقال سعد: (اللهم أعم بصره، وأطل عمره، عرضه للفتن)،

قال الراوي : فأنا رأيته بعد قد عمي بصره، وقد سقط حاجبه على عينيه من الكبر، ويقول: كبير مفتون أصابته دعوة سعد.

فيا ويل من وجهت له سهام المظلومين، ورفعت عليه أيدي المستضعفين، فاصبر -أيها المصاب- على ما قدر، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر، والبلاء المحض هو ما يشغلك عن ربك، وأما ما يقيمك بين يديه ففيه كمالك وعزك، وإذا أقبل اليسر، وحل الفرج، وزالت الغموم، وما أقربَ الأمر، فاحمد الله على ما كشف، ففي الحمد شكر وزيادة نِعَم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَٰخِرِينَ ﴾[غافر:٦٠].

والشواهد على إجابة دعوة المظلوم لا تكاد تحصر، ومنها ما جاء في قصة سعد بن أبي

---

(٣٠٣) ديوان الشافعي، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ص١٠٩.
(٣٠٤) ديوان الشافعي، ص٧٥.

وقاص مع أهل الكوفة لما شكوه إلى عمر بن الخطاب .

قال أبو عوانة، وجماعة: حدثنا عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال:=شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر فقالوا: إنه لا يحسن أن يصلي، فقال سعد: أما أنا فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاتي العشيِّ لا أخرم منها، أركد في الأوليين، وأحذف في الأخريين.

فقال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق.

فبعث رجلاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرًا، حتى أتوا على مسجد لبني عبسٍ، فقال رجل يقال له أبو سعد: أما إذا نشدتمونا بالله فإنه كان لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية.

فقال سعد: اللهم إن كان كاذبًا فأعم بصره، وأطل عمره، وعَرِّضْهُ للفتن.

قال عبدالملك: فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء في السكك، فإذا قيل له: كيف أنت؟ قال: كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .[٣٠٥]

وعن سعد أيضاً: أن رجلاً قام يسب علياً رضي الله عنه، فدافع سعد عن علي ، واستمر الرجل في السب والشتم، فقال سعد: اللهم اكفنيه بما شئت. فانطلق بعيرٌ من الكوفة فأقبل مسرعاً، لا يلوي على شيء، وأخذ يدخل من بين الناس حتى وصل إلى الرجل، ثم داسه بخفيه، حتى قتله أمام مشهد ومرأى من الناس.

[*] وقال الذهبي :

يقال إن رجلاً وشى على بسر بن سعيد عند الوليد بن عبدالملك بأنه يعيبكم .

قال: فأحضره وسأله، فقال: لم أَقُلْهُ؛ اللهم إن كنتُ صادقًا فأرني به آية، فاضطرب الرجل فمات .[٣٠٦]

﴿تنبيه﴾ : ومن حق من يدعو على الآخرين أن يذكر أولاً سبب الدعاء عليهم لئلا يتوهم السامع أن الدعاء دون سبب ولا ذنب ، ولهذا قدّم موسى عليه السلام السبب والجناية التي استحق فرعون وقومه والملأ منهم دعوة نبيّهم بالهلاك "

قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَآ إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ

(٣٠٥) رواه أحمد ١/١٧٥_١٨٠، والبخاري(٧٥٥)، في الأذان، باب وجوب قراءة الإمام والمأموم في الصلوات كلها، ومسلم(٤٥٣) في الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر، والنسائي ٢/٢١٧ باب الركود في الأوليين.

(٣٠٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/٥٩٥.

الأَلِيمَ) [سورة: يونس - الأية: ٨٨]قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَآ إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَـوْنَ وَمَـلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَـى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ) [يونس / ٨٨]"

الدعاء بلفظ إن كان

أحياناً يتهم الإنسان شخصاً بأنه أساء إليه، فهل له أن يدعو الله عز وجل على هذا المتّهم أو يقيّد الدعاء فيقول اللهم إن كان فلان ظلمنى أو أساء إلى فى كذا ويذكر دعوته؟

[*]➢يجيب عن التساؤل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى قائلا :

المظلوم له أن يدعو الله عز وجل على ظالمه بقدر ظلمه ودليل ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « اتقي دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » أحياناً لا يتمكن المظلوم من الرد على ظالمه ومصارحته إما لأنه قريب له أو صديق أو زعيمٌ لا يمكن أن نتكلم معه فى هذا.. فحينئذٍ لا ملجأ له إلا الدعاء لكن أحياناً يتهم الإنسان شخصاً بأنه أساء إليه، فهل له أن يدعو الله عز وجل على هذا المتّهم أو يقيّد الدعاء فيقول اللهم إن كان فلان ظلمنى أو أساء إلى فى كذا ويذكر دعوته؟ الثانى أو الأول؟ الثانى .. يعني أحياناً يتهم القريب مثلاً بأنه أصاب شخصاً بعين أو أصاب شخصاً بسره لكن ما يستطيع الإنسان أن يتكلم لأنه ما عنده بينة ولا عنده دليل إلا أن القرائن القوية تدل على أن هذا أساء فهنا رب العالمين يعلم سبحانه وتعالى قل اللهم إن كان فلان هو الذى أصابني وتدعو (بما ترى أنك ستدعوه)

﴿تنبيه﴾ :➢ وهذا المسلك سلكه من أصحاب النبي سعد ابن أبي وقاص وسعيد ابن زيد وكلاهما مبشرٌ بالجنة :

(قصة سعد ابن أبي وقاص) :

أرسل عمر إلى الكوفة من يسأل عن سعد فكَانَ النَّاس يثنون عَلَيْهِ خيرًا حتى سئل عَنْهُ رجل من بني عبس .

فَقَالَ : أما إذا أنشدتمونا عن سعد فإنه كَانَ لا يخرَجَ في السرية ولا يعدل بالرعية ولا يقسم بالسوية .

فَقَالَ سعد : اللَّهُمَّ إن كَانَ كاذبًا قام رياءً وسمعةً فاطل فأطل عمره وعظم فقره وعرضه للفتن .

فكَانَ يُرى وَهُوَ شيخ كبير قَدْ تدلى حاجباه من الكبر يتعرض للجواري يغمزهن في الطرقات ويَقُولُ : شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد .

(قصة سعيد بن زيد) :

➢وخاصمت أروى بنت أويس سعيد بن زيد رضي الله عنه عند مروان ابن الحكم أمير المدينة وادَّعت عليه أنه أخذ من أرضها، فقال: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طُوِّقه إلى سبع أرضين"

ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها، واجعل قبرها في دارها، قال: فرأيتها عمياء تتلمس الجدر تقول: أصابتني دعوة سعيد بن زيد، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها(٣٠٧).

ومن سلك هذا المسلك أبو موسى الخولاني رحمه الله وكان مُجاب الدعوة :

(قصة أبو مسلم الخولاني)

كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبَّر على باب منزله فتكبر امرأته ، فإذا كان في صحن داره كبَّر فتجيبه امرأته فإذا بلغ باب بيته كبَّر فتجيبه امرأته فانصرف ذات ليلة فكبَّر عند باب داره فلم يجبه أحد فلما كان في الصحن كبَّر فلم يجبه أحد فلما كان في باب بيته كبَّر فلم يجبه أحد وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه .

قال فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكت بعود معها .

فقال لها : مَالَك ؟

فقالت: أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك فقال : اللهم من أفسد علي امرأتي فاعم بصره .

قال وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم

(٣٠٧) مسلم برقم ١٦١٠، ٢/١٢٣٠.

قال : فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت ما لسراجكم طفئ قالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي تسأله أن يدعو الله عز و جل لها يرد عليها بصرها .

قال: فرحمها أبو مسلم فدعا الله عز و جل لها فرد عليها بصرها

ومن ذلك قصة الثلاثة الذين ابتلاهم الله في بني إسرائيل :

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي ﷺ قال : « إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطي لونا حسنا، وجلدا حسنا، فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال البقر، هو شك في ذلك: أن الأبرص والأقرع: قال أحدهما الإبل، وقال الآخر البقر - فأعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها. وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا، قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب، وأعطي شعرا حسنا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال يبارك لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري، فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت

بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرا أتبلغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا صيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك).

نموذج للدعـــاء

١) نموذج لحمد الله تعالى والثناء عليه :

➢اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ومنه ملئ السموات والأرض وما بينهما وملـــئ ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد وكلنا لك عبد ،اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

➢سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، أنت الأول فلـــيس قبلــك شيء ، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت البـــاطن فلـــيس دونك شيء ، ليس كمثلك شيء وأنت السميع البصير .

➢يا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى.

يا سابغ النعم، ويا دفع النقم، ويا فارج الغمم، ويا كشف الظلل، ويا أعــدل مــن حكــم، ويـــا حسيب من ظلم، ويا ولي من ظُلم .

يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصــفون، ولا تغيــره الحــوادث ولا الدهور، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما يظلم عليه الليل ويشرق عليه النهار .

كم من نعمة أنعمت بها علينا قل لك عندها شكرنا، وكم من بلية ابتليتنا بها قل عندها صبرنا، فيا من قل عند نعمته شكرنا فلم يحرمنا، ويا من قل عند بلائه صبرنا فلم يخذلنا أقــذف فـــي قلوبنا رجائك، اللهم اقذف في قلوبنا رجائك، اللهم اقذف في قلوبنا رجائك حتى لا نرجو أحـــدا غيرك.

يا سامعا لكل شكوى، ويا عالما بكل نجوى، يا كاشف كربتنا، ويا مستمع دعوتنا، ويا راحـــم عبرتنا، ويا مقيل عثرتنا ، يا كاشف كل ضر وبلية، ويا عالم كل سر وخفية ، يا عالم الخفيات ويارفيع الدرجات ، يا قاضي الحاجات ويا مجيب الدعوات افتح لدعائنا باب القبول والإجابـــة وارزقنا التوبة وحسن الإنابة .

يا رب البيت العتيق أكشف عنا وعن المسلمين كل شدة وضيق، واكفنا والمسلمين ما نطيق وما لا نطيق، اللهم فرج عنا وعن المسلمين كل هم غم، وأخرجنا والمسلمين من كل حزن وكرب.

يا فارج الهم، يا كاشف الغم، يا منزل القطر، يا مجيب دعوت المضطر، يا سامعا لكل نجوى احفظ إيمان وأمن بلادنا، ووفق ولاة الأمر لما فيه صلاح الإسلام والعباد.

٢) الصلاة على النبي ﷺ :

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنـك حميـدٌ مجيد ، اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنـك حميدٌ مجيد .

(٣) الدعاء باسم الله الأعظم أن يستجيب دعاءنا ولا يردنا خائبين :

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السـماوات والأرض يـا ذا الجـلال والإكرام يا حي يا قيوم أن تستجيب دعاءنا ولا تردنا خائبين ولا عن بابك مطرودين ولا مـن رحمتك محرومين يا مجيب دعوة المضطرين ، اللهم لا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنـا بعيوبنـا ويسِّر لنا أمورنا واختم بالصالحات أعمالنا ، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة واجعلنا ممن كتبت لهم الحسنى وزيادة .

اللهم يا عالم الخفيات ويا رفيع الدرجات ويا مجيب الدعوات ويا قاضى الحاجات افتح لدعائنا القبول والإجابة وارزقنا التوبة وحسن الإنابة .

اللهم إنك قلت وقولك الحق (أدعوني أستجب لكم) ، ها نحن ندعوك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا

[*]⮘نموذج للدعاء من القرآن الكريم :

⮘اللهم اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ،صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ){الفاتحة/٦،٧}

⮘رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّـذِينَ مِـن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) {البقرة/٢٨٦}

⮘رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ {آل عمران/٨}

ربّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيَ أَمْرِنَا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا علَــى الْقَــوْمِ الْكَــافِرِينَ) { آل عمران/ ١٤٧}

➤رَبّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصّلاَةِ وَمِن ذُرّيّتِي رَبّنَا وَتَقَبّلْ دُعَآءِ، رَبّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيّ وَلِلْمُــؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) { إبراهيم / ٤٠، ٤١}

➤رَبّنَا اصْرِفْ عَنّا عَذَابَ جَهَنّمَ إِنّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً، إِنّهَــا سَــآءَتْ مُسْــتَقَرّاً وَمُقَامــاً) { الفرقان/٦٥،٦٦ }

➤رَبّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرّيّاتِنَا قُرّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتّقِينَ إِمَاماً {الفرقان/٧٤}

رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاّ لّلّذِينَ آمَنُواْ رَبّنَآ إِنّــكَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ) { {الحشر / ١٠}

➤{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف ٢٣].

➤ {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِــرْ لِــي وَتَرْحَمْنِــي أَكُــن مِّــنَ الْخَاسِرِينَ} [هود ٤٧].

➤ {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح ٢٨].

➤{رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

{وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة ١٢٧، ١٢٨].

➤ {رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء} [إبراهيم ٤٠].

➤ {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم ٤١].

➤ {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ، وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ، وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ، وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ} [الشــعراء ٨٣-٨٧].

➤{رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات ١٠٠].

➤ {رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [الممتحنة ٤].

➤ {رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الممتحنة ٥].

➤ {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَــالِحًا تَرْضَــاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل ١٩].

➤ {رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} [آل عمران ٣٨].

➢{رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} [الأنبياء ٨٩].

➢ {لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء ٨٧].

➢{رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه ٢٥-٢٨].

➢ {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي} [القصص ١٦].

➢{رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران ٥٣].

➢{رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [يونس ٨٥، ٨٦].

➢ {ربَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [آل عمران ١٤٧].

➢{رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} [الكهف ١٠].

➢ {رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه ١١٤].

➢{رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ} [المؤمنون ٩٧-٩٨].

➢{رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون ١١٨].

➢{رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة ٢٠١].

➢ {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة ٢٨٥].

➢ {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [البقرة ٢٨٦].

➢{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران ٨].

➢{رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ، رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران ١٩١-١٩٤].

➢ {رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون ١٠٩].

{رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا، إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} [الفرقان ٦٥، ٦٦].

➢ {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف ١٥].

➢{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر ١٠].

➢{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم ٨].

➢ {رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران ١٦].

➢{رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة ٨٣].

➢ {رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ} [إبراهيم ٣٥].

➢{رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص ٢٤].

➢{رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ} [العنكبوت ٣٠].

➢{رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف ٤٧].

➢{حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة ١٢٩].

٤٢- {عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ} [القصص ٢٢].

➢ {رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص ٢١].

[*]➢نموذج للدعاء من السنة :

*(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري و أصلح لي دنياي التي فيها معاشي و أصلح لي آخرتي التي فيها معادي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من كل شر .

*(حديث الحسن بن علي في صحيح السنن الأربعة) قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر{ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت}

(حديث علي في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك و أعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

(حديث ابن عمر في صحيح مسلم) قال كان رسول الله يقول اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفُجاءة نقمتك وجميع خلقك .

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي ﷺ كان يتعوذ من جَهْدِ البلاء ودَرَكِ الشقاءِ وسوءِ القضاءِ وشماتةِ الأعداء .

(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

(حديث علي في صحيح مسلم) قال ، قال رسول الله ﷺ : اللهم إني أسألك الهدى والسداد .

(حديث أنس في الصحيحين) قال كان أكثر دعاء النبي ﷺ (اللهم آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار .

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ قال : اللهم مُصَرِّفَ القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك .

(حديث أنس في الصحيحين) قال كان النبي ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من الهم و الحزن و العجز و الكسل و الجبن و البخل و ضلع الدين و غلبة الرجال .

(حديث عائشة في صحيح مسلم) أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : اللهم إني أعوذ بك من شرِ ما عملت ومن شرِ ما لم أعمل .

(حديث زيد ابن أرقم في صحيح مسلم) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها .

(حديث زياد ابن علاقة عن عمه قُطبة ابن مالك في صحيح الترمذي) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء .

(حديث شَكَل ابن حُمَيد في صحيحي أبي داوود والترمذي) قال قلت يا رسول الله علمني دعاءاً ، قال : قل اللهم إني أعوذ بك من شرِّ بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيِّي .

(حديث أنس في صحيح أبي داوود) قال كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيئِ الأسقام .

(حديث أبي البسر في صحيحي أبي داوود والنسائي) أن رسول الله ﷺ كان يدعو اللهم إني أعوذ بك من التردي و الهدم و الغرق و الحرق و أعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت و أعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرا و أعوذ بك أن أموت لديغا .

(حديث هريرة في صحيحي أبي د اود والنسائي) قال كان رسول الله ﷺ يقول اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع و أعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة .

(حديث ابن عمر في صحيح الترمذي) قال قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلسٍ حتى يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا و بين معاصيك و من طاعتك ما تبلغنا به جنتك و من اليقين ما تُهوِّنُ به علينا مصيبات الدنيا و متعنا بأسماعنا و أبصارنا و قوتنا ما أحييتنا و اجعله الوارث منا و اجعل ثأرنا على من ظلمنا و انصرنا على من عادانا و لا تجعل مصيبتنا في ديننا و لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا و لا تسلط علينا من لا يرحمنا .

(حديث عمار ابن ياسر في صحيح النسائي) أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء اللهم بعلمك الغيب و قدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي و توفني إذا علمت الوفاة خيرا لي ، اللهم و أسألك خشيتك في الغيب و الشهادة و أسألك كلمة الحق في الرضا و الغضب وأسألك القصد في الفقر و الغنى و أسألك نعيما لا ينفد و قرة عين لا تنقطع و أسألك الرضا بالقضاء و أسألك برد العيش بعد الموت و أسألك لذة النظر إلى وجهك و الشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة و لا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان و اجعلنا هداة مهتدين .

(حديث عائشة في صحيح ابن ماجة) أن رسول الله علمها هذا الدعاء اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم و أعوذ بك من الشر كله عاجله و آجله ما علمت منه و ما لم أعلم اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبدك و نبيك و أعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك و نبيك اللهم إني أسألك الجنة و ما قرب إليها من قول أو عمل و أعوذ بك من النار و ما قرب إليها من قول أو عمل و أسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا .

(حديث أبي هريرة في صحيح أبي داوود وابن ماجة) أن النبي ﷺ كان يقول : اللهم انفعني بما علمتني ،وعلمني ما ينفعني وزدني علماَ .

(حديث ابن عمر في صحيحي أبي داوود وابن ماجة) قال لم يكن رسول الله ﷺ يدع هـؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم إني أسألك العفو و العافية في الدنيا والآخرة ، اللهـم إني أسألك العفو و العافية في ديني و دنياي و أهلي و مالي ، اللهم استر عورتي و آمن روعتي و احفظني من بين يدي و من خلفي و عن يميني و عن شمالي و من فوقي و أعـوذ بك أن اغتال من تحتي .

(حديث ابن مسعود في السلسلة الصحيحة)أن النبي ﷺ قال : ما أصاب عبداً هـمٌ ولا حـزنٌ فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فـيَّ قضاؤك ، أسألك بكلِ اسمٌ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدٌ من خلقك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبي ونورَ بصري وجلاء حزني وذهاب همِّـي إلا أذهـب الله همَّه وأبدله مكانه فرجاً .

﴿تنبيه﴾ :➢ يستحب للمسلم أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات فإنه من كنوز الحسنات

(حديث عبادة في صحيح الجامع) أن النبي ﷺ قال : من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمنٍ حسنة .

[*]➢نموذج لأدعية ليست من الكتاب والسنة ولكنها نافعة وتوافق الكتاب والسنة :

➢اللهم ارزقنا الإخلاص قولاً وعملاً سراً وعلانية

➢اللهم طهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور

➢اللهم ارزقنا الثبات على الدين وحسن الخاتمة

➢اللهم وسِّع في أرزاقنا من المال والعلم ولا تفتنا بهم وفقنا إلى الإحسان لإلى الناس بهم

➢اللهم افتح علينا رزقاً لا تجعل لأحدٍ علينا فيه منة ولا لك علينا في الآخرة تبعة

➢اللهم إنا نُنزل فاقتنا بك ولا ننزلها بأحدٍ سواك فاغننا بحلالك عن حرامك وبفضـلك عمـن سواك

➢اللهم فَرِّج هم المهمومين ونفِّس كرب لمكروبين واقض الدين عن المدينين وارحم موتانـا وموتى المسلمين ، اللهم اغفر لجميع موتى المسلمين الذين شهدوا لك بالوحدانيـة ولنبيـك بالرسالة وماتوا على ذلك ، اللهم اغفر لهم وارحمهم وعافهم واعف عـنهم وأكـرم نـزلهم ووسع مدخلهم واغسلهم بالماء والثلج والبرد ونقهم من الذنوب والخطايا كما ينقـى الثـوب

الأبيض من الدنس ، وأبدلهم داراً خيراً من دارهم وأهلاً خيراً من أهلهم وزوجاً خيراً من زوجهم وأعذهم ن عذاب القبر وعذاب النار ، اللهم اغفر لهم في المهديين واخلفهم في عقبهم في الغابرين واغفر لنا ولهم يا رب العالمين ، ووسِّع لهم في قبورهم ونوِّر لهم فيها ، اللهم وجازهم بالحسنات إحساناً وبالسيئات عفواً وغفراناً حتى يكونوا في بطون الألحاد مطمئنين وعند قيام الأشهاد آمنين ، اللهم انقلهم من ضيق اللحود ومراتع الدود إلى جنات الخلود في سدرٍ مخضود وطلحٍ منضود وظلٍ ممدود وماءٍ مسكوب ، اللهم وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه .

➢اللهم يا رحيم يا رحمن ارزقنا الغفران والعفو عما سلف وكان من الذنوب والعصيان ، وارزقنا خشية الرحمن وامتثال القرآن وجنبنا العصيان واستحواذ الشيطان وارزقنا التوبة الصالحة قبل فوات الأوان

➢اللهم يا رحيم يا غفار ألزمِ قلوبنا السكينة والوقار والفكرة والاعتبار والتوبة والاستغفار واجعلنا من عبادك الصادقين الأبرار وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

➢اللهم يا رحيم يا تواب وفقنا للحق والصواب وموافقة السنة والكتاب وارزقنا التوبة وحسن المآب قبل أن يمر العمر مر السحاب

➢اللهم يا عزيز يا غفور ارحم غربتنا في القبور وما فيها من الدواهي والأمور تحت الجنادل والصخور وحوّل ظلمتها إلى نور ، وآمنَّا يوم البعث والنشور ، ووفقنا لفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور وعملٍ متقبلٍ مبرور ، إنك سبحانك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

➢اللهم يا عليُّ يا كبير يا من لا يظلم الفتيل والنقير تجاوز عن الخطأ والتقصير والطُف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك سبحانك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل ، وآخر دعونا أن لحمد لله ر العالمين .

➢اللهم يا فالق الحب والنوى ويا مُنشيء الأجساد بعد البِلى وفقنا لحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن نتذكر الموت والبلى فنستحي من الله حق الحيا .

➢اللهم يا ذا القوة المتين يا رجاء السائلين ويا مجيب دعوة المضطرين اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك المتقين وآمنًا من الفزع الأكبر يوم الدين واغفر لنا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين .

➢اللهم يا فعَّالاً لما تريد يا ذا الحبل الشديد والأمرِ الرشيد نسألك الأمن يوم الوعيد والجنة دار الخلود مع المقربين الشهود الرُكَّعِ السجُود الموفين بالعهود يا غفور يا ودود .

➢اللهم وفق الرعاةَ والرعية وأصلح لهم النية ونجهم من كل بلِّية ، اللهم وفقهم بتوفيقك وأيدهم بتأييدك ، اللهم اهدهم بهداك واجعل عملهم في رضاك ، وقيض لهم البطانة الصالحة التي تعينهم على مصالح العباد والبلاد ، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءاً رخاءاً وسائر بلاد المسلمين ووفقهم للعمل بالدين يا قوي يا متين .





﴿ تم بحمد الله تعالى ومنته ﴾



الفهرس